الجمـهورية العـربيـة الــــسورية
جـامعـة دمـشق
كلية الآداب والعلوم الإنســانية
قســم الآثــار



حوضة دمشق في العصر الحجري الحديث والنحاسي

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في آثار عصور ما قبل التاريخ والشرق القديم

إعداد الطالبة

هبـة عبد المعين عاصـي

إشـراف

الدكتور أحـمد ديـاب

دمشق 2016

إلى قدوتي الأولى ونبراسي الذي ينير دربي، إلى من علمني الحياة وأمسك بيدي على دروبها...

أبي

إلى من جعلت حياتي مزدهرة بأجمل الأزهار، إلى صاحبة العطاء اللامتناهي دون انتظار مقابل، رمز المحبة والتضحية...

أمي

إلى من هّم أقرب إلّي من روحي، أصحاب القلوب الدافئة التي زينت حياتي، وجعلت منها حياة أفضل..

أخوتي

إلى من كنتم لي نهار وليل، نور وسرور، حب وسعادة، وتظلون الأمل.

أصدقائي

أضع بين أيديكم هذا الجهد المتواضع.

شكر وتقدير

يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي المشرف الدكتور أحمد دياب، على ما قدمه لي من نصح ومساعدة. كما أتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتي في قسم الآثار، الذين لم يتوانوا عن مد يد المساعدة لي. وأتقدم كذلك بجزيل الشكر والامتنان إلى رؤسائي وزملائي في المتحف الوطني بدمشق والمديرية العامة للآثار والمتاحف على مساندتهم وتشجيعهم الدائم. ولا يمكنني أن أنسى أصدقائي وأقاربي الأعزاء، الذين لم يبخلوا عليّ بالمساعدة والنصح. وأخيراً الشكر الأكبر إلى والدي ووالدتي وأخوتي علاء وعلا ومرح ونايا، لوقوفهم الدائم بجانبي، ومساندتهم لي في إنجاز هذا البحث.

فهرس المحتويات

المقدمة

طالما اكتسبت حوضة دمشق أهميتها من موقعها الجغرافي الذي تمتعت به، فهي توسطت منطقة المشرق العربي القديم، وكانت الأرض التي نشأت فيها أعظم الحضارات منذ أقدم العصور، والبوابة التي انطلقت فيها أعرق الثقافات.

تعد حوضة دمشق من أهم أجزاء منطقة المشرق المركزي، والتي، ورغم كل الاكتشافات الأثرية التي حصلت فيها، لم تقل كل ما في جعبتها، ولم تظهر كل ما تكتنزه في باطنها من أسرار حتى الآن. وقد أثبتت لنا الدراسات الجيولوجية والأثرية، أن حوضة دمشق أخذت في الزمن الرابع المسمى الرباعي Quaternary شكلها الجغرافي والبيئي لقريب جداً مما هو عليه الآن، بعد أن استقرت فيها أشكال التضاريس، من سهول وجبال ووديان أنهار وبحيرات، مما وفّر البيئة المناسبة، كالمياه والنباتات والحيوانات والخامات التي جذبت البشر إلى العيش في هذه المنطقة منذ أقدم العصور.

ولقد أفادت الدارسات الأولى أن حوضة دمشق كانت منذ بداية الزمن الرابع بحيرة كبيرة، أقام على شواطئها الإنسان الأول منذ حوالي مليون سنة خلت. وقد ازداد هذا الاستيطان كثافة وانتشاراً مع تقدم الزمن. امتدت حدود هذه البحيرة من تخوم البادية في منطقة الضمير وجيرود شرقاً حتى الكسوة غرباً، ومن سفوح قلمون شمالاً حتى سهول حوران جنوباً، وما بحيرتا العتيبة والهيجانة إلا البقايا الأخيرة لهذه البحيرة الأولى الكبرى، قبل جفافهما نهائياً في ستينات القرن الماضي.

تغذت تلك البحيرة الأولى ومنذ نشوئها، بمياه نهري بردى والأعوج، فضلاً عن الأمطار والثلوج التي تدل على مناخ بارد ورطب، ساعد على انتشار غابات كثيفة في الجزء الأكبر من الحوضة، بعد فترة حصل تبدل مناخي، ومال الطقس تدريجياً نحو الجفاف، كما قلت كميات الثلوج والأمطار، هذا ما دفع إلى تراجع حدود البحيرة لتبلغ مساحتها حوالي 20 × 10 كم مع بقاء بحيرتي العتيبة والهيجانة مركزاً لهذه البحيرة. وبقيت حدود البحيرة على هذه الحال حتى حوالي 15000 سنة خلت، بعد أن تراجعت الجليديات والمطيرات في العالم، وبدأ عصر مناخي جديد هو الهولوسن Holocene حيث أخذت فيه هذه البحيرة شكلها القريب إلى ما كانت عليه حتى الستينات من القرن الماضي، قبل أن

تختفي هاتان البحيرتان كلياً. في فترة الهولوسن تشكلت التربة الخصبة السوداء لغوطة دمشق، والتي كانت قاعدة الاستيطان البشري في المنطقة على امتداد العصور اللاحقة.

وهكذا بدأت الأوضاع بالتبدل إثر التحسن المناخي الملحوظ، الذي ساعد على قيام بيئة مواتية وغنية، كماعاد الاستيطان أكثر كثافة ووضوحاً، دلت على ذلك المناطق التي نُقبت في محيط حوضة دمشق، وهنا لا بد لنا من أن نذكر أن منطقة حوضة دمشق تحتل من حيث المعنى الجغرافي الإقليمي مساحة تقل عن 3600 كم2، بينما تحتل الحوضة المائية مساحات أوسع تغطي 7390كم2 خارج حدود الحوضة الجغرافية لتشمل الجبال والمرتفعات المحيطة بالواحة. ونحن في بحثنا هذا، سندرس الحوضة بحدودها المائية، التي تشمل عدد أكبر من المواقع الأثرية، مما يساعدنا على فهم المنطقة بشكل أفضل.

تعود أقدم الأبحاث في حوضة دمشق إلى الثلاثينيات من القرن الماضي، عندما اكتشف الباحث الألماني ألفرد روست Rust أثناء رحلته على دراجته إلى المشرق العربي، ملاجيء يبرود الثلاثة، وتابعت الأعمال من بعده عام 1963 بعثة كولومبية أميركية بإدارة الباحث رالف سوليكي Solecki، الذي كشف عن ما يُعرف بالملجأ الرابع.

وقام بعدها بنشر نتائج أبحاثه سنة 1950 في كتاب باللغة الألمانية تحت عنوان "مكتشفات مغاور يبرود"، وقد قام بترجمته إلى العربية محمد قدور.

Rust, A. 1995, "**Die Höhlenfunde von Jabrud (Syrien**).

بعد ذلك، وفي ستينات القرن الماضي نشطت الأبحاث في المنطقة، وتتالت الاكتشافات المهمة من مختلف المواقع، حيث عمل فيها عدد من الباحثين، فقام الباحث الهولندي فان ليره Van Liere بعدد من المسوحات في منطقة المزة في دمشق، وفي وادي بردى، وصيدنايا. وقاد بعدها الباحث هنري دو كونتنسون De Contenson عدداً من المسوحات، والبعثات التنقيبية، بالتعاون مع عددٍ من الاختصاصيين في المديرية العامة للآثار والمتاحف ضمن عدد من المواقع الأثرية، حيث بدأها في موقع تل الرماد عام 1963 حتى 1973، والذي أعطى نتائج مهمة تم نشرها في مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، بعد ذلك، وفي عام 2000م، نشر كتاب باللغة الفرنسية، كان عبارة عن مقالات متعددة لعدد من الباحثين المختصين وتحت إشراف دو كونتنسون بعنوان:

De Contenson. H, 2000. **RAMAD Site Néolithique en Damascène (Syrie) aux VIII et VII Millénaires avant l' ère Chrétienne**, IFAPO, Beyrouth.

وفي عام 1965 قام دو كونتنسون مع الباحث فان ليره بأسبار في مغارة قرنة المغارة في صيدنايا، وبعدها عمل دو كونتنسون في 1967موسماً تنقيبياً واحداً في تل الخزامى الذي أنشئ مكانه مطار دمشق الدولي الحالي. لم تتوقف الأعمال بعدها، حيث استمروا بمواسم تنقيبية عدة في تل أسود وتل الغريفة. وقام دو كونتنسون بنشر نتائج الأبحاث في كتاب باللغة الفرنسية، تضمن العديد من المقالات لاختصاصيين، تحت إشرافه، وكان بعنوان:

De Contenson. H, 1995, **ASWAD et GHORIFE Sites Néolithiques en Damascène (Syrie) aux IX et VIII Millénaires avant l' ère Chrétienne**, IFAPO, Beyrouth.

وفي ثمانينات القرن الماضي، قامت بعثة فرنسية – سورية مشتركة، بإدارة ماري كلير كوفان M.C. Cauvin وسلطان محيسن، بمسح أثري في ملاحة جيرود، كشفت فيه عن 11 موقع أثري فيها.

وبعدها كشف لنا الباحث اريك كوكينو E.Coqueugniot عن موقع واعد في المنطقة، هو تل عطنة.

ونظراً لأهمية موقع تل أسود عاودت عام 2001 بعثة فرنسية – سورية مشتركة بإدارة الباحثان بسام جاموس ودانييل ستوردور D.Stordeur العمل فيه، وأرخت الموقع من جديد وذلك بناء على دراسة القطع الأثرية المكتشفة فيه، وأعطت التنقيبات نتائج مهمة على مختلف الأصعدة، ويمكننا القول: إن تل أسود هو الموقع الذي تمت دراسته بشكل أفضل بين مواقع الحوضة من قبل عدد من الباحثين، وغيرهم. وقد نشرت نتائج أعمال التنقيب في عدد من المجلات والدوريات، والأبحاث باللغة الفرنسية وكان أهمها:

- Khawam, R. 2014, **L’homme et la mort au PPNB en Syrie : l’exemple de Tell Aswad**, These de doctorat soutenuea l' Universite Lumiere lyon 2.

-Ayoubi R. 2013, **Objets en Terre du Neolithique Preceramique au Proche – Orient**, **Terre Crue ou Cuite? "Les Objets en Terre Cuite Avant L'Invention de la Poterie**, These de doctorat soutenuea l' Universite Lumiere lyon 2.

استمرت الأعمال الأثرية في الحوضة أيضاً، ففي تل البحارية قامت بعثة وطنية بعدة مواسم تنقيبية بدءاً من عام 1996، وأعطت نتائج مهمة على مختلف الأصعد،ة وكان موقع البحارية قد وضع حداً لنهاية عصور ما قبل التاريخ في الحوضة، ونشرت عنه مقالة في كتاب مؤتمر أقيم في مدينة برشلونة بعنوان:

Sulaiman, G. 2012, Tell al- Baharia: an Important Site in the Damascus Basin, in Borrell, F. & Garcia, M. (edit.), **Broadening Horizons 3**, **Conference of Young Researchers Working in the Ancient Near East**, Barcelona, PP. 113-114.

أحدث الدراسات التي تمت في حوضة دمشق كانت مشروع مسح وتنقيب أثري قام به فريق من جامعة توبنغن في شمال شرق مدينة دمشق، حيث كشف عن عدد من المواقع الهامة (باز جبعدين – قوس قزح)، ونشروا نتائج أعمالهم في كتاب شامل باللغة الألمانية والانكليزية مع ملخصات باللغة العربية، كان عبارة عن عدة مقالات لاختصاصين تحت إشراف الباحث الألماني نيكولاس كونارد N. Conard بعنوان:

Conard. N.J, 2006, **An Overview of The Recent Excavation at Baaz Rockshelter**, **Damascus Province**, **Syria**, Tubingen-

مشروع توبنغن- دمشق للتنقيب Damascus Excavation and Survey Project, والمسح الأثريين, 1999- 2005, Tubingen, (Editor Nicholas J. Conard).

ركزت الدراسات السابقة بشكل أساسي على دراسة كل موقع بشكل منفرد خارج إطار مواقع الحوضة كاملة، وسنعمل في هذا البحث على إلقاء الضوء على كل موقع منفرد وعلاقته مع المواقع المجاورة له، ومن ثم وضع تسلسل زمني لمراحل الاستيطان البشري في حوضة دمشق.

وتأتي أهمية هذا البحث في أننا سنحاول فيه الغوص في مرحلة سحيقة القدم، شديدة الغموض، لكنها مهمة ومثيرة، وهي العصرين الحجري الحديث، والحجري النحاسي. شهد العصر الحجري الحديث منذ الألف الثامن ق.م تحولات كبرى اقتصادية واجتماعية في حياة مجتمعات عصور ما قبل التاريخ، هذه المجتمعات التي انتقلت من مرحلة التنقل والصيد والالتقاط للخيرات البرية، إلى مرحلة الاستقرار، وممارسة الزراعة، وتدجين الحيوانات، وهكذا بعد الاعتماد على الاقتصاد الاستهلاكي للثروات الطبيعية، فقد بدأت هذه المجتمعات بإنتاج غذائها بنفسها، فتحررت إلى حد كبير من تقلبات الطبيعة وعواقبها، وكان هذا التبدل من العمق والأهمية بمكان، حتى أنه أطلق عليه الثورة النيوليتية Neolithic Revolution، ولقد ازدادت احتياجات الإنسان بعد زيادة الاتصال والتبادل بين مختلف الأفراد الذي بدأ منذ بداية الاستقرار والإنتاج، فكانت صناعة الأدوات والمواد الاستهلاكية، وأهمها تطور الأدوات الحجرية المستخدمة في حياته اليومية، وصنع الفخار لأول مرة، واستخدم النسيج والمواد اللازمة لبعض الحرف.

مع منتصف الألف السادس ق.م، بدأت مجتمعات المشرق العربي القديم بالتعرف على معدن النحاس، واستخدامه لتصنيع أدوات صغيرة إلى جانب الحجر، الذي لم يفقد دوره، ومن هنا أتت تسمية العصر الحجري النحاسي Chalcolithic. وقد حصلت في هذا العصر ابتكارات حضارية مهمة وسريعة، شملت ميادين الحياة المختلفة، وانتشرت المستوطنات في مناطق جديدة، وازداد أعداد السكان كدلالة على الاستقرار وتحسن الظروف الحياتية، وتقدمت صناعة الفخار، وتحسن البناء، وتنوعت أشكاله، كما تطورت الفنون، وصنعت التمائم، والأختام، والحلي بغزارة واضحة، ويمثل هذا العصر المرحلة الانتقالية بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية اللاحقة.

وقد تبين أن منطقة المشرق العربي القديم وبلاد الشام تحديداً، كانت المهد الأول والأبكر الذي انطلقت منه هذه الحضارات، لم تكن حوضة دمشق بعيدة عن تلك الأحداث، إن لم نقل في قلبها على أكثر من صعيد. وما التلال الأثرية المنتشرة في الحوضة إلا بقايا هذه المستوطنات التي نشأت وتطورت في هذه المرحلة. وسنحاول أن نسلط الضوء على جوانب بنية المجتمعات البشرية التي عاشت في المنطقة المدروسة، سيما خلال العصرين الحجري الحديث والنحاسي، وسيتم التركيز على عناصر حضارية أكثر من غيرها حسب المعطيات الأثرية المتوفرة لدينا في الحوضة، منها العمارة والأدوات الحجرية والعظمية والفخارية، والفنون، وممارسات الدفن، بهدف تعزيز معرفتنا بشكل أكثر في فهم التجانس الحضاري الذي كان قائماً، وامتداداته من خلال إجراء بعض المقارنات الضرورية التي توفرت لدينا، بانتظار دراسات أخرى يمكن أن تتوفر لها إمكانيات أكبر.

بالرغم من الأبحاث الهامة التي جرت واستمرت لإجلاء واقع حوضة دمشق، فإننا لا نزال نجهل عنها الكثير، ولازلنا غير ملمين بالمعطيات الحضارية التي طوتها الآلاف من السنين، فما هو التسلسل الحضاري لمواقع الحوضة في العصر الحجري الحديث والنحاسي من الأقدم إلى الأحدث؟ وهل تعاصرت هذه المستوطنات مع بعضها؟ ومتى كانت مرحلة الازدهار بالنسبة للحوضة؟ ولا بد لنا من التساؤل عن سكان هذه المستوطنات: ما هي المناطق التي أتوا منها؟ ولماذا رحلوا عن مواقع الحوضة بعد استيطانهم؟

ونلاحظ أن الاستيطان في حوضة دمشق استمر منذ الفترة النطوفية إلى نهاية العصر الحجري النحاسي، باستثناء فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ، حيث لا نملك أي موقع منها، فما هو سبب هذا الفراغ الحضاري فيها؟ هل كان هناك ظروف مناخية وبيئية معينة لم تجذب السكان للاستقرار في الحوضة؟ أم أن قلة المواقع المنقبة في هذه المنطقة لم يكشف لنا عن مواقع من هذه الفترة؟

ونحن نعلم أن حوضة دمشق كانت وسطاً غنياً بالموارد البيئية من نباتات وحيوانات ومياه، فكيف كانت البيئة القديمة حينها؟ وما هو نوع غذاء سكانها؟ وما وطريقة معيشتهم؟ وهل تشابهت العناصر الحضارية للمواقع فيما بينها؟ أم أن كل موقع تميز بطابع خاص به؟

من المعلوم أن حوضة دمشق تتوسط منطقة المشرق المركزي، ترى كيف ساهمت مكتشفاتها الأثرية في تكوين شخصية هذه المنطقة؟ وإن منطقة المشرق المركزي تقع بين المشرقين الشمالي والجنوبي، فما هو

الدور الذي لعبته الحوضة بينهما؟ هل أخذت دور الوسيط؟ وأي من هاتين المنطقتين ظهرت تأثيراتها الحضارية على الحوضة بشكل أكبر؟ أم أنها تأثرت بالمنطقتين معا؟

كما نعلم أنه في العصر الحجري النحاسي أصبحت المناطق الشمالية مركز الثقل الحضاري، وهذا لا يعني أن المناطق الجنوبية متضمنة حوضة دمشق، كانت تعاني من فراغ حضاري، بدليل أن موقعي تل البحارية وتل الخزامى أثبتا عكس ذلك، ترى ما هي المعطيات الأثرية التي أثبتت لنا ذلك؟ وما هي التأثيرات الشمالية أو الجنوبية التي ظهرت في الموقعين؟ وهل امتدت الثقافة الحلفية والعبيدية إلى حوضة دمشق في العصر الحجري النحاسي؟

تم إعداد هذا البحث من خلال دراسة أثرية – تحليلية للعديد من المكتشفات الأثرية في مواقع حوضة دمشق، واُعتمد فيه المنهجين الاستقرائي والاستنتاجي معا. لقد قمنا في البداية بدراسة العناصر الحضارية (العمارة والأدوات الحجرية والعظمية والفخار والفنون وممارسات الدفن)، كل عنصر في كل موقع على حدة، من الأقدم إلى الأحدث زمنياً، ومن ثم تحليلها ومقارنتها مع بعضها البعض، بعد ذلك قارناها مع مواقع من المشرق الشمالي ومن المشرق الجنوبي، بهدف الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينهما، ومما سيساعدنا في الإجابة عن الكثير من الأسئلة المطروحة في البحث.

حاولنا زيارة ما تيسر من المواقع الأثرية القريبة، ودراسة ما توفر من قطع أثرية لبعضها (الأدوات الصوانية والفخار والدمى من تل البحارية) وتم الاعتماد بشكل كبير على تقارير البعثات الأثرية العاملة في مواقع الحوضة لأخذ معلومات منها، إضافة إلى المصادر العربية والأجنبية والمقالات في المجلات والدوريات التخصصية الأجنبية (الانكليزية والفرنسية) والعربية منها، والتي كان من الصعوبة الحصول على بعضها مما تطلب مني مراسلة العديد من الأصدقاء أو العاملين في تلك البعثات من أجل تأمينها.

ومن الصعوبات التي واجهت البحث قلة المواقع الأثرية المنقبة فيه، ناهيك عم أن بعض المواقع نقبت لموسم واحد فقط (تل الخزامى وتل الغريفة...) أو اقتصرت على المسح الأثري فيها (تل عطنة وقرنة المغارة وملاحة جيرود ...) مما أدى لفقر كبير في المعلومات، إضافة إلى أن أغلب المواقع لم تنشر أية دراسات أو أبحاث أثرية عنها، واكتفت بنشر مكتشفاتها بشكل مختزل في تقارير بعثاتها الأثرية والتي كانت معظمها باللغات الأجنبية، مما تطلب منا ترجمتها كاملة.

يقسم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وملاحق خاصة بالخرائط والأشكال والجداول. تم في الفصل الأول تناول المنطقة المدروسة أي منطقة حوضة دمشق من الناحية الجغرافية، وكيف كانت بحيرة كبيرة ومن ثم جفت، وسنعرض البيئة القديمة والسكان في حوضة دمشق، والفترة النطوفية وظهور الزراعة، كتمهيد للعصرين المدروسين في البحث.

ويتحدث الفصل الثاني عن حوضة دمشق في العصر الحجري الحديث، حيث يبدأ مع العناصر الحضارية لهذا العصر في مراحله الثلاثة (العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ و ب، والعصر الحجري الحديث الفخاري) ومن ثم نستعرض المواقع النيوليتية في حوضة دمشق من الأقدم إلى الأحدث زمنياً، نتحدث عن تاريخ اكتشافها وطبقاتها الأثرية، والمرحلة التي تعود لها تحديداً، بعدها ننتقل لدراسة العناصر الحضارية لمواقع الحوضة بشكل مفصل.

وفي الفصل الثالث نتحدث عن العصر الحجري النحاسي: ففي البداية ندرس ثقافات هذا العصر (الثقافة الحلفية– الثقافة العبيدية– حضارة أوروك)، ونظراً لاختلاف وتائر التطور في هذا العصر بين الشمال والجنوب، فسوف نقوم بدراسة كل منطقة على حدة، ومن ثم نبين مواقع حوضة دمشق في العصر الحجري النحاسي، وبعدها سندرس العناصر الحضارية فيها مفصلة.

وأخيراً جمعت في نهاية البحث كل ما تم التوصل إليه من نتائج ومعلومات جديدة في فقرة خاصة بالنتائج، نستعرض من خلالها الأدلة العلمية التي تمكنا من خلالها الإجابة عن عدد من الأسئلة والإشكاليات المطروحة في هذا البحث عن حوضة دمشق.

الفصل الأول

جغرافية وبيئة حوضة دمشق

الفصل الأول: جغرافية وبيئة حوضة دمشق

أولا: جغرافية حوضة دمشق:

1 - موقع حوضة دمشق وحدودها.

2 - الفرق بين حوضة دمشق الجغرافية وحوضة دمشق المائية.

3 - التطور الجغرافي والجيومورفولوجي لحوضة دمشق.

- نشوء بحيرة دمشق وزوالها.

4 - مياه حوضة دمشق.

أ - الأنهار:

- نهر بردى
- نهر الأعوج
- نهر منين

ب - الينابيع والعيون:

- نبع الفيجة
- نبع بردى

ت - المياه الجوفية

5 - غوطة دمشق

ثانيا: البيئة القديمة في حوضة دمشق

1 - التغيرات المناخية والبيئية بين نهاية البليستوسين وبداية الهولوسن

2 - السكان والبيئة القديمة

3 - البيئة القديمة في حوضة دمشق

جغرافية وبيئة حوضة دمشق

أولا : جغرافية حوضة دمشق:

1 – موقع حوضة دمشق وحدودها:

تقع حوضة دمشق في الجزء الشمالي من الإقليم الجنوب الغربي في سورية، وتشغل منطقة جغرافية مستقلة فيه[1]. (الشكل 1) يقع هذا الإقليم في أقصى الزاوية الجنوبية والجنوبية الغربية من سورية، ويحده من الجهات الأربعة الأراضي الفلسطينية والأراضي الأردنية، ثم إقليم الصحراء السورية، وإقليم الجبال العالية، مع جزء بسيط من إقليم السلاسل التدمرية، والجبال الوسطى[2]. (الشكل 2)

تبلغ مساحة الحوضة نحو 3600 كم مربع، وهو محدد بخطي العرض 33 درجة و10 دقائق و33 درجة و39 دقيقة شمال خط الاستواء، وبخطي الطول 36 درجة و6 دقائق و36 درجة و47 دقيقة شرق غرينتش[3].

تأخذ الحوضة شكلاً مثلثياً، ضلعها الأطول يساير أقدام سلسلة القلمون الشرقية، على مسافة 65 كم بين الضمير في الشمال الشرقي، ومخرج النهر الأعوج إلى غوطتي الكسوة ودمشق. ويمتد الضلع الثاني مسافة 45كم بين الضمير وبدايات صبة الصفا البركانية، في أقصى الجنوب الشرقي، مسايراً بذلكديرة التلول (البركانية أيضاً) ومتاخماً هضبة الحماد. أما الضلع الثالث الذي يمتد على نحو 55 كم فيمثل بدايات هضبة حوران البركانية التي تبرز في تلال الكسوة، الممتدة جنوب النهر الأعوج وشماله، وأهمها جبل المانع (1089م)، ووعرة زاكية[4].

---

[1] عبد السلام، عادل، 1990: ص 344.

[2] عبد السلام، عادل، 1982: ص 5.

*يضم إقليم الجنوب الغربي: 1- منطقة الجولان، 2-منطقة حوران، 3-منطقة جبل العرب، 4-منطقة حوض دمشق. المرجع السابق، ص 3.

[3]عبد السلام، عادل، 1990: ص 345.

[4] عبد السلام، عادل، 1982: ص 7.

2 – الفرق بين حوضة دمشق الجغرافية وحوضة دمشق المائية:

يبلغ متوسط ارتفاع حوضة دمشق 660 م فوق مستوى سطح البحر، وتوجد أخفض أجزاء سطح الحوضة في منخفض العتيبة 596 م فوق مستوى سطح البحر. ومنخفض بحيرة الهيجانة 588 م فوق مستوى سطح البحر، والتي جفت عام 1940م[5].

تتميز أرض حوضة دمشق بأنها تشكل سهلاً منبسطاً ضعيف انحدار السطح من الأطراف باتجاه منخفض العتيبة– الهيجانة، يتدرج الانحدار من الحواف الغربية إلى الشرق، وتشذ الأجزاء الجنوبية من الحوضة عن هذه القاعدة، حيث تبرز فوق السطح المنبسط المترامي الأطراف تلال ومرتفعات وجبال بركانية– اندفاعية الأصل، لكنه ومهما يكن من أمر هذه التلال والمرتفعات الهامشية، فإن الصفة الأساسية لهذه المنطقة، هي أنها حوض سهلي، مغلق، عديم التصريف، تحيط به مجموعة جبلية، ارتفاعاتها بحدود 1000 و1500 م فوق مستوى سطح البحر من جهة الشمال الغربي، وأقل من ذلك في الشرق والجنوب[6].

وهكذا تحتل منطقة حوضة دمشق من حيث المعنى الجغرافي الإقليمي مساحة أصغر من (3600) كم مربع من مساحة الحوضة المائية الهيدرولوجية والهيدروجيولوجية، حيث أن الحوضة المائية تضم مساحات أوسع تمتد خارج الحوضة الجغرافية لتشمل الجبال والمرتفعات المحيطة بواحة دمشق، وتمر في ذراها خطوط تقسيم المياه لحوضة دمشق المغلقة، التي بدورها تضم شبكتي نهري بردى والأعوج، والأودية السيلية المختلفة المنتهية إلى الحوضة، وتتفق مع حدود الأحواض المائية الجوفية لجنوبي سورية وجاراتها، بالتالي ستضم دراستنا مناطق من إقليم الجبال العالية أيضاً[7].

تغطي حوضة دمشق المائية مساحة (7390) كم مربع، وتتألف من مجموعتين تضاريسيتين متباينتين هما:

---

[5] عبد السلام، عادل، 2008: ص 74.

[6] عبد السلام، عادل، 1990: ص 346.

[7] عبد السلام، عادل، 2008: ص 75.

1. المجموعة الجبلية: تشكل جبال الحوضة جزءاً من سلسلة جبال لبنان الشرقية وتحتل الأجزاء الشمالية الغربية من الحوضة، وتقع فوق ارتفاع 750 م الذي يعتبر مستوى التماس بين المجموعتين. وتتكون من سلاسل متعاقبة من جبال لبنان الشرقية التي تسيطر عليها المحاور الشمالية الشرقية – الجنوبية الغربية بزوايا مختلفة، تبدأ من جبل الشيخ، وتنفرج باتجاه جبال الزبداني وسلاسل القلمون، وتفصل بينها أحواض وسهول جبلية متطاولة على نفس المحاور. أهمها سهل الصحراء أو الديماس، وسهل حوض الزبداني، وحوض صيدنايا، وتقع ارتفاعات المجموعة الجبلية هذه بحدود 1000 –1500 –2000 م فوق مستوى سطح البحر[8]. (الشكل 3)
2. المجموعة السهلية وهوامشها: تحتل المنطقة السهلية الأجزاء الشرقية والجنوبية الشرقية من حوضة دمشق المائية، حيث يشكل خط التماس الممتد من أقدام جبل الضمير وجبل أبو العطا والجبل الشرقي وقاسيون مروراً بنهايات مرتفعات قطنا وحتى أقدام جبل الشيخ الحد الفاصل على ارتفاع متوسط قدره 750 فوق مستوى سطح البحر. ويتميز سطح المنطقة السهلية بالانبساط الشديد مع انحدار لطيف جداً باتجاه منخفض العتيبة، الذي يشكل نواة حوضة دمشق المغلقة المطوقة من جهة الشرق والجنوب بالأغشية والمسكوبات البركانية للصفا، وديرة التلول والوعرة زاكية وجبال وتلال الكسوة[9]. (الشكل 4)

ونحن في دراستنا لحوضة دمشق سنتناول الحوضة بشكلها المائي، التي تشمل مواقع أكثر، مما يساعدنا على فهمها بشكل أكبر.

3 – التطور الجغرافي والجيومورفولوجي لحوضة دمشق:

إن الميزة الأساسية لحوضة دمشق في موقعها الجغرافي هي وقوعها بين عالمين مختلفين اختلافاً واضحاً في العديد من النواحي، هما البحر المتوسط والجبال في الغرب، وعالم الصحراء والبوادي العربية في الجنوب والجنوب الشرقي[10]. وبناء عليه، فقد كانت جغرافية الحوضة القديمة مغايرة لجغرافيتها الحاضرة

[8] عبد السلام، عادل، 1986: ص 2.
[9] المرجع السابق، ص 4.
[10] غنيم، عبد الرحمن، 2008: ص 9.

بشكل أكيد. فقد كانت أرضهاالأولى منخفضاً بنائياً خاسفاً على شكل حفرة كبيرة يقدر عمقها بحوالي 400 متر دون مستوى السطح الحالي[11]. ولقد نشأت حوضة دمشق عند تماس وهدة جبل العرب في الجنوب مع التواءات جبال لبنان الشرقية المتصدعة، ونهايات السلاسل التدمرية في الشمال، وبذلك تكّون منخفض حوضي بنائي نتيجة خسف سببته الحركات البنائية الالتوائية – الصدعية، التي رفعت جبل قاسيون والسلاسل المتممة له في الشمال الشرقي والجنوب الغربي، وخفضت حوضة دمشق عند أقدامها الجنوبية الشرقية[12]، ومن هنا فإن عمر حوضة دمشق وتكوينها الأول يرجع إلى الحقب الجيولوجي الثالث، وفي نصفه الثاني أي في نهاية البليوسين، ولقد استمر تكوينها البنائي حتى مطلع الحقب الجيولوجي الرابع وبدايات فترة البليستوسين[13].

أ- نشوء بحيرة دمشق وزوالها

تشير أغلب نتائج الأبحاث وجميع المظاهر الجيومورفولوجية على الأرض، إلى أن مناخ المنطقة لم يكن مستقراً وثابتاً على امتداد الحقب الجيولوجي الرابع، والذي يقدر عمره بنحو 1,5 -2 مليون سنة مضت[14]. ولقد كان لهذه المناخات القديمة دورها الكبير في نشوء البحيرة القديمة لحوضة دمشق، وتطورها، ثم زوالها نتيجة التغيرات والظروف المناخية التي عاشتها المنطقة، ومازالت تعيشها وتمر بها[15].

ما كادت أرض حوضة دمشق تصبح منخفضة عما حولها حتى بدأت مياه الأنهار والمجاري المائية الأخرى تتجه إليها وتملأ حفرها وقيعانها المتناثرة على سطح أرض الحوضة الآخذ بالخسف التدريجي. ونظراً لعدم استواء أرضية البحيرة في بدايات نشأتها وانتشار العلوات والمنخفضات بينها، تشكلت مجموعة من البحيرات والمستنقعات الضحلة المبعثرة هنا وهناك في البداية[16]، مالبثت أن تحولت إلى بحيرة واحدة متصلة مع استمرار وصول المياه إليها، وتزايد ارتفاع مستواها التدريجي في الحوضة إبان فترة

[11]عبد السلام، عادل، 1990: ص 346.
[12]عبد السلام، عادل، 2008: ص 80- 81.
[13] خير، صفوح، 2008: ص 45.
[14] عبد السلام، عادل، 2008: ص 100.
[15] عبد السلام، عادل، 1982: ص 77.
[16]خير، صفوح، 1969: ص 49.

الرباعي الأدنى، لكنها بقيت محدودة الاتساع، ومياهها لا تملأ سوى أقسامها الدنيا في قاع الأرض الواقعة بين كفر بطنا و مرج السلطان ودوما وشبعا[17]. ولقد دام هذا الواقع حتى بداية فترة الريس التي تميزت بمناخ رطب غزير الأمطار مع درجات حرارة منخفضة حتى دافئة، فارتفع مستوى مياه البحيرة إلى أقصى مستوى معروف لها 700 – 735 م فوق مستوى سطح البحر (اليوم) [18].

مال بعدها المناخ نحو الجفاف المصحوب بارتفاع الحرارة وازدياد التبخر، وتراجع صبيب مياه الأمطار والسيول، مما أدى إلى تقلص حجم البحيرة وتراجع شواطئها باتجاه الوسط والشرق، حتى استقرت ضفافها عند ارتفاع 610 – 625 فوق مستوى سطح البحر (اليوم) [19]، ولقد حصل ذلك في الفترة المعروفة بذروة الفورم قبل نحو 18000 سنة، حيث استقر الوضع المناخي والمائي لبحيرة دمشق القديمة نسبياً. ومع نهاية هذه المرحلة، ينتهي عصر البليستوسين، وتدخل حوضة دمشق عصر الهولوسن، أو الرباعي الحديث الذي بدأ قبل 10000- 11000سنة مضت، وهو العصر الذي لا زال مستمراً إلى اليوم[20].

عاشت بحيرة دمشق في عصر الهولوسن تقلبات مد وجزر في اتساع رقعة مياهها، بالارتباط مع التغيرات المناخية التي عاشتها سورية، وبلدات شرق البحر المتوسط وحوضه (جاف وحار في الهولوسن المبكر أو الأدنى، ثم دافيء ورطب ومطير في الهولوسن الأوسط، ودافيء وجاف في الهولوسن الأعلى والحديث)، بغض النظر عن الفترة الرطبة والممطرة للهولوسن الأوسط، فإن الاتجاه العام في عصر الهولوسن وحتى اليوم، هو التزايد المتدرج لارتفاع درجات الحرارة والجفاف[21]. وبسبب ذلك قل صبيب مياه الأنهار والسيول، وارتفعت قيم التبخر، فانكمشت البحيرة وانخفض مستوى مياهها إلى 600 م

---

[17] عبد السلام، عادل، 2008: ص 103.

[18] عبد السلام، عادل، 1990: ص 352.

[19] غنيم، عبد الرحمن، 2008: ص 12 – 13 -15.

[20] عبد السلام، عادل، 1990: ص 354.

[21] عبد السلام، 2008: ص 106.

فوق مستوى سطح البحر، والذي حافظت عليه حتى القرن التاسع عشر، بل ومطلع القرن العشرين، عندما كانت بحيرة العتيبة تتصل ببحيرة الهيجانة، مكونة بحيرة ضحلة واحدة[22].

أما اليوم فلم يبق من بحيرة دمشق القديمة، التي كانت تغمر حوالي 3000 كم2 من مساحة حوضة دمشق (مساحتها 3600 كم2)، وتمتد من منطقة الضمير على حدود البادية شرقاً، إلى منطقة الكسوة غرباً ،وحتى سهول حوران جنوباً وسفوح قاسيون شمالاً[23] ، لم يبق سوى ملامح مستنقع لا يزيد عمقه عن 1,5 م بمساحة لا تتجاوز 5 – 6 كم2 بحيث تبقى عدة أشهر ثم تجف، وذلك في أغزر فصول الشتاء أمطاراً ، هذا في حال وصلتها مياه نهر بردى الفائضة عن حاجة سكان واديه، وعن حاجة بساتين وحقول الغوطة، والغالب أنها جافة في أكثر السنوات، وتجف تماماً في السنوات العجاف[24]. (الشكل 5)

أما بحيرة الهيجانة، فلم يكن مصيرها بأفضل من مصير بحيرة العتيبة، إذ لم يكفها التغيرات المناخية الطبيعية، بل تدخل الإنسان وسّرع في زوالها النهائي عام 1940 م، وذلك عندما قام بتحويل مياه فيضانات نهر الأعوج عن أرض البحيرة، بفتح قناة لجر المياه إلى منخفض في أراضي بير القصب. ولاتزال تُرسم في مكانها على معظم الخرائط الجغرافية والطبوغرافية حتى الوقت الحاضر[25].

4 – المياه في حوضة دمشق:

اشتهرت حوضة دمشق منذ القدم بوفرة وجودة مياهها السطحية والجوفية معاً، ولم تأت هذه الوفرة من فراغ، بل هي انعكاس لبنية جغرافية متميزة، تتمثل في مرتفعات وسلاسل جبال الحرمون وقاسيون ولبنان الشرقية، المطلة على الواحة والمحيطة بها غرباً ، وللظروف المناخية التي تؤدي لهطول الأمطار والثلوج على الحوضة، وللتراكيب الجيولوجية والتكتونية السائدة في هذه السلاسل، التي تجعل أغلب مياه هذه الهطولات تنفذ إلى أعماق الصخور، ليخرج من السفوح على شكل ينابيع متدفقة، تغذّي أنهار

[22] غنيم، عبد الرحمن، 2008: ص 16.

[23] عبد السلام، عادل، 1982: ص 77.

[24] عبد السلام، عادل، 2008: ص 106.

[25] عبد السلام، عادل، 1982: ص 78.

المنطقة[26]. ويبقى المصدر الأول لمياه هذه الحوضة المغلقة هو الأمطار والثلوج، وتتعدد الأشكال التي تتوزع عليها هذه المياه ضمن مجموعتي المياه السطحية (الأنهار والسيول والينابيع والعيون)، والمياه الجوفية، وسندرس كل واحدة منها بالتفصيل[27]:

أ- الأنهار:

وتتمثل بنهري بردى والأعوج بالدرجة الأولى، وبقايا نهر منين بالدرجة الثانية.

- **نهر بردى:**

يعد نهر بردى شريان حوضة دمشق[28]، تعددت تسمياته فهو نهر أبانة التاريخي[29] ، وهناك من قال أن (بردى) دعاه الآراميون (أبانا) أو (أمانا)، وأسماه البيزنطيون (خريبروراس) Chrysorrhoas، ومعناه نهر الذهب[30]، ومنذ القرن الخامس للميلاد دعاه اسطفان البيزنطي (بردنيس) Bardines أي الفردوس[31]، ومما لا شك فيه أن اللفظ العربي مأخوذ منه، فسمى العرب هذا النهر بـ بَرَدَى بثلاث فتحات على وزن فعلى، للدلالة على برودة مائه[32].

يخرج نهر بردى من سلسلة جبال لبنان الشرقية، من نبع بردى على ارتفاع 1100 م، الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من سهل الزبداني، من السفوح الشرقية لجبال الشير (الشيخ) منصور[33]، يسير بعدها من الغرب إلى الشرق متعرجاً بضعة كيلومترات حتى مزرعة التكية، حيث يدخل في وادٍ عميق شديد الانحدار، شهير باسم وادي بردى[34]، ويتابع سيره حتى يصل إلى مشارف مدينة دمشق، حيث

[26]الصفدي، محمد شفيق، 2008: ص 231.
[27]سبانو، أحمد غسان، 1998: ص 16.
[28] خشّان، مطر وأحمد فرزة طرقجي، 2003: ص 11.
[29] الدمشقي، محمد حسين العطار، 1984: ص 80 .
[30] العظمة، عبد العزيز، 2002: ص 31.
[31] الزيات، حبيب، 1985: ص 56.
[32]سبانو، أحمد غسان، 1990: ص 92.
[33] خير، صفوح، 1966: ص 118.
[34]الصفدي، محمد شفيق، 2008: ص 242.

تتفرع عنه ست أقنية هو سابعها بعد موقع الهامة، وفي خانق الربوة ودمر[35]، عن يساره (يزيد وتورا) وعن يمينه (المزاوي والديراني والقنوات وبانياس) مرتبة من المستوى الأعلى إلى المستوى الأدنى في الجريان، حيث تعبر هذه الأقنية خانق الربوة على مناسيب مختلفة، ثم تتباعد على شكل مروحة تغطي جميع أحياء مدينة دمشق تنتشر في جميع مناطق غوطة دمشق مشكلة بهذه الشريانات شبكة ري الغوطة. وفي مجرى النهر عند وادي بردى، يتلقى النهر عدة ينابيع أهمها نبع الفيجة، الذي يضاعف في غزارة وحجم مياه بردى، ويخترق المجرى الأصلي لبردى، دمشق والغوطة في اتجاه الشرق والشمال الشرقي، حتى يصل إلى سبخة العتيبة[36].

وتقدر مساحة حوض تصريف نهر بردى قبل دمشق (180 كم2) بغزارة قدرها (11 م3\ ثا) كحد أقصى، ويبلغ طوله بأكمله من منبعه حتى مصبه حوالي 71 كم[37].

وتقدره دراسات أخرى بأقل أو أكثر من ذلك ببضعة كيلو مترات، نتيجة تغير موقع مصبه في مستنقع العتيبة، مثل الأستاذ محمد شفيق الصفدي، الذي يقدره بحوالي 76 كم[38].

- **نهر الأعوج:**

هو شريان الحياة الثاني لحوضة دمشق، من حيث أهميته كمصدر مائي ثاني للحوضة، إلا أنه لا يقارن بما يقدمه نهر بردى من خيرات للحوض وساكنيه[39].

يبلغ طوله حوالي 66 كم، ومتوسط غزارته 2,5 م3\ثا وترتفع حتى 15 م3\ثا في فصول الفيضان، وتنخفض إلى 0,7 م3\ثا في أوقات الشح[40]، ويقدر معدل التصريف السنوي بنحو 100 مليون م3، 80 بالمائة منه يقدمها الأعوج الأم، و20 بالمائة يأتي بها نهر السبيراني[41].

---

35 عبد السلام، عادل، 1990: ص 358.

36 طرقجي، أحمد فرزة، 2008: ص 133.

37 عبد السلام، عادل، 1982: ص 15- 16.

38 الصفدي، محمد شفيق، 2008: ص 242.

39 الدمشقي، محمد حسين العطار، 1984: ص 115.

40 عبد السلام، عادل، 1982: ص 16.

41 غنيم، نجمة دمشق، 2008: ص 80.

ينشأ نهر الأعوج ضمن المنحدرات الشرقية لجبل الشيخ، من عدد كبير من العيون والينابيع الصغيرة الدائمة الجريان، المتباعدة المواقع، والمتباينة الارتفاعات، يسير نحو الشرق ليلتقي بالأعوج الأصلي غرب سعسع، ثم يتابع سيره نحو الشمال الشرقي ليستقبل رافده الرئيسي نهر السبيراني، ويسير شرقاً بأكواع وتعرجات كثيرة، ومن هنا أخذ النهر اسمه الأعوج، وبعد هذه العين بحوالي 1,5 كم، ينقسم نهر الأعوج إلى قسمين رئيسيين هما[42] :

- الأعوج الداراني: نسبة إلى قرية داريا، يسير نحو الشمال، ويقوم بتزويد أراضي داريا الجنوبية والمعضمية والجديدة وصحنايا، ثم ينتهي في بساتين داريا والقدم.

- الأعوج الكسواني: وهو يسير نحو الشرق بتعاريج عديدة، ويختص بقرى ناحية الكسوة، وينتهي في بحيرة الهيجانة.

وعلى العموم، إن مياه الأعوج كانت تنضب بعد قرية نجها خلال فصل الصيف، وكانت مياه النهر في النصف الأول من القرن العشرين تغذي جميع القنوات القريبة من مجراه بمياه الشرب أو الري، وما يزيد عنها كان ينتهي إلى منخفض الهيجانة لتشكل فيه بحيرة، ولكن تم شق قناة تحويلية حوّل عبرها مياه الأعوج عن مسارها إلى منخفض في أراضي بير القصب عام 1940م[43].

- **نهر منين:**

نهر صغير لا يتجاوز طوله 13 كم يتكون من نبع منين الواقع في قلب بلدة منين، ويقدر متوسط غزارته 1 م3 \ثا، يجف في أواخر فصل الصيف وينتهي في قناة نهر يزيد، وتستفيد من مياهه بلدة منين والتل وحرنة وبرزة[44].

---

[42] عبد السلام، عادل، 1990: ص 360.

[43] خير، صفوح، 1966: ص 132

[44] عبد السلام، عادل، 1986: ص 14.

ب- الينابيع والعيون:

تكثر العيون والينابيع في حوضة دمشق وخاصة في الأجزاء الجبلية منها بينما تكون أقل عدداً في المنطقة السهلية، كما تقل العيون المهمة، بل وتندر في منطقة الغوطة والمرج، في حين تكثر على طول الشريط الفاصل بينهما في نطاق الانتقال من التوضعات الرسوبية اللحقية لمنطقة الغوطة، إلى الرسوبيات البحيرية لمنطقة المرج.

كما وتقوم هذه الينابيع في أرض الحوضة بدور مهم في إعادة الحياة للعديد من القنوات والمجاري النهرية والجداول، كما شاهدنا بالنسبة لنهري بردى والأعوج مثل عيون القلايا (الألايا) وأوتايا، وهناك عدد من الينابيع المهمة التي تشكل أنهاراً صغيرة محلية، أهمها عيون الحاروش التي تشكل نهر الحاروش أو (الشويحة) وغيرها ....

إن معظم الينابيع المذكورة وأمثالها الأقل أهمية، كانت وراء قيام معظم التجمعات السكانية القديمة الواقعة بعيدة عن الأنهار الجارية والقنوات المائية التي تزودها الينابيع بالمياه العذبة في حوضة دمشق.

أما الينابيع الكبرى في حوضة دمشق فأهمها على الإطلاق نبع الفيجة، ثم نبع بردى، ثم ينابيع بيت جن، والأخيرة هي مجموعة متفرقة على امتداد وادي الجناني[45].

- **نبع الفيجة:**

يقع نبع الفيجة غربي بلدة الفيجة، في الجزء الجبلي من وادي نهر بردى وعلى جانبه الأيسر، على بعد 18 كم من بداية النهر، وهو من النموذج الكارستي المتفجر من الصخور الكارستية العائدة للكريتاسي الأوسط[46].

يرتفع نبع الفيجة حوالي 824 متر عن سطح البحر، ويقدر متوسط تصريفه السنوي (6,8 م3\ثا) خلال العام، ويرتفع من (11 إلى 20 م 3\ثا) في موسم التفجر السنوي في آذار – نيسان من العام، وينخفض من (2 إلى 3 م3\ثا) في أيلول – تشرين الأول من العام[47].

---

[45] عبد السلام، عادل، 1990: ص 361- 362.

[46] عبد السلام، عادل، 1986: ص 7.

[47] الصفدي، محمد شفيق، 2008: ص 237- 238.

تعد مياه نبع الفيجة من أجود الينابيع السورية وأنقاها، وترفد نهر بردى فترفع غزارته إلى الضعفين والنصف، مما كان له أكبر الأثر في زيادة تصريف أقنيته لري أراضي الغوطة وتموين مدينة دمشق بشبكة مياهها الجارية تحت منازلها وعبرها منذ قرون وقرون، مما جعل من دمشق و غوطتها درة الشرق.

ومما تجدر الإشارة إليه وجود نبع صغير غربي نبع الفيجة على بعد 55 م منه، وهو نبع الحاروش، يجف خلال فصل الخريف، وكذلك مجموعة عيون الريحان الصغيرة شرقي البلدة، وكذلك عين السادات القريبة منها، ويستفاد من مياه هذه الينابيع في ري البساتين والأراضي[48].

- **نبع بردى:**

يقع نبع بردى في الزاوية الجنوبية الغربية من سهل الزبداني على ارتفاع (1102) م عن سطح البحر، وعلى بعد 7كم من مدينة الزبداني. تتفجر مياهه من قاعدة الشير (أو الشيخ) منصور من خزان جوفي في الصخور الكلسية، ويشكل تجمع مياهه بركة بل بحيرة صغيرة تقدر مساحتها بحوالي 650 م2 تخرج منها المياه نحو الشرق مكونة بداية نهر بردى المسمى باسمه[49].

يقدر متوسط تصريف نبع بردى حوالي (3,32 م3\ثا) خلال العام، ويرتفع (من 3,50 إلى 6,50 م3\ثا) خلال فترة تفجر النبع السنوي في آذار ونيسان من العام، وينخفض (من 1,50 إلى 1 م3\ثا) خلال فترة الشح في أيلول – تشرين الأول من العام، ومياهه صالحة لجميع الأغراض والاستعمالات[50].

ويوجد في الحوضة العديد من الينابيع الأخرى الأقل غزارة وأهمية، والتي تروي الأراضي والبساتين المحيطة، نذكر منها عين الطبيبة، وعيون الحاروش، وعيون الألايا (أو القلايا)، وهي من أهم مصادر المياه في منطقة المرج، وعين الخضرا، وينابيع العراد وغيرها[51]...

[48] عبد السلام، عادل، 1986: ص 7.
[49] خير، صفوح، 2008: ص 81.
[50] الصفدي، محمد شفيق، 2008: ص 234 –235.
[51] عبد السلام، عادل، 1986: ص 8.

ت- المياه الجوفية:

تمتلك حوضة دمشق ثروة مهمة من المياه الجوفية تقدر بنحو 22,5 بالمائة من مجموع المياه العذبة للحوضة، وهي معظمها قريبة من السطح، وتزداد قرباً باتجاه منخفض العتيبة حيث تظهر على سطح الأرض، وتشكل المستنقعات إثر فصل مطر غزير، وتعد بحيرة العتيبة مركز التوازن المائي للطبقة المائية الجوفية، حيث تظهر على سطح الأرض وتتعرض للتبخر. لكنها -أي البحيرة- فقدت أو كادت تفقد هذا الدور نتيجة جفافها معظم أيام السنة أولاً، ولتعدد السنوات التي تجف فيها كليا[52].

تتغذى المياه الجوفية في الحوضة من مصدرين هامين، هما الأمطار المحلية وهي قليلة الأهمية، والمياه الواردة إليه من الكتل الجبلية الغربية والمرتفعات المحيطة به. وتتميز هذه المياه بجودتها في قرى الغوطة، لكنها تصبح ذات ملوحة واضحة كلما اقتربنا من العتيبة – الهيجانة[53].

وأخيراً تعد هذه المياه من الموارد المهمة للحوضة، وخاصة في منطقة الغوطة شبه الصحراوية، حيث أنها تعوض إلى حد ما عن المياه السطحية التي تقل كثيراً في الأقسام الجنوبية من الغوطة، وتصبح المياه الجوفية أساساً لتوزيع السكان، إذ أنها تقرر مكان نشوء مواقعهم وحضاراتهم وذلك منذ أقدم العصور[54].

5 – الغوطة والمرج في حوضة دمشق:

الغوطة هي الأرض الغنية بالمياه وبالنباتات النضرة، أما المرج فهو الأرض الواسعة ذات الكلأ والنبات، وترعى فيها الدواب[55].

تعود نشأة الغوطة والمرج إلى أواخر عصر الفورم، حيث أنه تراجعت أعمال الترسيب المائي – الجاري، نتيجة للتغيرات المناخية المائلة للجفاف والدفء، ولتناقص كميات الأمطار، وتصريف المياه الجارية في الأنهار والأودية، ومن ثم انخفاض كميات محمولاتها، واستمر هذا الواقع وبشكل متزايد ومعايير متباينة عبر عصر الهولوسن (الرباعي الحديث) وإلى يومنا هذا، فكان نتيجته تحول أكثر من النصف

---

[52] عبد السلام، عادل، 1990: ص 362.

[53] طرقجي، أحمد فرزة، 2008: ص 137.

[54] خير، صفوح، 1966: ص135.

[55] الحموي، ياقوت، 1957: ص 100.

الغربي من حوضة دمشق إلى كورة مغشاة بغطاء من اللحقيات، نعرفها اليوم بالغوطة، وبقاء القسم الشرقي منها أرضاً كانت قاع بحيرة الرباعي الأعلى، تراجعت عنها مياه البحيرة، ولم يبق منها سوى مستنقع العتيبة اليوم، ويعرف هذا الجزء بكورة المرج، التي تغلب عليها ترسبات المارن والكلس والأملاح[56]. ومع ذلك تشاهد مساحات صغيرة من اللحقيات الحديثة تظهر على سطح المرج، على امتداد واديي نهر بردى وتفرعاته، ونهر الأعوج. وبناءاً على، هذا يمكن القول: إن الحدود الفاصلة بين كل من الكورتين هي الحدود الطبيعية بين أراضي الرسوبيات اللحقية في الغوطة، وأراضي الرسوبيات البحيرية في المرج[57].

ويعد الباحث" رينه دوسو" Dussaud من أوائل الذين ميزوا بين الغوطة وما يجاورها تمييزا واضحاً، حينما وصفها بأنها البقعة المروية حول دمشق، والواقعة فيما بين الجبل والبحيرتين (بحيرة الهيجانة والعتيبة) [58]. ثم جاء بعده في أواخر القرن التاسع عشر كوينيه، الذي تحدث عن الحدود الإدارية بين الغوطة والمرج، حيث أشار إلى عدد من القرى، فقال إن قضاء دمشق يتألف من المدينة والبساتين التي تحيط بها (وهي الغوطة)، وتشتمل على 29 قرية، ثم السهل (وهو المرج) ويضم 25 قرية[59].

لم يحدد الكتّاب القدامى الغوطة تحديدا دقيقاً، واكتفوا بذكر أبعادها وأوصافها، فجاءت مختلفة متباينة بحسب ما رآها كل منهم في عصره، فكانت رقعتها تتسع وتنكمش تبعاً للظروف الطبيعية والبشرية. وفي حال انتقلنا إلى أبحاث الكتّاب المعاصرين، فإننا نجد بعض الخلافات بين الحدود التي رسمها كل منهم،وذلك تبعاً لاختلاف العوامل التي اتخذوها أساساً للتميز بين الغوطة والمرج. أما المرج والذي تقدر مساحته بضعفي مساحة الغوطة، فيمتد بين الغوطة غرباً، وبحيرة العتيبة شرقاً، وتشكل طلائع البادية الشامية حداً طبيعياً يتمم بحيرة العتيبة في الشرق. ويشكل نهر الأعوج الذي تصب مياهه في بحيرة الهيجانة حد المرج الجنوبي تقريبا[60].

---

[56] علي، محمد كرد، 1949: ص 86.

[57] خير، صفوح، 1966: ص 63- 64.

[58] اليسياف، نيكيتا، 2011: ص 9.

[59] خير، صفوح، 2008: ص 59.

[60] عبد السلام، 1982: ص 116.

لاشك أن المرج يعتبر امتداداً طبيعياً لغوطة دمشق، لكنه يشكل في كل ظاهرة من ظواهره مرحلة انتقال إلى البادية، وليست تسمية المرج والغوطة مجرد تسمية اعتباطية بل هناك اختلافات عديدة كانت الأساس الثابت لتقسيم حوضة دمشق إلى كورتين (الغوطة والمرج)، سواء في المظهر الطبيعي العام، فالغوطة عبارة عن غابة كثيفة خضراء والمرج أرضاً منبسطة سهبية واسعة تتخللها بعض الجزر النباتية المتفرقة. أو في التربة، فمن المعروف اختلاف لون التربة بين هاتين المنطقتين. فالغوطة تربتها سوداء كونها تتكون من رواسب نهرية وسيلية، والمرج تربته بيضاء لأن أساس تربته طين بحيري جيري[61].

كما نجد الاختلاف بينهما أيضاً في المياه الجوفية حيث أن منسوب المياه في المرج يقترب كثيرا من سطح الأرض، مما يؤدي لعدم نجاح زراعة الأشجار المثمرة فيه. وفي المياه السطحية والتي تعد من أبرز مظاهر الاختلاف بين الغوطة والمرج، فالشبكة المائية الواسعة التي يشكلها نهر بردى وورافده في أراضي الغوطة، لانرى منها في المرج سوى نهاياتها. فالمياه السطحية في المرج لا تشكل أنهار دائمة الجريان إلا نادراً. ولا بد لنا من ذكر المناخ، فبالرغم من أن المرج هو امتداد طبيعي لغوطة دمشق في الشرق، إلا أنه يمثل في الوقت نفسه منطقة انتقال مناخي إلى بادية الشام، مما يجعل الفروق الحرارية اليومية والفصلية فيه أشد تباينا، وتصبح المنطقة أكثر عرضة للرياح، وتقل أمطاره تدريجياً باتجاه الشرق[62]. كل ذلك ينعكس جلياً على النظام الزراعي، والتشجير، وتربية الحيوانات في المنطقتين فتكون الزراعة في الغوطة كثيفة جداً. ولذلك انتشرت مهنة الرعي في المرج بشكل كبير[63].

كل ما سبق يجعل من الصعب علينا رسم حدود دقيقة لنهاية الغوطة وبداية المرج، بالرغم من المحاولات العديدة التي قام بها عدد من الباحثين، منهم عادل عبد السلام عام 1955م، فرسمها تبدأ من أرض عدرا في الشمال راسمة قوساً محدباً باتجاه الغرب، وتنتهي في وادي نهر الأعوج. ولكن هذه الحدود لم تكن نهائية، بل كانت متغيرة دوماً بحيث لم يعد من الممكن رسمها لسرعة تغيرها، نتيجة التطورات التي تعيشها حوضة دمشق، من زحف التصحر من الشرق، وزحف التصحير العمراني من

[61] أبو نقطة، فلاح، 2008: ص 349 .

[62] خير، صفوح، 1966: ص 25- 26.

[63] خليل، عماد الدين، 2008: ص 169.

الغرب، ومن قلب القرى والبلدات في الغوطة والمرج، وزحف البساتين والأراضي المروية باتجاه المرج، على الرغم من الخصوبة المتدنية لتربة المرج مقارنة بتربة الغوطة العالية الجودة[64].

بعد أن درسنا حوضة دمشق من الناحية الجغرافية، وكيفية نشوءها وتكونها، وغناها بالموارد المائية ومناخها وتربتها المناسبة للقيام بالزراعات المتنوعة، يمكننا أن نعرف السبب الذي جذب إليها السكان منذ أقدم العصور للاستيطان بها. سنتطرق بعدها للبيئة القديمة في تلك الفترة لنتعرف على بيئة حوضة دمشق القديمة.

ثانيا: البيئة القديمة في حوضة دمشق:

1 – التغيرات المناخية والبيئية بين نهاية البليستوسين وبداية الهولوسن:

تحسن المناخ في نهاية البليستوسين pleistocene، وتراجع الجليد إلى مكانه الحالي في القطب المتجمد الشمالي، وتهيأت مناطق جديدة في اليابسة أمام الإنسان، وبدأت المناطق تأخذ شكلها الجغرافي الحالي، حيث ثبت توزيع المحيطات واليابسة مثل ما هي عليه الآن، واستقر الغطاء النباتي والحيواني الحالي. إن فترة الدفء هذه كانت بداية عصر جديد تماماً يلي العصور الجليدية، أطلق عليه الباحثون اسم الهولوسن Holocene،ويقصد من هذه التسمية الزمن الحديث جداً ، فهي تتألف من Holos وتعني جدا، وKainos أي حديث. وقد بدأ الهولوسن منذ الألف العاشر ق.م وما زال مستمراً حتى الآن[65].

ونتيجة لقرب عصر الهولوسن الزمني، فإن دلائله كانت أكثر، وقد دُرس بشكل جيد من خلال الترسبات والبقايا المستحاثية، وأشكال الشواطئ البحرية القديمة، ودلت الدراسات أنه تعرض لتقلبات مناخية مختلفة، وانتقل فيه الطقس بين البارد والدافئ. ويعكس المناخ في المشرق العربي القديم مع نهاية البليستوسين وبداية الهولوسن الوضع العام لنصف الكرة الشمالي.

وللبحث بشكل أكثر تفصيلاً في التغيرات المناخية في منطقة المشرق العربي القديم، سنقوم بالتوسع في مراحلها من خلال التحاليل الدقيقة والمتطورة لعينات أُخذت من مناطق تسجل التغيرات

---

64 عبد السلام، عادل، 2008: ص 118.

65 محيسن، سلطان، 2005: ص 22.

المناخية، مثل البحيرات والبحار والمحيطات، وبخاصة البحر الميت، وإذا بحثنا في مختلف المعطيات المتوفرة لدينا يمكننا أن نؤكد أن هذا العصر، قد مر بعدة أطوار مناخية واضحة[66].

أقصى درجات البرودة: كانت الفترة الواقعة بين 18000 – 14500 ق.م أكثر رطوبة في مناطق المشرق المركزي من مناطق المشرق الجنوبي، وقد لاحظنا ذلك من سويتان منخفضتان واضحتان في البحر الميت[67].

في هذه الفترة تدنى الغطاء النباتي كثيراً في الشرق، وسيطرت النباتات القصيرة، أما الأشجار فلم تكن نسبتها أكثر من 20 % من حبيبات غبار الطلع، وعثر في جنوب الأردن على نباتات رجل الأوزة، وهذه كلها تدل على بيئة باردة، ولوحظ في منطقة وادي عياد بالقرب من تدمر على توضعات غرينية عضوية تدل على البرودة الشديدة أيضا[68].

الاعتدال المناخي في نهاية العصر الجليدي: شهدت المنطقة ما بين 15000 – 11000 ق.م مناخاً حاراً ورطباً، نمت فيه الأشجار وبخاصة البلوط، مقابل تراجع النباتات القصيرة، كما وارتفع مستوى البحر الميت بشكل كبير، لكن هذه الفترة لم تكن رطبة دوماً، فقد عرفت عودة للجفاف وربما للبرودة النسبية أيضاً في حوالي 13000- 12000 ق.م.

ترتفع نسبة الأشجار وتعود اللوزيات للظهور في الحولة حوالي 15000 ق.م، كما ويرتفع مستوى البحر الميت حتى 180م عن المستوى الحالي، في جنوبي الأردن حوالي 15000 ق.م كانت الأشجار تشكل حوالي 8% ثم ترتفع نسبتها حتى 20% في هذه المرحلة من التحسن المناخي، وذلك حتى 11000ق.م حيث يعود البرد من جديد، ويبدو هذا أوضح في منطقة الغاب حيث تقل نسبة الأشجار في مواقع هايونيم وسامره 2[69].

---

[66] عبد الرحمن، عمار، 2009: ص 22- 23.

[67] Sanlaville, P. 1997: p 251 – 252.

[68] Sanlaville, P. 1999: p 26- 27.

[69] Sanlaville, P. 1999: p. 27- 28.

أما في المشرق الشمالي، جمعت في موقع أبو هريرة من السوية A I حبوب برية من قمح وشعير وفواكه كالخوخ، والإجاص والزعرور، وقد دلت على غابة متوسطية كانت منتشرة على مساحة أكبر بكثير من الآن، وعلى أن الحرارة كانت أدنى بحوالي 2 – 3 درجة مئوية من الآن[70].

الطور البارد الجاف الدرياسي الحديث: تعرضت منطقة المشرق العربي القديم لفترة باردة وجافة مابين 11000 – 12000 ق.م، ولم يقتصر هذا التغيير على منطقة المشرق بل عّم الكوكب كله[71].

انخفض في هذه الفترة مستوى البحر الميت حتى 700م، وتحولت البحيرات المغلقة إلى سبخات، وتناقصت الأشجار في الغابات والسهوب أيضاً، مقابل ارتفاع حاد في نسبة نبات رجل الأوزة[72].

ولاحظنا حصول جفاف في بعض مواقع هذه الفترة مثل الصليبية XI و I وعين ملاحة وهايونيم B,C والخيام[73].

ولكن يبقى موقع أبو هريرة هو الوحيد في منطقة المشرق العربي القديم الذي يوضح لنا التغيرات البيئية الهامة في عصر درياس الحديث، والتي أرخت بشكل جيد، حيث كان الاستهلاك فيه قد اقتصر على الحبوب البرية و النباتات العشبية، ثم يتوقف حوالي 10600 ق.م استهلاك هذه النباتات العشبية والحبوب البرية ويزداد استهلاك النباتات ذات الحبوب الصغيرة التي تأقلمت مع الجفاف[74].

الهولوسن المثالي: بعد فترة الجفاف والبرود شهدت منطقة المشرق العربي القديم مع بداية الهولوسن في الألف العاشرق.م ارتفاعاً سريعاً في درجات الحرارة، وارتفاعاً في مستوى البحر الميت، مع ازدياد أعداد الأشجار في الغاب، وصلت لحوالي 80% وبخاصة اللوزيات.

---

70 Aurenche, O. & Kaziowski, K. 1999: p. 15 – 17.

71 Sanlaville, P. 1999: p. 29.

72 Leroi- Gourhan, A. & Darmon, F. 1991: p. 21- 26.

73 Sanlaville, P. 1997: p. 253.

74 Cauvin, J. et (als.). 1998: p. 56.

تظهر لنا معطيات النباتات القديمة ازدياد معدل الأمطار في بداية الخيامي، وانتشرت في المرحلة السلطانية، فقد تميز غور الأردن، والجليل، ونتف هغدود بشروط مناسبة، حيث كانت النباتات المائية، وفيرة واصطيد الوعل والأبقار، وارتفعت نسبة طلعيات الأشجار حتى 18%[75].

بعد 9000 ق.م تحسنت الظروف المناخية وبخاصة في المروج الصحراوية، فقد عثر على الأرخص في عين غزال والبيضا والنقب.

أما بعد 8800- 8500 ق.م زرع القمح والشعير حول موقع جليلات V في منطقة الأزرق في المشرق الجنوبي.

وبالنسبة لمنطقة بلاد الشام الشمالية أثبتت الدراسات التي قام بها الباحث الأميركي فرانك هول Frank Hole في منطقة الجزيرة السورية، أن هذا المناخ الهولوسوني المثالي قد ساد في تلك المنطقة[76].

بينما يرى الباحث بوتيما Bottema أن الجزيرة السورية كانت أكثر جفافاً مما هي عليه اليوم، إذ يؤكد أن الحرارة كانت مرتفعة في الهولوسن في الفترات التي سبقتها، بينما كانت بلاد الشام الجنوبية أكثر رطوبة بفضل الأمطار الموسمية[77].

أما في وادي البليخ، فربما كانت زراعة الحبوب فيها مروية، أو على الأقل كانت الأراضي لحقية رطبة، ولكن يتساءل الباحث أكرمينس P.Akkermans رداً على فرضية بوتيما: كيف لم يكن المناخ رطباً في منطقة الجزيرة مع العلم أن وادي البليخ كان مستنقعياً؟[78]

من الدراسات التي تمت في منطقة حوض دمشق على عينات غبار الطلع من ثلاث مستوطنات فيها (تل رماد، تل الغريفة، تل أسود) والتي تغطي كلها فترة 1000 إلى 8000 سنة ق.م، كلها تشير إلى نمو نباتات سهلية فيها[79]. وسنتطرق لها بالتفصيل لاحقاً.

---

[75] Aurenche, O. & Kaziowski, K. 1999: p. 20 -21.
[76] Hole, F. 1994: p. 123.
[77] Bottema, S. 1989: p. 5-8.
[78] Akkermans, P. 1998: p. 444.
[79] Bottema, S. & Zeist, W.V. 1980: p. 116 – 117.

2 – السكان والبيئة القديمة:

كان للفترة الزمنية الممتدة بين 17000 حتى 7000 ق.م وما حملته في طياتها من استقرار أول في المنطقة والعالم، إضافة لتقلبات المناخ ودرجات الحرارة، أثرها الملحوظ على الحيوان والنبات، وبالتالي على الإنسان، كل هذا دفع الباحثون إلى تركيز الاهتمام على المناخ، من أجل فهم تاريخ تلك الفترة بشكل أفضل، وقد عزى الباحثون كل ملامح الثورة النيوليتية وما رافقها من ابتكارات كالزراعة، إلى تحسن المناخ في فترة الهولوسن، واعتبروه الدافع الأول والمباشر لهذا الانعطاف التاريخي الهام[80].

وسنحاول ربط التبدلات المناخية مع الاستيطان البشري في المنطقة، والبداية مع الفترة الكبارية الممتدة من 19000 حتى 14500 ق.م، حيث كانت المواقع قليلة العدد، وتعاصر فترات البرد والجفاف في نهاية العصر الجليدي.

أما في الكباري الهندسي 14500 حتى 12500 ق.م فإنهيزداد عدد المواقع وامتدادها أبعد بكثير من مناطق المزروعات المطرية الحالية، ويتزامن ذلك مع طور مهم من التحسن المناخي من 15000 حتى 13000 ق.م.

وفي الفترة النطوفية الواقعة بين 12500 و 10000 ق.م يبدأ الاستقرار بالظهور، وذلك نتيجة للمناخ الملائم. في عصر ألّرود Allerod 12000 – 11000 ق.م، أصبحت المواقع كثيرة وممتدة على نطاق واسع من وادي الأردن جنوباً حتى سهول الجزيرة السورية وسفوح جبال طوروس وزاغروس شمالاً، ومن سهول عربستان في الشرق حتى سيناء في الغرب، وهذه المنطقة تعرف بالهلال الخصيب، والتي كانت حاضنة لما يعرف بالثورة النيوليتية[81].

يوجد في مواقع هذه الفترة دلائل واضحة على قيام السكان بالقطاف المنهجي لحبوب وثمار متنوعة وبخاصة الغنية بالبروتينات، وهي ثلاثة أنواع من الزروع البرية: القمح الذي يسمى بر القفقاس (Triticum boeticum)، والقمح النشوي (Triticum-disoccoides)، والشعير

[80] Sanlaville, P. 1999: p. 29.

[81] Bellwood, P. 2005: p. 44.

(Hordeum spontaneum)، وثلاثة أنواع من القرنيات (Lens spو Vicia sp وPisum sp)، وثمار شجر الفستق (pistacia sp)، والبلوط (Quercus sp).

أما الصيد، فقد بقي يشكل الجزء الأساسي من المصادر البروتينية، ومن أهم الحيوانات التي اصطيدت، هي الغزال (Gazella)، والمعزيات (Capra)، والأغنام (Ovis orientalis)، وكلها برية، ثم تأتي بعد ذلك الايليات، الخنزير (Sus scrof)، والخيليات (Equs hermionus)، والأرخص (Bos primigenius)[82].

نلاحظ بأنه اختلف تواجد هذه الحيوانات بحسب المناطق الحيوية المفترضة، فقد فضلت الغزلان والايليات المناطق ذات المشاهد المفتوحة من النمط السهوبي، أما لأوساط الأكثر تشجيراً مثل المناطق الجبلية، فكانت تعمرها الايليات والمعزيات، بالنسبة للمناطق النباتية فإن هذه الفضاءات الحيوية كان يمكن أن تتغير تبعاً للتغيرات المناخية، ونلاحظ هذا التفاوت بشكل خاص في زاغروس، حيث تُظهر الدراسات الخاصة شبه غياب للأشجار، وهذا ما تؤكده الدراسات من موقعي أبو هريرة والمريبط I التي أثبتت سيطرة الغلال فيها، ويوحي هذا ببيئة سهوبية، وهي إشارة بالغة الأهمية في المنطقة الداخلية من الهلال الخصيب التي لا نملك بالنسبة لها معطيات من غبار الطلع[83].

عاصرت الفترة النطوفية فترة تقلب مناخي بين 13000 و 12000 سنة ق.م بينما عاصرت نهايات النطوفي الطور البارد للدرياس الأخير الذي شهد التخلي عن العديد من المناطق وتراجع سكانها إلى المناطق الأقل ملاءمة، كأبو هريرة، وأريحا، والبيضا، والكوم وغيرها وذلك لحوالي ألف سنة فقط[84].

بعد ذلك يبدأ العصر الخيامي، العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ PPNA من 10000 حتى 83000 ق.م، في بدايته ينتهي عصر الدرياس الحديث، ويستمر التحسن المناخي حتى

---

[82] Verhoeven, M. 2004: p.184.

[83] Moore, A.M.T. & Hillman, G. 1992: p. 482 – 485.

[84] Besancon, J. & Geyer, B. 1995: p 308.

العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب PPNB، وتنتشر المواقع النيوليتية في مناطق لم تسكن من قبل، وتصبح الكثافة السكانية أكثر في الموقع الواحد[85].

مع بداية الألف السابع ق.م ونهاية الـ PPNB ينخفض عدد المواقع النيوليتية، وهو ما أطلق عليه الباحث رولفسون G.Rollefson العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ج PPNC حيث تهجر أغلب المواقع في المشرق القديم ما عدا البعض منها، ويتزامن هذا مع الجفاف الحاصل مع بداية الألف الثامن ق.م، وقد تحول أغلب السكان إلى الرعي[86].

وفي هذه الفترة حصل فجوة حضارية في منطقة المشرق الجنوبي، حيث هجرت أغلب المواقع، أما في منطقة الجزيرة السورية، فشهد استمرار للاستيطان، وهذا ما دلت عليه مواقع تل أسود والدامشلية على البليخ، وبقرص على الفرات. وكانت تسكن لفترة وجيزة وحدث هذا بسبب عدم استقرار الطقس[87].

وبدءا من حوالي 6000 ق.م، لم يعد للبيئة والمناخ دور مهم ليس لأن الاضطرابات المناخية غدت أقل حدة فقط، ولكن لأن البشر قد أصبحوا أفضل استعداداً للتصدي لها، وأعدادهم أكبر، وإمكانياتهم أفضل للتأقلم مع الطبيعة[88].

هكذا نلاحظ أن التغيرات المناخية التي عرفتها مناطق المشرق العربي القديم ما بين البليستوسين والهولوسن، كان لها انعكاسات هامة على ما يبدو في حياة المجتمعات البشرية.

3 – البيئة القديمة في حوضة دمشق:

كانت حوضة دمشقوسطاً غنياً بالموارد البيئية وخاصة المواقع التي تقع بالقرب من بحيرة العتيبة، حيث كانت بوقتها أكبر وأكثر اتساعاً، وكانت مطوقة بسبخات قدمت لنا النباتات كالقصب، والأثل

---

[85] Moore, A.M.T. 1978: p.286 – 289.

[86] Rollefson, G. & Simmons, A. 1990: p. 448.

[87] Hole, F. 1998: p.139- 148.

[88] Sanlaville, P. 1999: p. 33.

والدردار، والحور، والعشب وغير ذلك، والحيوانات المائية كالسمك، والبط، والكركي، والوز، وغيرها من طيور الماء.

وبما أن معدل الأمطار كان ضعيف نوعاً ما، ولا يسمح بالنمو التلقائي للمزروعات البرية، كانت الأراضي الرسوبية الملائمة جداً للزراعات والقريبة من البحيرة مزروعة حتماً.

ظهرت الزراعة في تل أسود مع بداية الاستيطان فيه فكانت حياة المجموعة معتمدة على زراعة الحبوب كالقمح النشوي (Triticum Dicoccum) القمح وحيد الحبة، والبقول كالعدس والحمص، وفي فترة لاحقة ظهرت زراعة الشعير،لكنه كان لا يزال يأخذ شكلاً برياً (Hordeu Spntaneum) الأمر الذي يفترض أنه تأخر طويلاً في الترجمة الشكلانية لزراعته[89].

ويرى العلماء أن سكان تل أسود أتوا من منطقة أخرى، إذ لم يكن أسود مسكوناً قبل العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب، فهذا يعني أنهم جاؤوا من مناطق أخرى حاملين معهم هذه البذار التي لم تكن موجودة في الحوضة، ويرجح أنهم أتوا من جبال لبنان الشرقية المجاورة حيث كانت توجد تلك الأنواع النباتية خلال هذه الفترة[90].

كما قاموا بجني بعض النباتات التي كانت قسم من البيئة الطبيعية للموقع، كالفستق، والتين، واللوز، وزهر الكَبر، والعنب وغيرها. ومن المحتمل جداً أنهم قاموا بتربية الماعز، والأغنام، والأبقار، والخنازير من أجل لحمها، وصوفها، وحليبها. واستمروا بالصيد البري كالغزال، والخنازير البرية، والوعل الأحمر وغيرها، وكذلك الصيد المائي من البحيرة كالأسماك، والطيور المائية[91].

وكان هو الحال نفسه بالنسبة لموقع تل الغريفة، كان قرية زراعية بالدرجة الأولى، قام سكانها بزراعة الحبوب، حيث عثر على قمح وحيد الحبة (Triticum Dicoccum)، وقمح ثنائي الحبة (Triticum Monococcum)، والشعير، ولكن بشكل متطور عن تل أسود، والبقول، كالعدس والحمص. وقاموا بقطف الثمار البرية كالفستق، واللوز، واستخدموا القصب أيضاً، فتظهر أثاره

---

[89] Van Zeist, W. & Bakker-Heeres, J.A.H. 1979: p. 168.

[90] طالبي عادل، 1999: ص 21.

[91] Van Zeist, W. & Bakker-Heeres, J.A.H. 1982: p. 188-189.

في البناء، وفي صنع السلال وغيرها. من ناحية الغذاء الحيواني اصطادوا الحيوانات نفسها الموجودة في تل أسود، كالغزال والخنزير البري وغيرها. كما تظهر آثار تربية ماعز أيضا[92].

وكما في موقعي تل أسود وتل الغريفة كانت الزراعة أساس الاقتصاد في تل الرماد، وتدل المعلومات أن السكان الأوائل قد جلبوا معهم طريقة زراعة هذه الحبوب من مكان ما، فزرعوا القمح النشوي وثنائي الحبة (الشكل 6) والشعير، في حين فضلوا العدس في الأراضي ذات الأصل البركاني، وظهرت فيه الشواهد الأولى على الأطلاق لزراعة الكتان، وجنوا النباتات البرية نفسها وبخاصة الفستق[93]. (الشكل 7)

وكان الصيد يؤمن لهم الغذاء الحيواني، ففي السهب اصطادوا الغزال والخنازير البرية وغيرها، وفي السفوح المشجرة من جبل الحرمون (الشيخ) اصطيد الأيل والقط البري. كما قاموا بتربية الأغنام والماعز والخنازير للاستفادة منها[94].

وبذلك نلاحظ أنه منذ بداية الاستيطان في حوضة دمشق، كانت بيئتها غنية بالمعطيات النباتية والحيوانية، أسهمت بوجودها بحيرة العتيبة، واعتمد السكان بشكل أساسي على الزراعة في اقتصادهم، كما مارسوا التدجين وتربية الحيوانات ولكن بشكل أقل. كانت قرى الحوضة زراعية، حيث عرفوا منذ البداية في تل أسود زراعة الحبوب والبقول، وبشكل بسيط زراعة الشعير، التي تطورت لاحقاً في تل الغريفة، ثم استمرت هذه الزراعات في تل الرماد مع ظهور زراعات جديدة منها الكتان.

[92] Van Zeist, W. & Bakker-Heeres, J.A.H. 1982: p.203- 204.

[93]Van Zeist, W. & Bottema, S. 1966: p. 180.

[94] Hooijer, D.A. 1966: p. 195.

الفصل الثاني

العصر الحجري الحديث في حوضة دمشق

الفصل الثاني: العصر الحجري الحديث في حوضة دمشق:

أولاً : الفترة النطوفية

ثانياً : ظهور الزراعة والتدجين

ثالثاً: العصر الحجري الحديث

1 - العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ
2 - العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب
3 - العصر الحجري الحديث الفخاري

رابعاً: مواقع العصر الحجري الحديث في حوضة دمشق

1 - ملاحة جيرود
2 - باز جبعدين
3 - قوس قزح
4 - قرنة المغارة
5 - يبرود (الملجأ الثالث)
6 - تل أسود
7 - تل الغريفة
8 - تل عطنة
9 - تل الرماد

خامساً: العناصر الحضارية في العصر الحجري الحديث في حوضة دمشق

1 - العمارة
2 - الأدوات الحجرية
3 - الأدوات العظمية
4 - الفخار

5 - الفنون

أ- الدمى الإنسانية

ب- الدمى الحيوانية

ت- التماثيل البشرية

ث- الحلي

6 - ممارسات الدفن

أ- الجماجم المقولبة

العصر الحجري الحديث في حوضة دمشق

أولاً : الفترة النطوفية:

تمتد الثقافة النطوفية Natufian Culture من 12000-10000 سنة ق.م، تعتبر من أهم الفترات، كونها الثقافة التي نشأت فيها بذور الثورة النيوليتية، التي تبلورت في العصر اللاحق[95]. وبناء على ذلك سنتطرق لها، حيث أنها تشكل مدخل للعصر الحجري الحديث.

أطلق عليها الثقافة النطوفية نسبة إلى وادي نطوف (مغارة شبقة) في فلسطين، وهو المكان الأول الذي عرّف الباحثين على مميزات حضارية لفترة لم تكن معروفة من قبل. تطور النطوفيون عن أسلافهم الكباريين الهندسيين ولكن بخصوصية جديدة، فقد ازدادت رقعة السكن وتطورت الأدوات المصنعة وتبلور تجانس حضاري واحد، امتد من وادي النيل في الغرب حتى الفرات في الشرق[96].

ومن المؤكد أن المناخ المناسب لعب دوراً مهماً في تمييز الثقافة النطوفية، فكان معدل الأمطار مرتفع، والغابات منتشرة، حيث وجدت البذور البرية المناخ اللازم لها، أما المناطق التي لم تحظ بهطول مطري كاف، فقد سُكنت بشكل مؤقت لغاية الصيد[97].

بقي الاقتصاد النطوفي يعتمد في مجمله على الصيد والالتقاط، حيث سكن النطوفيين بالقرب من الخيرات الطبيعية للنباتات والحيوانات، وقاموا بجمع الحبوب البرية كالقمح والشعير وغيرها وحصدها، ومن ثم طحنها أو جرشها قبل أكلها[98].

التقط النطوفيين الجوز والبلوط واللوز والبطم والفواكه، التي نمت في الوديان والسفوح والهضاب التي سكنوها. وتغذوا بالطيور والثروات المائية وخاصة السمكية التي اصطادوها من البحيرات والمستنقعات وبعض المجاري المائية الدائمة التي أقاموا بجوارها، كبحيرة الحولة وضفاف نهر الفرات وغيرها، وقد دلت عليها الخطاطيف والصنانير وبقايا عظام الأسماك والقواقع والحلزون. كما اصطاد النطوفيون

---

95 Aurenche, O. & Kaziowski, K. 1999: p. 25.

96 محيسن، سلطان، 2005: ص 157.

97 Mellaart, J. 1975: p. 29- 30.

98 Bar- Yosef, O. and Cohen, A.B. 2000: p. 25.

الحيوانات البرية، التي اختاروها بتركيز وانتقاء واضحيين، كالغزال والماعز والخنازير والبقر وغيرها، ولكن الغزال كان الحيوان الأكثر اصطياداً، مما دفع البعض للاعتقاد أن النطوفيون قد دجنوا هذا الحيوان، ولكن يبقى هذا الاحتمال ضعيف[99].

أما بالنسبة للعمارة، سكن النطوفيون إما بالكهوف والملاجئ، أو على مصاطب أمامها، مثل موقع وادي الفلاح وكهف باز جبعدين وملجأ يبرود 3 وغيرها، أو في بيوت دائرية أو بيضوية الشكل صغيرة الحجم[100].

أما الأدوات، فقد استمرت صناعة الأدوات الحجرية الميكروليتية الهندسية Microliths لكن بأشكال جديدة، خاصة الهلالية Lunates وأطلق عليها اسم حلوان Helwan، نسبة إلى منطقة حلوان في مصر، حيث وجدت لأول مرة، إضافة إلى القليل من الأدوات الهندسية الأخرى على شكل مثلث أو مستطيل. إلى جانب ذلك عرفت الأدوات المركبة كالسكاكين والمخارز والمناجل والنصال التي ستتطور في الفترة اللاحقة. كما عثر في المواقع النطوفية على أدوات مصنوعة من الأوبسيديان وهو دليل على قيام علاقات باكرة وصلات مع الأناضول حيث تتواجد مقالع هذا الحجر [101].

بالرغم من قلة الفنون عند النطوفين، فقد صنعوا الدمى الصغيرة البسيطة والمختزلة التي جسدت أغلبها الحيوانات وبخاصة الغزال، والقلة الباقية منها دمى إنسانية[102].

دفن النطوفيون موتاهم إما في قبور فردية أو قبور جماعية، وكانت بأوضاع مختلفة إما ممددة على ظهورها، أو على جانبها، أو بوضعية الجنين، أو وضعية القرفصاء. وقد زودوهم بمرفقات مختلفة كالأساور والخواتم والأطواق، كما احتوت القبور على عظام الحيوانات، مثل عراقيب الغزلان التي وجدت في عين ملاحة، وأحياناً تميزت بتواجد كثيف للمغرة الحمراء. وبفضل هذه المدافن أصبحنا

---

[99] ميلارت، جيمس، 1990: ص 31.

[100] محيسن، سلطان، 1994: ص 18.

[101] Cauvin, M.C. 1990: p. 2-4.

[102] Bar- Yosef, O. and Cohen, A.B. 2000: p. 25- 27.

نعرف الكثير عن صفاتهم العرقية التي لا تختلف كثيراً عن صفات سكان بلاد الشام الحاليين، فهم منسوبين إلى العرق المتوسطي البدائي[103].

كانت المواقع النطوفية أكبر وأفضل تنظيماً من سابقتها، لها جميعها في مشرقنا العربي سمات عامة مشتركة من عمارة وفن ودفن وأدوات، وتختلف أحياناً في بعض التفاصيل المحلية، ويعتبر موقع عين الملاحة في وادي الأردن أحد أفضل نماذج القرى النطوفية في المشرق[104].

أما بالنسبة للمواقع النطوفية في سورية، فقد حملت نفس الصفات العامة لنظيراتها في الأردن وفلسطين، ولكن بخصوصية محلية أحياناً، وكان أهمها ملاجئ يبرود، وكهف باز جبعدين، وكهف قوس قزح، ومواقع ملاحة جيرود، وقرنة المغارة في ريف دمشق، والتي سنأتي على ذكرها بالتفصيل لاحقاً. وينتمي لهذه الفترة أيضاً كهف الديدرية في عفرين وموقع نهر الحمر بالقرب من دير الزور، والطيبة في منطقة درعا، وموقع القراصة إلى الجنوب من منطقة اللجاة، وموقعي المريبط وأبو هريرة في حوض الفرات، اللذين أتت منهما الاكتشافات الأهم، وهما يعودان إلى ثقافة النطوفي المتأخر أي حوالي الألف العاشر ق.م[105].

ثانياً : ظهور الزراعة والتدجين:

شكّل ظهور الزراعة وإنتاج الغذاء منعطفاً هاماً في التاريخ البشري، مثله مثل اختراع النار سابقاً، والثورة الصناعية لاحقاً. وتأتي هذه الأهمية نتيجة الأثر الكبير الذي أحدثته الزراعة والتدجين على جميع نواحي الحياة في العصر النيوليني، فتحول الإنسان من قاطف للثمار والنباتات البرية إلى زارع للحبوب وغيرها، ومن صائد للحيوانات البرية إلى مربي لها،مستفيداً من كل إنتاجها[106].

---

[103] Morris – Nigel, G. 2000: p. 126- 127.
[104] Mellaart, J. 1975: p. 38.
[105] Ohnuma, K. 1997: p.50- 51.
[106] Bienkowski, P. & Millard, A. 2000: p.6.

لم يحصل هذا التحول الاقتصادي فجأة بل تعود جذوره إلى الثقافة النطوفية، حيث احتاجت عملية نضوج التدجين والزراعة إلى حوالي ألفي عام حتى تعممت واكتملت عناصرهما. وأصبحت منتشرة في القرى النيوليتية بكاملها[107].

وقد أتت الإشارات الأولى إلى التدجين من الثقافة النطوفية فقد عثر على كلب مدفون في أحد قبور مغارة الواد في فلسطين. وكذلك موقع هايونيم في فلسطين العائد للثقافة النطوفية المتأخرة، يطلعنا أن سكانه قد قشروا حبوب الترمس وحمصوها من أجل استهلاكها، وتعد هذه إشارة مهمة لمعرفة تحضير النباتات البرية، وطريقة جديدة في استهلاكها[108].

وكان هناك تساؤل بين الباحثين أيهما سبق الآخر: التدجين أم الزراعة؟ فيرون أن الزراعة تقدمت على التدجين في بعض المناطق من المشرق العربي القديم (بلاد الشام)، بينما تقدم التدجين على الزراعة في مناطق أخرى (بلاد الرافدين)، وفيما بعد تعاصر الابتكاران في كل المناطق[109].

ويلاحظ أن أبكر الدلائل على معرفة الزراعة والتدجين أتت من منطقة المشرق العربي القديم وبالتحديد من سورية وفلسطين من المنطقة الممتدة من حوض الفرات شمالاً حتى حوض الأردن جنوباً مروراً بحوضة دمشق في الوسط[110].

ولكن يبقى السؤال الأهم متى وكيف نشأت الزراعة؟

لقد أثار موضوع أصل الزراعة اهتمام عدد كبير من الباحثين منذ بداية القرن العشرين فقاموا بوضع العديد من الفرضيات والتفسيرات حول أسباب ظهورها وانتشارها، فمنهم من استفاد من معطيات علمية وفرها البحث الأثري المباشر، ومنهم من سيطر على فرضياته الطابع النظري.

---

107 Hole, F. 1991: p. 49 – 50.

108 Willcox, G. 1991: p.9.

109 Hope, M. & Bar- Yosef, O. 1987: p.119.

110 محيسن، سلطان، 1994: ص 30.

وكان الباحث غولدن تشايلد G.Childe أول من تحدث منذ الثلاثينيات من القرن الماضي عن نشوء الزراعة في منطقة المشرق العربي القديم في فرضية الواحات، إلا أن أبحاثه كانت نظرية بحتة حتى جاءت اكتشافات دوروتي غارود D.Garrod من مستوطنة أريحا ودعمتها[111].

وهو يرى أن التوصل إلى معرفة الزراعة كان نتيجة الجفاف الذي حصل في نهاية البليستوسين وبداية الهولوسن، مما اضطر الإنسان والحيوانات والنباتات البرية إلى اللجوء إلى الواحات، بالتالي وبعد احتكاك الإنسان معها ومعرفة نظام عيشها ونموها وكيفية السيطرة عليها، قام بتدجينها.

وكان لهذه الفرضية أنصار مختلفين، منهم الباحث آرنولد توينبي A.toynbee الذي صاغ على أساسها نظرية التحدي والرد Challenge and Response، فالتحدي كان الجفاف من قبل الطبيعة، والرد هو قيام الإنسان بالزراعة[112].

ويرى الباحث فيليب سميث F. Smith أن اختراع الزراعة، جاء بسبب ازدياد عدد الناس بشكل كبير، فضاقت بهم الموارد الطبيعية، وكانت الزراعة والتدجين الحلين الوحيدين، وتدعى هذه فرضية الضغط السكاني Population Pressure.

وهناك فرضية أخرى يطلق عليها فرضية المناطق الهامشية Marginal Zone، التي يرى أنصارها وعلى رأسهم كنت فلانري K. Falnnery أن زيادة السكان في المناطق الخصبة دفع بعدد منهم إلى الهجرة للمناطق الهامشية المتاخمة، لكنها أقل خيراً من الأولى ومواردها لا تكفي مما دفعهم إلى ابتكار الزراعة والتدجين كتعويض عن شح الخيرات في تلك المناطق الهامشية[113].

ويرى دونالد هنري D.Henry أنه بسبب المناخ الدافئ الذي ساد في نهاية البليستوسين انتشرت الحبوب في المناطق المرتفعة. كما ساعد معرفة أدوات الطحن والجرش على الاستفادة من هذه الحبوب، وبالتالي توصل الناس للزراعة بعد توفر شرطيين مهمين هما: تحسن المناخ، وظهور الأداة للطحن.

---

[111] Willcox, G. 1991: p. 13.
[112] Bellwood, P. 2005: p. 21.
[113] Bellwood, P. 2005: p. 22 .

ويعتقد الباحث فرانك هول F. Hole أن الزراعة نشأت في حوض نهر الأردن وذلك لتوفر جميع الشروط التي تتطلبها الزراعة من حيث وجود النباتات البرية، والمناخ الملائم ومقدرة الإنسان على الابتكار[114].

ويلاحظ من كل ما سبق وجود عنصرين أساسيين هما البيئة والإنسان حيث أكدت أهميتهما الاكتشافات الأثرية، ودعمت لحد كبير فرضيتين تلتقيان حول هذه المنطقة سوف نتناولهما بإيجاز:

- فرضية الموطن الطبيعي Natural Habitat:

وتستند هذه النظرية على أعمال الباحث روبرت بريدوود R.Braidwood في موقع جارمو في شمال العراق، الذي افترض أن الزراعة قد نشأت في المناطق التي نمت فيها الحبوب البرية بالأصل، أي الموطن الطبيعي الأصلي لها[115]. حيث تم العثور على حبوب مزروعة تعود للألف السابع ق.م في موقع جارمو، والذي يقع في منطقة جبلية مرتفعة، أمطارها كافية للزراعة، وتنمو فيها الحبوب البرية.

ولكن لم يعثر فيها على دليل لجفاف مناخي أو غيره بل بقيت هذه الحبوب تنمو طيلة الفترة النيوليتية[116].

كل ذلك دعا بريدوود أن يلخص سبب نشوء الزراعة لسببين رئيسيين:

الأول: هو البيئة التي وفرت الحبوب، القمح والشعير بشكل طبيعي.

الثاني: هو الإنسان الذي توصل خلال الزمن إلى مستوى تقني ساعده على زراعة الحبوب بدلاً من التقاطها[117].

لكن تمثلت نقطة الضعف في هذه النظرية في عدم تفسير لماذا تأخر نشوء الزراعة في منطقة جارمو حتى الألف السابع، ما دام أن العاملين الأساسيين لنشوئها كانا موجودين قبل حدوث الزراعة، علماً أنه لدينا دلائل على وجود الزراعة في وقت أبكر من عدد من المواقع[118].

---

114 كفافي، زيدان، 2005: ص 134- 135.

115 Renfrew, C. & Bahn, P. 2000: p. 280.

116 Braidwood, R. J. 1960: p. 35.

117 محيسن، سلطان، 2005: ص 175.

- فرضية الفكر الاجتماعي:

توصل جاك كوفان J.Cauvin صاحب هذه النظرية من خلال تنقيباته في موقع المريبط في منطقة الفرات الأوسط في سورية، إلى أن الفكر كان العامل الرئيسي في ظهور الزراعة، فالإنسان بلغ سوية اجتماعية وفكرية عالية، مكنته من تنظيم الاستفادة من خيرات البيئة.

ومن الواضح أن منطقة الهلال الخصيب قد عرفت في مرحلتين زمنيتين متتاليتين تحسناً في المناخ الذي أصبح ماطراً ودافئاً مما سمح بظهور الحبوب البرية وبخاصة القمح والشعير. الأولى في مطلع الألف العاشر ق.م وساعدت على نشوء قرى الصيادين الأولى (النطوفية)، الثانية حصلت في مطلع الألف الثامن ق.م وأدت إلى ظهور القرى الزراعية الأولى

إن تزامن هذه التحسنات في المناخ مع ظهور قرى الصيادين والمزارعين يدل على أن البيئة والمناخ كان لهما دور مساعد في هذا التحول[119].

أثبتت نتائج التنقيب في موقع المريبط أن الحبوب البرية نمت فيه، والتقطها الإنسان قبل أن يزرعها، مما يشير إلى صحة فرضية نشوء الزراعة في الموطن الطبيعي للحبوب البرية، ولكن لم يثبت حصول أي شح في الخيرات، بل بالعكس ساد مناخ دافئ وأمطار كافية، مما يدل على عدم دقة الفرضية التي تربط نشوء الزراعة بالمناخ. وكذلك لم يحدث في المريبط زيادة في عدد السكان مما يشير لعدم صحة فرضية الضغط السكاني[120].

بناء على هذا يستنتج كوفان أن العامل الأهم في نشوء الزراعة هو الإنسان الذي وصل في ذلك العصر إلى مستوى فكري – روحي متطور مكنه من التخلص من التبعية إلى الطبيعة وابتكار أساليب جديدة في التعامل مع الوسط المحيط أدت إلى الاستفادة المثلى من الحبوب والحيوان لتأمين معيشته[121].

---

[118] كفافي، زيدان، 2005: ص 132.

[119] كوفان، جاك، 1984: ص 96- 97.

[120] كوفان، جاك، 1999: ص 49.

[121] Bellwood, P. 2005: p. 25.

كما رأينا لم تكن الزراعة حدثاً مفاجئاً، بل احتاج تدجين الحبوب لوقت طويل حوالي 2000 عام، وليس من السهل التميز بين الحبوب البرية والمزروعة منها، فكل نبتة برية تمثل موروثياً صفات طبيعية تجعل عملية إعادة إنتاج حبوب برية جديدة سهلة وتلقائية، وهذه الصفات هي الزنود أو الحوامل للحبة في السنبلة البرية التي تسقط بشكل تلقائي عند نضج السنبلة أو قبل النضج بقليل، وهذا يعني نمواً جديداً للحبوب دون تدخل للإنسان[122].

أما في حالة القمح والشعير المدجنين التي زرعها الإنسان، فتصبح الزنود والعقد الحاملة للحبات أكثر قساوة وصلابة، وكأن صفاتها الوراثية قد تعدلت ولا تسقط الحبة لوحدها، بل لا بد من حصادها حتى تتم زراعتها مرة أخرى، أي أن الصفات الوراثية الجديدة المعدلة أصبحت تحتم تدخل الإنسان عندما تصبح السنبلة ناضجة[123].

كما لم تكن أدوات الحصاد التي استخدمت مع بداية العصر الحجري الحديث وانتشرت بشكل واسعدليلاً على ممارسة الزراعة، بل ربما كانت فقط لجني الحبوب البرية أو حبوب ما قبل التدجين[124].

إذاً يجب تميز مرحلة جديدة، هي المرحلة ما قبل التدجينية pre-domestic، وهي المرحلة التي كان يحاول فيها الإنسان الزراعة. فالزراعة لم تكن مرافقة تماماً للاستقرار، حتى أن الأرض لم تكن بالضرورة تفلح كل عام[125].

وهناك بعض الدراسات الحديثة تفيد بأن الزراعة نشأت في مناطق مختلفة من العالم وبشكل منفصل، وليس فقط في منطقة المشرق العربي القديم، وحددوا هذه المناطق شمال الصين وإفريقيا وأميركا الوسطى والجنوبية وجنوب غرب آسيا، وإن هذه المناطق طورت تجربتها بشكل محلي بما يتوافق مع ظروفها[126].

---

[122] كوفان، جاك، 1999: ص 88.

[123] Anderson, P. 1994: p. 180.

[124] Hole, F. 1984: p. 49.

[125] Anderson, P. 1993: p.328.

[126] Lichter, C. 2004: p. 1.

ولا نجد أن الجفاف أو زيادة عدد السكان هو السبب الذي دفع لاختراع الزراعة، فإن الفترة التي شهدت ظهورها تميزت بتحسن مناخي، ولم تشهد المواقع الأثرية في تلك الفترة أية كثافة سكانية ، لكن المستوى الفكري والتطور التقني العالي الذي وصل إليه الإنسان في ذلك العصر مع تواجد بيئة غنية مناسبة، كل ذلك ساعد على البدء بالزراعة.

أما الشق الثاني من التدجين هو تدجين الحيوانات، ويعتقد أن الإنسان قد ابتدأ بتدجين الأنواع الأضعف منها لصعوبة السيطرة على القوية، وكما في حالة الحبوب فإن الانتقال من النموذج البري إلى المدجن يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن (قدرت بحوالي 200 عام)[127]،وكانت هذه المشكلة أقل تعقيداً من تدجين الحبوب وذلك لأن تمييز عظام الحيوانات المدجنة سهل نسبياً فهي أصغر حجماً وهنالك اختلافات في شكل الهيكل العظمي، بالتالي يمكن التأكد من مزاولة تدجين الحيوانات من خلال دراسة بقايا العظام الحيوانية وتحليلها. إن التدجين كما الزراعة مر بعدة مراحل قبل أن يكتمل، ففي البداية حصل الترويض الذي مهد لاقتراب الإنسان من الحيوان ومعرفة سلوكه، ثم أتت المرحلة الثانية وهي التدجين التي سمحت له بالاستفادة ليس فقط من لحمه، وإنما من صوفه وحليبه وغير ذلك[128].

يرجح العلماء أن أول الحيوانات المدجنة ومنذ الفترة النطوفية هو الكلب، ثم الماعز في نهاية الألف الثامن والغنم والبقر، ثم الخنزير[129].

ثالثاً: العصر الحجري الحديث:

بدأت مع نهاية الثقافة النطوفية ملامح عصر جديد بالظهور، تمثل بالعصر الحجري الحديث (النيوليت) Neolithic، الذي حصل فيه التحول الجذري والأهم في تاريخ البشرية، وتمثل بالانتقال من الصيد والالتقاط إلى الزراعة والتدجين. ونظراً لأهميته أطلق عليه الباحثون اسم الثورة النيوليتية Neolithic

[127] Helmer, D. 192: p.22 -23.

[128] الماحي، علي التجاني، 2001: ص 39.

[129] Ducos, P. & Helmer, D. 1980: p. 523.

Revolution، لم تكن هذه الثورة انقلاباً مفاجئاً، بل نتيجة جهد مادي وفكري طويل وضعت الأساس له الأجيال السابقة[130].

نشأت بعد الفترة النطوفية حضارة انتقالية إلى العصر الحجري الحديث، هي الحضارة الخيامية، نسبة إلى موقع الخيام غرب البحر الميت في فلسطين. وانتشرت مواقعها بين الساحل الفلسطيني، والبحر الميت، ووادي الأردن، وكذلك في مناطق الفرات (المريبط)، وجبال لبنان الشرقية (نشاريني)، وحتى سيناء (أبو ماضي)[131].

اشتهر الخياميون بنوع خاص من رؤوس السهام Khiamian Point، المصنعة على نصال صغيرة ولها عند قاعدتها فرضتان متقابلتان، وليس لها ساق، بل نهاية مشذبة ومقعرة (الشكل 8)، رافقتها أدوات صوانية أخرى، وأدوات زراعية ثقيلة، خاصة الأجران والرحى والمجاريش والمدقات[132].

أقاموا في قرى مستقرة بيوتها مبنية على سطح الأرض مباشرة دائرية أو بيضوية صغيرة[133] وأهم ما ميّز هذه الفترة هو الفن، فبعد أن ركّز النطوفيون على تصوير الحيوانات وبخاصة الغزال، بدأت تظهر الآن الدمى الإنسانية سيما الأنثوية منها[134].

بدأ العصر الحجري الحديث ي منتصف الألف العاشر ق.م مع انتهاء الحضارة الخيامية، ويقسم إلى مرحلتين أساسيتين هما:

العصر الحجري الحديث ماقبل الفخار Pre Pottery Neolithic ويرمز لها P.P.N. (9500- 7000 ق.م)

العصر الحجري الحديث الفخاري Pottery Neolithic ويرمز لها P.N. (7000- 5500 ق.م)

---

[130] عبد الرحمن، عمار، 2005: ص 56- 45.

[131] Muhesen, S. 1992: p. 263.

[132] Gopher, A. et (als.). 1991: p. 115- 116.

[133] كوفان، جاك، 1999: ص 52.

[134] Aurenche, O. et (als.). 2001: p. 1194- 1195.

ويقسم العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار بدوره إلى مرحلتين هما:

العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ P.P.N.A. (9500 – 8700 ق.م)

العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب P.P.N.B. (8700 – 7000 ق.م)[135].

استندت هذه التسميات إلى السويات الأثرية في موقع أريحا، لكنها الآن لا تستخدم للإشارة لأريحا فقط، وإنما تدلنا على مرحلة ثقافية لها صفات مشتركة في كل المشرق، وتعاصرت مع مختلف المناطق[136].

1 – العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ:

يمتد العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ PPNA من 9500 – 8700 ق.م[137]، نشأت مواقعه إما على أنقاض القرى النطوفية السابقة، مثل مواقع المريبط ووادي فلاح، أو في مناطق جديدة لم تسكن من قبل، مثل مواقع الشيخ حسن والجرف الأحمر على الفرات السوري غيرها[138].

تميز هذا العصر بغموضه نوعاً ما نظراً لقلة المواقع العائدة له فأصبحت التجمعات السكانية كبيرة المساحة، لكنها قليلة العدد، واختفت المواقع الصغيرة والسكن في المغاور والملاجئ تقريباً، ولا يعتبر هذا دليلاً على انخفاض ديمغرافي في عدد السكان وإنما هو مؤشر على تحول مهم نحو نمط حياة لجماعات سكانها أكبر وهي مستقرة ومنظمة بشكل شامل[139].

نشأت في الـ PPNA عدد من الثقافات التي كان لها سمات كثيرة مشتركة، ولكنها تمايزت بأخرى محلية ميزت كل ثقافة، هذه الثقافات هي: السلطانية في المشرق الجنوبي (فلسطين– الأردن) والمريبطية على الفرات الأوسط في الشمال السوري[140]. وإلى فترة قريبة جداً كان يضاف لهما الثقافة

---

[135] Bellwood, P. 2005: p. 54.

[136] Kenyon, K. 1957: p. 267.

*سنبدأ بالإشارة إلى العصر الحجري الحديث آ و ب و ج باختصار الـ PPNA و PPNB و PPNC

[137] عبد الرحمن، عمار، 2005: ص 26.

[138] كوفان، جاك، 1995: ص 76- 77.

[139] محيسن، سلطان، 1994: ص 47- 48.

[140] كوفان، جاك، 1999: ص 65- 66.

الأسودية نسبة إلى موقع تل أسود في حوضة دمشق، لكن التنقيبات الحديثة فيه أثبتت وجود خطأ في تأريخ هذا الموقع، وأنه يعود إلى فترة لاحقة لذلك هذه الثقافة لم تعد موجودة في الـ PPNA[141].

الثقافة السلطانية: نسبة إلى موقع (تل سلطان) أريحا، يمتد من 9500- 8300 ق.م[142]، اكتشفت للمرة الأولى في الخمسينيات من القرن الماضي على يد الباحثة كاثلين كينيون .K Kenyon التي اتخذت من موقع أريحا نموذجاً لتقسيم الفترات النيوليتية، واعتبرت أن الثقافة السلطانية بسويتها آ هي المرحلة الأولى من النيوليت وأطلقت عليه العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ PPNA[143].

أما الثقافة المريبطية: فكانت معاصرة للسلطانية ولكنها انتهت قبلها، تمتد من 9500- 8700 ق.م[144]. عرفت من خلال موقعين على الفرات الأوسط السوري تل المريبط (المرحلة 3) الذي نقبه أول مرة موريس فان لون M. Van Loon ومن ثم جاك كوفان J. Cauvin، وموقع الشيخ حسن[145].

وفي الواقع يعتبر موقع المريبط من أهم المواقع العائدة لهذه الفترة، فهو المكان الوحيد الذي استمر الاستيطان فيه من الفترة النطوفية حتى الألف الثامن ق.م دون أي انقطاع، واكتشف فيه العديد من اللقى الهامة مما ساعد على فهم هذه الفترة بشكل أفضل[146].

ومن مواقع الـ PPNA المهمة أيضاً الجرف الأحمر، وتل قرامل بالقرب من حلب، ومن فلسطين مواقع جلجال، ووادي الأردن، وأبو سالم في النقب، ووادي فلاح على الساحل الفلسطيني وغيرها[147].

---

[141] Stordeur, D. 2003: p. 4- 5.

[142] كوفان، جاك، 1999: ص 67.

[143] Kenyon, K. 1981: p. 26- 27.

[144] Coqueugniot, E. 2003: p. 37.

[145] Cauvin, J. 1981: p. 31- 34.

[146] Akkermans, P. 2003: p. 50.

[147] محيسن، سلطان، 2005: ص 183.

ومن هنا نستطيع القول أن المجتمعات البشرية التي عاشت في بلاد الشام خلال هذه الفترة كانت مستقرة في قرى ثابتة، مارس أهلها الصيد والزراعة كمنهج حياة وبنوا المساكن المتطورة، وعرفوا الفنون، ومارسوا الدفن، وسنتحدث عن كل ذلك بالتفصيل لاحقاً، ونلاحظ أنه لم يعثر على مواقع من الـ PPNA في حوضة دمشق حتى الآن.

2 – العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب:

يمتد العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب PPNB لفترة طويلة نوعا ما من 8700-7000 ق.م، ويقسم إلى ثلاثة مراحل:

العصر الحجري ما قبل الفخار ب القديم 8700- 8200 ق.م.

العصر الحجري ما قبل الفخار ب الوسيط 8200- 7500 ق.م.

العصر الحجري ما قبل الفخار ب الحديث 7500- 7000 ق.م[148].

لم يعد التشابه العام الذي كان سائد بين مختلف مناطق بلاد الشام ملحوظاً في العصر السابق، ففي سورية مثلاً بقي التطور مستمراً بين مجتمعات الـ PPNA وعصر الـ PPNB، أما في فلسطين وخصوصاً في موقع أريحا، نجد انقطاعاً في الاستيطان بعد مرحلة النيوليت ما قبل الفخار آ هذا ما دفع للحديث عن فراغ حضاري، وعن أن فلسطين هجرت ثم أعيد استيطانها من قبل مجموعات قادمة من سورية، بدليل التشابه الكبير بين البقايا الأثرية العائدة للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب في سورية وفلسطين[149].

في هذه المرحلة سكنت في سورية قرى مهمة مثل: تل المريبط (السوية الرابعة)، وتل أسود، وتل الغريفة في حوضة دمشق، وجعدة المغارة في سورية، وأريحا، ومنهاتا، والبيضا ووادي فلاح في فلسطين، والبسطة، وعين غزال في الأردن وغيرها[150].

---

[148] Coqueugniot, E. 2003: p. 37.

[149] محيسن، سلطان، 1994: ص 52.

[150] Mellaart, J. 1975: p.55.

حصلت بعد ذلك في المرحلة الثانية من هذا العصر، تحولات هامة في أماكن انتشار القرى، إذ هجرت مناطق كاملة أو أجزاء منها وسكنت أخرى جديدة، إما ساحلية أو شبه صحراوية. من سورية مثلاً هجر المريبط والشيخ حسن وانتقل الناس جنوباً إلى مناطق أقل أمطاراً، فنشأ موقع أبو هريرة، وبقرص من حوض الفرات، والكوم في البادية السورية، وفي حوضة دمشق ظهرت مستوطنات تل أسود وتل الغريفة وتل الرماد في سفوح جبل الشيخ، وتبة الحمام ورأس شمرة على الساحل السوري، وموقع اللبوة في البقاع اللبناني، وفي فلسطين تركت قرى منهاتا ووادي فلاح والبيضا في حوض الأردن ونشأت أخرى كأبوغوش وبيسامون[151].

ويرى بعض الباحثين أن سبب هذه التبدلات هو حصول جفاف مناخي جعل الحياة مستحيلة في المناطق التي تعتمد على الأمطار والزراعة البعلية، مما دفع بالسكان إلى الانتقال للمناطق الجبلية والسواحل حيث أن الأمطار أغزر، على الرغم من أن الحبوب البرية لا تنمو فيها، ولكنهم كانوا قد تمرسوا بزراعتها ونقلوها معهم في كافة الأوساط الجغرافية. ويعتقد البعض أنهم عرفوا أيضاً الري الصناعي لمزروعاتهم عن طريق الأقنية والسواقي[152].

شهد الـ PPNB تطوراً ملحوظاً في جميع مجالات الحياة وظهرت تقنيات جديدة في تصنيع الأدوات الحجرية، فعلى مستوى البناء أصبحت البيوت مستطيلة كبيرة، مؤلفة من عدة غرف، وظهرت البيوت ذات الطابع العقائدي. كما صنعوا الفنون الجميلة والآنية البيضاء، وترسخت عبادة الجماجم، وبرزت سلطة دينية – اجتماعية أشرفت على شؤون الحياة[153]. كل هذه التطورات سنتحدث عنها بالتفصيل لاحقاً. ونستطيع القول أن فترة الـ PPNB كانت الفترة الأكثر ازدهاراً في حوضة دمشق.

انخفض مع نهاية الـ PPNB عدد المواقع النيوليتية، وأطلق الباحثان رولفسون وسيمونز على هذه الفترة تسمية العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ج PPNC، وذلك استناداً إلى نتائج

[151] كفافي، زيدان، 2005: ص 155- 156.

[152] Akkermans, P. 2003: p.60.

[153] Bellwood, P. 2005: p. 62- 63.

حفرياتهما في موقع عين غزال في الأردن، تُهجر أغلب المواقع في المشرق ما عدا البعض وهذا يتزامن مع الجفاف الحاصل مع بداية الألف الثامن ق.م، وحيث تحول أغلب السكان إلى الرعي[154].

3 – العصر الحجري الحديث الفخاري:

يُطلق عليه اسم العصر الحجري الحديث الفخاري Pottery Neolithic أو عصر ما قبل حلف Pre- Halaf، يمتد من 7000- 5500 سنة ق.م، وفيه تكتمل إنجازات إنسان العصر الحجري الحديث بالتوصل إلى معرفة الأواني الفخارية، التي باتت ضرورية لحفظ وتخزين الطعام والشراب في القرى المستقرة، وعلى الرغم من قيام بعض المجتمعات السابقة بمحاولات لتصنيع الفخار، إلا أن ذلك بقي محدوداً في الزمان والمكان. لكن بدءاً من هذا الوقت غدت الأواني الفخارية مادة الاستخدام الرئيسية، والتي على أساسها يستطيع الباحثون التميز بين الشعوب والثقافات، وتحديد تواريخها، وهويتها، وأمكنة انتشارها[155].

ازداد عدد السكان في هذا العصر وانتشرت القرى وتنوعت السحنات والثقافات واختلطت الصورة، ولكن بفضل الفخار استطاع الدارسون تحديد الوحدات والآفاق الثقافية الكبرى والصغرى أحياناً ليعرفوا من صنع هذا النوع من الأواني، ومتى، وكيف، وإلى أين انتشرت تلك الأواني؟

وكان يعتقد أن الظهور الأول للأواني الفخارية في منطقتنا من موقع تل أسود في الجزيرة السورية العليا، حيث وجدت في الطبقات الدنيا 7- 8 بشكل كبير الأواني الفخارية المصقولة ذات اللون الغامق الأسود أو الأحمر البني و التي يرمز لها D.F.B.W (Dark Faced Burnished Ware) أي الأوعية الغامقة المصقولة. وهي تؤرخ على نهاية الألف السابع وبداية الألف السادس ق.م[156].

لكن عثر لاحقاً في تل الكرخ في السوية 2a على العديد من النماذج الفخارية من نوع D.F.B.W، والتي تؤرخ إلى العصر الحجري الحديث الفخاري الباكر 7000 – 6600 ق.م، ويرشح أنها الدليل الأقدم على صناعة الفخار في سورية ومنطقة المشرق العربي القديم، ويعتقد أنه انتقلت من هذه المنطقة

---

[154] Rollefson, G. and Simmons, A. 1986: p. 148.

[155] محيسن، سلطان، 1987: ص 149.

[156] كوفان، جاك، سبر، 1972: ص 189- 190.

تلك الصناعة شرقاً إلى بلاد الرافدين، وغرباً إلى سواحل البحر المتوسط والأناضول، ثم فيما بعد إلى فلسطين في الجنوب[157].

وقد أعطت منطقة العمق في شمال سورية معلومات متكاملة حول التطور الحضاري لهذه المنطقة، استناداً إلى تطور أنواع الأواني الفخارية على امتداد عصر النيوليت الفخاري والعصور التاريخية اللاحقة، كما ثبت أن بلاد الشام كلها قد مرت بها مع فوراق زمنية بسيطة بين منطقة وأخرى.

وقد قسمت إلى عدة مراحل العمق (آ، ب، س، د، ي) عرف فيها الأواني الفخارية اليدوية المصقولة والناعمة، ذات اللون القاتم عليه أحياناً صبغة رمادية أو بنية، ويميل إلى اللون الأصفر أو الأحمر أو البني وقد بقي هذا النوع مسيطر خلال كل فترة النيوليت الفخاري. ظهر في العمق ب الفخار الملون بلون واحد uni- chrome وهو غالبا أحمر على خلفية برتقالية، ومن أهم الأواني المميزة لهذه الفترة الكؤوس والجرار والأباريق والصحاف من العجينة القاتمة. وفي المرحلة ب تنتقل صناعة الأواني الفخارية إلى السواحل الجنوبية في موقع جبيل (النيوليت القديم في جبيل) على الساحل اللبناني[158].

تدلنا البقايا الاثرية من مرحلتي العمق آ و ب، أنها تعود في جذورها إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب، وتجسد ذلك في الصناعة الحجرية خصوصاً رؤوس النبال، نبال العمق البيضوية الشكل والمشذبة بعناية، ونبال جبيل، والخناجر الصوانية. وبالنسبة للبيوت كانت مستطيلة ومؤلفة من غرفة واحدة. أما القبور فكانت فردية، ولا نلاحظ استمرار لعبادة الجماجم في هذه المرحلة.

كما حصلت تحولات هامة في مجال الاستيطان واستغلال الوسط الجغرافي، حيث سُكنت مناطق زراعية خصبة على الساحل والداخل واستمر تدجين الغنم والماعز والثور والخنزير[159].

مع نهاية الألف السادس ق.م اختلفت وتائر التطور بين شمال سورية وجنوبها، حيث انتقل مركز الثقل الحضاري شرقا نحو بلاد الرافدين. وواكبت سورية الشمالية الشرقية هذا التطور ودخلت مبكرة في

[157] Tsuneki, A. 2012: p. 35.

[158] محيسن، سلطان، 1988: ص 58- 59.

[159] تموم، جمال، 2011: ص 65.

العصر الحجري النحاسي الذي سنتحدث عنه بالتفصيل في الفصل اللاحق. بينما تابعت بقية المناطق السورية ومعها لبنان (النيوليت الأوسط في جبيل) والأردن وفلسطين تقاليد العصر الحجري الحديث[160].

أما في فلسطين والأردن فكان الظهور الأول للفخار حوالي 5600 ق.م وهو الفخار اليرموكي وفخار أريحا آ، والذي كان فخاراً خشناً وبسيطاً، ومعه أنواع أخرى أفضل ملونة ومزخرفة عرفت أيضا في موقع تل الرماد السوري (الرماد III)، وهذا دليل أن صناعة الفخار انتقلت إلى فلسطين من المواقع السورية[161].

ونلاحظ أنه في حوضة دمشق لم يعثر على أية بقايا أثرية واضحة من العصر الحجري الحديث الفخاري إلا في تل الرماد السوية الثالثة (الرماد III).

رابعاً: مواقع العصر الحجري الحديث في حوضة دمشق:

سكن الإنسان منذ أقدم العصور سلسلة جبال القلمون وهضابها ومضائقها الوعرة حيث وجدت مغاور طبيعية لجأ إليها منذ أقدم العصور، كانت المنطقة في حينها مكسوة بالغابات، وغنية بالمياه، ظهرت فيها العديد من المواقع وهي من الأقدم ملاحة جيرود وباز جبعدين وقوس قزح وقرنة المغارة ويبرود الملجأ 3 وتل عطنة، ومن ثم انتقل هؤلاء السكان إلى حوضة دمشق بالقرب من البحيرات ليستقروا ويشكلوا قراهم الزراعية وهي تل أسود تل الغريفة وتل الرماد. حيث ظهرت بيئة غنية مناسبة وأنواع نباتات وحيوانات جديدة وأكثر تنوعا ساهمت بالاستقرار. وسنعرضها بالتفصيل من الأقدم إلى الأحدث زمنياً .(الشكل 9)

1 – ملاحة جيرود:

تقع ملاحة جيرود (Mallahat – Jayroud) في منطقة ريف دمشق في الهضبة الدنيا الشرقية للقلمون، على بعد 4 كم شمال شرق بلدة جيرود، وعلى ارتفاع 800 م فوق مستوى سطح

---

160 محيسن، سلطان، 2005: ص 217.

161 كفافي ، زيدان، 2005: ص 178.

البحر بين سلسلتي جبال القلمون الشرقية (1100 م فوق سطح البحر) والغربية (1600 م فوق سطح البحر)[162].

في عام 1981م قامت بعثة فرنسية- سورية مشتركة بإدارة ماري كلير كوفان M.C. Cauvin وسلطان محيسن من الجانب السوري بأعمال مسح أثري كشفت فيه عن عدد من المواقع الأثرية والتي كانت متجمعة على امتداد الضفة الشرقية لبحيرة قديمة، كانت مسماة بحيرة ملاحة جيرود، وقد جفت الآن. أطلق عليها جميعها اسم جيرود، وُميزت عن بعضها بواسطة الأرقام، وهي 11 موقع أثري تؤرخ من الفترة الكبارية – الهندسية أو من الفترة النطوفية. بلغ عدد المواقع النطوفية 6 مواقع وهي (1، 3،2، 4، 5، 9)[163].

2 – باز جبعدين:

يقع كهف باز جبعدين Baaz Jaba'deen 35 كم شمال شرقي مدينة دمشق، بالقرب من مدينة معلولا القديمة، يرتفع الموقع حوالي 1529م عن مستوى سطح البحر، ويتميز بموقعه الجغرافي لمهمم حيث يصل بين الأراضي المنخفضة في الجنوب الشرقي، ومرتفعات أقصى غرب الجبال التدمرية في الشمال الغربي، كما يتميز بغناه بالينابيع، مما يشكل مصدر دائم للمياه فيه، ومركز جذب للإنسان القديم[164].

يعد الكهف ملجأ صخري صغير 6 X 10 م وهو محمي من الرياح والأمطار، وينفتح إلى الشمال الغربي، مشمس ودافئ ولم يتعرض لأي نوع من أنواع التخريب الحديث مما أثمر عن مكتشفات ولقى محفوظة بشكل جيد. (الشكل 10)

اكتشف الكهف عام 1999 أثناء مسح أثري قامت به بعثة ألمانية – سورية مشتركة بإدارة نيكولاس كونارد Nicolas J. Conard (من جامعة توبنغن Tübingen)، بعد ذلك

[162] محيسن، سلطان، 1982: ص 211.

[163] Cauvin, M. C. 1991: p. 295- 296.

[164] Conard, N. J. 2006: p. 5.

تشكلت في نفس العام بعثة للتنقيب فيه، عملت بالموقع لمدة ثلاثة مواسم (1999، 2000، 2004)[165].

كشفت أعمال التحري في الموقع عن سبع طبقات أثرية تغطي فترة زمنية طويلة تمتد من العصر الحجري القديم الأعلى Upper Palaeolithic حتى العصر الحجري الحديث الفخاري Pottery Neolithic، ولكن الاستيطان الأكبر والأهم كان في فترة ما بعد العصر الحجري القديم Epi-palaeolithic [166].

3 - قوس قزح:

يقع كهف قوس قزح Kaus Kozah في بلدة معلولا في أعلى الجرف الصخري الواقع فوق دير مار تقلا، وعلى الرغم من قربه من مدينة معلولا، إلا أنه يتوضع بشكل منفصل في الكتلة الصخرية فوق دير تقلا بحيث تصعب رؤيته، ومع ذلك خُرب مدخل الكهف بشكل كبير بالتنقيب غير الشرعي، وكانت أرضه مقلوبة ومخربة بشكل كبير، حيث استخدم من قبل الرعيان كملجأ للمواشي، وكذلك يوجد انهدامات صخرية بداخله، وبعض الحفر الحديثة نسبيا مما خرب الكثير من الطبقات الأثرية[167]. (الشكل 11)

يرتفع الكهف حوالي 1490 م فوق مستوى سطح البحر، وله مدخلين من الجهة الشمالية الغربية، وهما منخفضان، ارتفاعهما لا يتجاوز 140 سم، أما من الداخل فيرتفع الكهف بأبعاد مختلفة، أعلاها تصل إلى 250 سم وأدناها إلى 110 سم، ويبلغ طوله الأقصى 1545 سم، وعرضه الأقصى 1150 سم[168].

---

[165] Kandel, A.W. 2010: p. 60.

[166] Napierala, H.A. 2011: p. 40- 41.

[167] Kandel. A.W, 2010, Ibid, P. 62- 63.

[168] Conard, N. J. 2006: p.189- 190.

اكتشف الموقع عام 2000 أثناء عمليات المسح الأثري التي قامت بها البعثة الألمانية- السورية المشتركة بإدارة الباحث نيكولاس كونارد، ولم يتم التنقيب فيه حتى عام 2004 واستمر لمدة ثلاث سنوات (2004- 2005- 2006)[169].

كشفت أعمال التحري في الموقع عن أربع سويات أثرية كانت غنية باللقى الأثرية سواء الأدوات الحجرية أو البقايا العظمية الحيوانية والإنسانية أو بقايا الفحم، والتي دلتنا أن الموقع يمتد من العصر الحجري القديم الأوسط حتى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب، لكن الاستيطان الأكبر فيه كان من نهاية النطوفية وبداية الـ PPNA [170].

4 – قرنة المغارة:

يقع قرنة المغارة Qornet Rharra شرق صيدنايا، وهو صخرة جيرية منعزلة، في جوانبها تجاويف، يقع أحدها في الجهة الشرقية، وقد تحول مع مرور الزمن إلى قبر أو معبد، ويستخدمه الرعاة حالياً.

أوسع مداخلة كان في الجهة الغربية، ظهر فيه العديد من الأدوات الصوانية على السطح، مما دفع الباحثان فان لير Van Liere وهنري دو كنتنسون H. De Contenson إلى القيام بأسبار في هذا المأوى عام 1965. وبعد دراسة اللقى والأدوات الصوانية المكتشفة نجد أن موقع قرنة المغارة يعود من الفترة النطوفية إلى العصر الحجري الحديث[171].

5 – يبرود (الملجأ الثالث) :

تقع ملاجئ يبرود Yabrud في وادي اسكفتا، غرب مدينة يبرود، على منحدر جبلي من الصخور الكلسية. وهي عدة ملاجئ سندرس منها الملجأ الثالث فقط لأنه يعود إلى الفترة المدروسة، هو عبارة عن ملجأ صغير يقع في الجهة الشمالية من الوادي، حوالي 150 م من الملجأ الرابع. توضعت

---

[169] Hillgruber, K. F. 2010: p. 70- 71.

[170] Napierala, H.A. 2011: p. 67- 68.

[171] دو كونتنسون، هنري، 1966: ص 77- 78.

أمامه كتل صخرية متهدمة، يتعذر منها دخول الشمس إلى الملجأ إلا في فترة الظهيرة ومن الجزء الغربي له، أما الجزء الشرقي لا تصله الشمس إلا لوقت قصير[172]. (الشكل 12)

ويعود الفضل في الكشف عن هذه الملاجئ للباحث الألماني ألفرد روست A. Rust، وذلك أثناء رحلته على الدراجة العادية عام 1930م، مدفوعاً بالاكتشافات الانكليزية في فلسطين، نقب فيها في المواسم 1930 – 1933م، ثم جاءت بعثة كولومبيا الأميركية وتابعت أعمال التنقيب فيها لمدة ثلاثة أعوام 1963- 1964 -1965م بإدارة الباحث رالف سوليكي R. Solecki والذي كشف عن ما يعرف بالملجأ الرابع[173].

يتألف الملجأ الثالث من 10 طبقات أثرية تمتد من ما بعد العصر الحجري القديم Epi – Palaeolithic حتى العصر الحجري الحديث Neolithic [174].

6 – تل أسود:

يقع تل أسود Tell Aswad على بعد 700 م شرقي قرية جديدة الخاص، على مسافة 30 كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة دمشق، بين بحيرتي العتيبة والهيجانة، من أرض مرج حوضة دمشق، يبلغ امتداده من الشمال إلى الجنوب 275 م، ومن الشرق إلى الغرب 250 م، وهو قليل الارتفاع إلا في الجزء الغربي منه حيث يبلغ ارتفاعه 4,50م[175].

يقع إلى الجنوب الشرقي من بحيرة العتيبة، في منطقة لا تصلح للزراعات البعلية أمطارها أقل من 200ملم سنوياً، رغم أن الموقع كان يقوم سابقاً على ضفاف البحيرة، مما سمح على ما يبدو باستخدام شكل من أشكال الري البدائية، وقد سمي التل بالأسود لاحتواء تربته على نسبة عالية من الرماد[176].

---

[172] روست، ألفرد، 1988: ص 199.

[173] سوليكي، رالف وروز سوليكي، 1966: ص 49.

[174] Hillgruber, K. F. 2010: p. 90- 91.

[175] دو كنتنسون، هنري، 1972: ص 187.

[176] دو كونتنسون، هنري، 1989: ص 32.

اكتشف التل عام 1967م من قبل الباحث هنري دو كنتنسون H. De Contensonالذي نقب فيه موسمين 1971 و 1972 م، و كشف عن ثلاثة مراحل استيطان فيه:

1-العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ PPNA أطلق عليها بالثقافة الأسودية.

2- العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب PPNB القديم.

3- العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب PPNB الأوسط[177].

وبعد ذلك عاودت منذ العام 2001 بعثة فرنسية – سورية التنقيب في التل حتى عام 2010م بإدارة الباحثان بسام جاموس من الجانب السوري و دانييل ستوردور D. Stordeur من الجانب الفرنسي. وعند القيام بإعادة دراسة القطع المكتشفة تم إعادة تأريخ الموقع وإلغاء ما كان يعرف بالثقافة الأسودية[178].

كان التل مسكوناً ابتداءاً من الـ PPNB القديم واستمر دون انقطاع حتى بداية الـ PPNB الحديث، وتعد فترة الـ PPNB الأوسط هي مرحلة الاستيطان الرئيسية فيه،وأخيراً عثر في الموقع على فخار مماثل للنيوليت القديم في جبيل، والذي ظهر بشكل مباشر في الحفريات. وتتوزع هذه المراحل التاريخية على 18 سوية أثرية وهي من الأقدم إلى الأحدث:

_ من B12 إلى B9 : المرحلة الأقدم الـ PPNB القديم.

- B8 : وهي سوية انتقالية بين الـ PPNB القديم و الـ PPNB الوسيط.

- من B7 إلى B1 : فترة الـ PPNB الوسيط.

- من B0 إلى B-5 : نهاية الـ PPNB الوسيط و بداية الـ PPNB الحديث[179].

---

177 دو كنتنسون، هنري، 1972: ص 187.

178 Stordeur, D. 2007: p. 3.

179 Stordeur, D. et Jamous, B. 2008 – 2009: p. 8- 9.

7 – تل الغريفة:

يقع تل الغريفة Tell Ghorife على بعد 30 كم إلى الشرق من مدينة دمشق، و15 كم شمال تل أسود، هو وسط زراعي من اللحقيات الحديثة، يمتد إلى الغرب من بحيرة العتيبة على مسافة 6 كم.

يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب نحو 300 م، وعرضه من الشرق إلى الغرب نحو 200م، ويقطعه الطريق الواصل بين قريتي العتيبة والنشابية، ويتجاوز ارتفاع قمته 6م[180].

اكتشف الموقع عام 1969 م على يد السيد غي لافال M. Guy Laval، مما دفع بالمديرية العامة للآثار والمتاحف إلى تشكيل بعثة أثرية سورية فرنسية للعمل فيه عام 1974 بإدارة هنري دو كونتنسون من الجانب الفرنسي والسيد مصطفى المملوك ممثل عن المديرية ومنفذ للمخطط الطبوغرافي للموقع، أجرت البعثة أربعة أسبار مربعة (A،B،C،D)، كان أهمها السبر C حيث تم بلوغ الأرض البكر فيه على عمق 6,40م تحت السطح[181].

تم العمل فيه لموسم واحد فقط، عثر خلاله على العديد من الأدوات الصوانية والعظمية، والبقايا المعمارية والدمى، ومُيّز فيه سويتان أثريتان:

الأولى: تعود إلى بداية الـ PPNB الحديث. وهي تعاصر المرحلة الأخيرة من الاستيطان في تل أسود.

الثانية: تعود إلى الـ PPNB الحديث. وتتعاصر مع بداية الاستيطان في تل الرماد[182].

8 – تل عطنة:

يقع تل عطنة Tell Aatne على الحدود الشرقية لسلسلة جبال القلمون، على بعد حوالي 60 كم إلى الشمال الشرقي من دمشق، بالقرب من مدينة دمشق، بالقرب من سبخة بحيرة الملاحة (جيرود)، ويرتفع حوالي 10 م[183].

---

[180] أبو عساف، علي، 1988: ص 31.

[181] دو كونتنسون، هنري، 1975: ص 205.

[182] دو كونتنسون، هنري، 1989: ص 34- 35.

اكتشف من قبل الباحث كوكينيو Coqueugniot ، ولم يخضع لأي عمليات تنقيب حتى الآن. تم التقاط العديد من الأدوات الصوانية والعظمية التي وجدنا من خلالها وبعد مقارنتها مع مواقع أخرى من منطقة دمشق أنه يعود إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب الحديث (PPNB الحديث)[184].

9 – تل الرماد:

يقع تل الرماد Tell Ramad عند الأطراف الغربية لحوضة دمشق، إلى الغرب من مدينة قطنا عند سفح جبل الشيخ، على الطرف الشمالي لإحدى الهضبات البازلتية المشرفة على مجرى وادي شركسي ذي النظام المتقطع والذي يتلقى مياهه من ينابيع قطنا الغزيرة.

جرى اكتشاف هذا الموقع في الثلاثينيات القرن المنصرم حين كان يُعرف ب تل قطنا من خلال مجموعة أدوات سطحية أشار إليها الملازم بوتو والأب يوسف نصر الله. وحوالي سنة 1960 أعيد اكتشافه على يد فان ليره الذي أطلق عليه اسم تل الرماد اشارة إلى طبيعة تكوينه[185].

بدأت منذ عام 1963 بعثة سورية – فرنسية العمل في الموقع بإدارة الباحثين هنري دو كونتنسون De Contenson من الجانب الفرنسي ومطيع المرابط من الجانب السوري، واستمر العمل فيه حتى 1973م[186].

يتألف الموقع من ثلاث سويات أثرية تعود للعصر الحجري الحديث.

السوية الأولى: وهي الأقدم تعود إلى فترة الـ PPNB الحديث، وذلك استناداً إلى تأريخات الكربون المشع C14.

183 Coqueugniot, E. 1982: p. 91.

184 Stordeur, D. et Jamous, B. 2008 – 2009: p. 8- 9.

185 دو كونتنسون هنري وفان لير، 1967: ص 60.

186 أبو عساف، علي، 1988: ص 30- 31.

السوية الثانية: وهي مرحلة مهمة جداً في تأريخ الاستيطان في حوضة دمشق، لأنها تمثل مرحلة انتقالية من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار إلى العصر الحجري الحديث الفخاري، وظهر ما يعرف بالآنية البيضاء.

السوية الثالثة: تعود إلى العصر الحجري الحديث الفخاري، وهذه هي الفترة الأخيرة من حياة الموقع[187].

خامساً: العناصر الحضارية في العصر الحجري الحديث في حوضة دمشق:

1 – العمارة:

كانت الكهوف والملاجئ مناطق السكن الأساسية بالنسبة للإنسان القديم، وذلك نتيجة للحماية التي كانت توفرها من العوامل الطبيعية كالبرد القارص، أو للحماية من الحيوانات البرية التي كانت تعيش بجانبه. ومع بداية الهولوسن ونهاية البليستوسين تحسن المناخ، وحدث ارتفاع تدريجي بدرجات الحرارة، وهو ما أدى لظهور غطاء نباتي وحيواني جديد، وترك الإنسان مناطق سكنه التقليدية وخرج إلى مناطق مكشوفة مثل السهول والوديان والغابات، أو حول البحيرات وعند ينابيع المياه وضفاف الأنهار[188].

لم يهجر الإنسان الكهوف والملاجئ بشكل مفاجئ وإنما على مراحل، في البداية قام بتسوية الشرفات، بعد ذلك بدء ببناء مساكن له في مناطقه الجديدة خارج الكهوف التي سوف تهجر تماماً في الألف الثامن ق.م[189].

شيدت البيوت في الفترة النطوفية بشكل دائري، إما تحت مستوى سطح الأرض، كما في موقع عين الملاحة وغيرها، أو فوق سطح الأرض مباشرة كما في موقع وادي الحمة. كانت هذه البيوت صغيرة المساحة تتراوح أقطارها بين 5-9 م، بنيت إما من الطين أو الحجارة أو الخشب، وذلك حسب ما هو

[187] دو كونتنسون، هنري، 1989، ص 36.
[188] أبو غنيمة، خالد، 2000: ص 7.
[189] كوفان، جاك، 1995: ص 58 – 59.

متوفر في البيئة المحلية[190]. ومن الأمثلة المهمة عن العمارة النطوفية حوالي 11 بيت دائري، من موقع القراصة وهو دليل على تجمع قروي أولي في المنطقة[191].

أصبحت القرى في فترة الـ PPNA مساحتها أكبر، وشهدت تنوع كبير في التقنيات المعمارية، ونجد أن العمارة في السويات الباكرة دائرية أو بيضوية الشكل، ثم استخدمت لاحقاً الخطوط المستقيمة مع زوايا دائرية حتى أصبحت في نهاية الـ PPNA مستطيلة أو مربعة الشكل، مما يدل على التطور للانتقال من العمارة الدائرية إلى العمارة المستطيلة أو المربعة، فكانت البيوت ذات الزوايا القائمة تسمح بإضافة مساحات جديدة على عكس البيت الدائري، وبذلك أصبحت تستوعب عدد أكبر من الأفراد[192]. ومن أهم المواقع التي أعطت بقايا معمارية من هذه الفترة: المريبط، والجرف الأحمر، والشيخ حسن، وأريحا، وقرامل، وشايونو وغيرها[193].

تطورت العمارة خلال مراحل الـ PPNB الثلاثة، ساد فيها المخطط المربع أو المستطيل بدلا عن المخطط الدائري، وأصبحت المواقد ومستودعات الحبوب داخل المنازل، كما توجد فناءات مفتوحة بين مختلف البيوت تشكل مساحات مناسبة من أجل القيام بالنشاطات العامة لسكان الموقع. وتميزت هذه العمارة بالتوسع الضخم على صعيد المساحة، فمثلا بلغت مساحة أبو هريرة خلال هذه الفترة 11,5 هكتاراً، وهي أكبر قرية معروفة في سورية من فترة العصر الحجري الحديث، وظهرت في موقع بقرص الأبنية المتعددة الخلايا المعقدة لأول مرة والذي سيتنتشر فيما بعد في بلاد الرافدين[194]. وهذا التطور الجديد لم يكن محض صدفة بل نتيجة لجهود جماعي سعى إلى تطوير نمط حياته، وذلك عبر فترة طويلة من الزمن.

---

[190] أبو غنيمة، خالد، 2000: ص 18.

[191] فرانك برايمير و وسيم شعراني، 2012: ص 327.

[192] Mellaart, J, 1975: p.161.

[193] Banning, E. B. 1998: p. 218.

[194] Hours, F. et (als.) 1994: p. 282.

العمارة في حوضة دمشق:

أعطت حوضة دمشق العديد من البقايا المعمارية المهمة، والتي تعود لعصور زمنية مختلفة. وظهر أقدم دليل على العمارة في المنطقة من موقع باز جبعدين، حيث عثر في الطبقة III b والمؤرخة بواسطة الكربون المشع C14 إلى أواخر الفترة النطوفية بين نحو 11000 و 10500 سنة قبل الآن، عثر على أرضية سكن محفوظة بشكل جيد، تبلغ مساحتها 8 متر مربع، وهي عبارة عن أرضية سكن أرضيتها ترابية متراصة، تبلغ مساحتها حوالي 8 متر مربع، مُيّزت بجدار دائري بني من قطع حجرية كلسية ضخمة، وعُثر داخلها على موقد نار حجري، وعلى بعد 50 سم شمال الموقد يوجد جرن حجري (هاون) مغروس في الأرض. (الشكل 13)

وتُعد هذه المنشأة أحد أقدم وأفضل البيوت النطوفية حفظاً في سورية، وأحد النماذج القليلة المشابهة للعمارة النطوفية المعروفة منذ القديم في الأردن وفلسطين. كما عثر على مشابهة لها في كهف الديدرية[195]. (الشكل 14)

جاءت بعدها الدلائل المعمارية من تل أسود وكانت مهمة جداً، سمحت لنا بتتبع خطوات تصنيع استعمال اللبن في البناء. لم تستخدم الحجارة أبداً في عمارة تل أسود حيث أنه تم خلط التراب مع بقايا نباتية (قش الحبوب) منذ الاستيطان الأول للموقع أو حتى القصب أو الخشب. على الرغم من استعمال الحجارة في مواقع عدة بالمشرق الجنوبي (أريحا) منذ فترة الـ PPNA، لكن تل أسود تميز باللبن المقولب مع بداية المرحلة المتوسطة[196].

في المرحلة القديمة في موقع تل أسود نجد أن كل الجدران، كان جزئها السفلي مطمور بشكل جزئي بالأرض (خاصة التي كانت تلعب دور توطيد الجدار بالأرض)، كانت هذه الجدران مبنية من سرير القصب والطين المتناوبين (الشكل 15)، وتشكلت الأرضيات من كتل طينية كبيرة موضوعة دون تجفيف مسبق (ويجب التنويه إلى أن المقاعد والقواعد المشكلة داخل المنازل هي أيضاً مشيدة حسب

[195] Kandel, A.W. 2010: p. 60.

[196] Stordeur, D. 2002: p.16.

هذه الطريقة)، وبالمقابل فإن الجزء العلوي من الجدران والذي يكون في الهواء الطلق، يدل على تنوع لجعل البناء أكثر صلابة[197].

أما تصنيع اللبن فقد ظهر في المرحلة الانتقالية بين الـ PPNB القديم والوسيط، فإن ظهور اللبن المقولب يدل على الانتقال بين المرحلة القديمة والمرحلة المتوسطة. ومع مرور الوقت يتم قولبة اللبن بطريقة أكثر حرفية وأفضل، وخاصة أنها تصبح مجففة قبل أن توضع. (الشكل 16)

في المرحلة المتوسطة من تل أسود استخدم الملاط مع الطين، وأعطى الجدران شكلها النهائي مع قواعد منتظمة من اللبن البيضوي المكسم (اللبن المقولب بشكل بيضوي). في نهاية الاستيطان اللبن تخضع إلى مقاييس أكثر دقة وانتظاماً وتأخذ أحياناً أشكال مستطيلة دون أن تثبت أنها مقولبة.

وإذا ما أردنا مقارنة تل أسود مع مواقع أخرى مشابهة، نجد أن المواقع المماثلة قليلة جداً، بل ونادرة، باستثناء موقع البيضا I في المشرق الجنوبي[198].

كانت البيوت تبلغ أبعاد كبيرة حتى 13 م عند القطر، وكانت مخططات البيوت معظمها دائرية وعموماً غير مكتملة الشكل، وهذا يعتبر مخالف لنمط البناء الذي كان سائداً في تلك الفترة، وخاصة أننا نعرف أنه في المشرق الشمالي ومنذ بداية الـ PPNA ظهر البيت المستطيل، ورسمت المخططات بأشكال هندسية مستقيمة ومنتظمة. ونلاحظ أنه في أسود لم يظهر البيت المستطيل إلا في أطراف المنطقة المسكونة.

وإذا أردنا مقارنة أشكال البيوت، طوال فترة الاستيطان في التل نستنتج أن البيوت التي جدرانها أكثر استقامة، وأحياناً مع زوايا قائمة بالكامل هي من المرحلة القديمة (السويات B8 – B10)[199].

أما المرحلة المتوسطة تصبح البيوت بيضوية الشكل، أو حتى دائرية تقريباً وبأبعاد متنوعة.

وفي النهاية نلاحظ أن استيطان البيوت المستطيلة التي ظهرت قد تكون متوافقة نوعاً ما مع بداية الـ PPNB الحديث.

---

197 Stordeur, D. et Jamous, B. 2008- 2009: p.9- 10.

198 Stordeur, D. et (als.) 2010: p. 7-8.

199 Stordeur, D. 2003: p. 6-7.

وبذلك نجد أن مخططات البيوت في تل أسود لم تتجاوب لأشكال محددة وبالتالي لا يمكننا توحيد الأنماط (المخططات) والتصاميم، فيه حيث أنه لا يوجد شكل ومقاسات موحدة في أبنية التل[200]. وبالنسبة للجهيزات الداخلية للمنازل، فهي مشابهة لغيرها تقريباً، فيها مواقد محفورة ومرممة عدة مرات، ومطلية بعناية، وأحياناً محاطة بحواشي، وهي موضوعة باتجاه مركز المنزل. وفيها إنشاءات للتخزين مجمعة في ثلاثة أو أربعة من مصاطب طينية مشيدة على طول الجدران، وهي تقع داخل البيوت، أو في مساحات وسطية تنفتح أمام الباب المفتوح أو الموجه على الأغلب باتجاه الشرق[201]. (الشكل 17)

الفضاءات المشيدة في تل أسود:

لم تتبع بيوت تل أسود نمط هندسي محدد، بينما كانت الفضاءات المشيدة دقيقة التصميم، مستطيلة الشكل. بدأت في المرحلة المتوسطة تعتمد على نظام التيراسات (الشرفات) باتجاه الشرق، وذلك لحمايتها من الرياح القادمة من الغرب، كان البعض منها مبني على سطح الأرض مباشرة والبعض الآخر مطمور. ومعظم البيوت مفتوحة على الشرق، كما يدل على ذلك تموضع جميع الأبواب المكتشفة والتي كانت مسبوقة أحياناً بممر مسقوف بغطاء خفيف[202].

وكانت هذه المساحات المبنية على أطراف القرية تتمدد وتتقلص، وبدأت التغيرات هذه مع بداية الـ PPNB الوسيط، وإن استيطان الأطراف كان مخصصاً لنشاطات الحياة اليومية المحتملة في القرية، وخاصة فيما يتعلق بتربية الحيوانات وزرائبها، فهي لم تكن مليئة فقط ببقايا النباتات المتفحة، ولكن أيضاً نجد فيها روث الحيوانات. وتحوي أيضاً على بقايا تدل على أنشطة لأعمال فنية يدوية حيث تم العثور على كميات كبيرة لأشياء مصنوعة من التراب: مثل الدمى البشرية والحيوانية وأشكال هندسية. ومن شبه المؤكد أن هذه الأشكال قد صنعت في المكان نفسه، وشويت بشكل غير منتظم ولكن بشكل مقصود.

---

200 Stordeur, D. 2006: p.8.

201 Albukaai, D.E. 2012: p. 111.

202 Stordeur, D. 2007: p. 9- 10.

وبعد ذلك ابتداءً من الـ PPNB الحديث، نجد نمط آخر لاستيطان الأطراف فسوف تسكن أطراف القرية بالفضاءات الجنائزية (المقابر) والتي سنذكرها لاحقا[203].

ولابد لنا من ذكر أمثلة لأهم البيوت التي عثر عليها في تل أسود وكان أقدمها المنزل (EA 24, B12):

هو أقدم المنازل، يعود إلى المرحلة القديمة (فترة الـ PPNB القديم)، كبير الحجم ذو مخطط دائري يبلغ قطره 7 م، وهو مطمور في الأرض حوالي 50 سم. بنيت جدرانه من الطين وسرير القصب المتناوبين، عثر داخله على موقد مبني من الطين ومثبت بأعمدة، وعلى مقاعد طينية، وكانت البقايا الجنائزية فيه عديدة[204]. (الشكل 18)

أما المنزل (EA 43, B8): كان المنزل الأول المبني باللبن المقولب ويعود إلى المرحلة الانتقالية بين الـ PPNB القديم والحديث. تبلغ أبعاده 4,30 X 7,60 م، كان مطمور من الغرب إلى الشمال على عمق 50 سم تقريباً. مخططه ذو أربع أضلاع منتظمة، تظهر زاويتين قائمتين لزاويتين منفرجتين.

كان داخله مجهز بشكل جيد جداً، عثر فيه على حفرتين على جانبي المدخل، وعلى ثلاث مواقد Foyers أكبرها في وسط المنزل، وهو مطمور، والباقيان موضوعان بالقرب من الباب، وأحدهما موجود على مصطبة طينية. وفي هذا المنزل يظهر لأول مرة اللبن المقولب[205].

المنزل (Ea 14, B5): يعود إلى الـ PPNB الوسيط، بني من اللبن المقولب، تبلغ أبعاده 9 X 8 م له شكل هندسي معين تقريباً، وكانت الجدران مبنية على قواعد من اللبن المقولب بشكل بيضوي ومثبتة بملاط طيني. كان داخل المنزل غير مقسم وعثر فيه على عدة أطفال دفنوا فيه بانتظام أو مقابل جدران هذا المنزل[206].

---

203 Stordeur, D. et Jamous, B. 2008- 2009: p.9- 10.

204 Stordeur, D. 2007: p. 40

205 Stordeur, D. 2006: p. 9- 10.

206 Stordeur, D. 2002: p.7.

المنزل (EA 21, B3): هو بناء كبير ومميز يعود إلى الـ PPNB الوسيط، بيضوي الشكل، يبلغ قطره حوالي 13 م، شكلت الأرضية من كتل طينية كبيرة، ومطلية بطبقة رقيقة بيضاء ربما هي كلس. وبني فيه الجدار على مستوى سطح الأرض مباشرة، ليكون ولأول مرة من اللبن المقولب المستطيل الشكل مع لبن مقولب بيضوي الشكل.

لم يوجد في هذا المنزل أية تهيئة داخلية، فلا يوجد أي دليل على أنه استخدم للسكن، لكن عدة بقايا من العظام والحجارة الموجودة على الأرض تدل على أنشطة منزلية جرت فيه، وعثر فيه أيضاً على العديد من القبور والبقايا الجنائزية المهمة التي سنتطرق لها لاحقا[207].

أما تل الغريفة أعطى بقايا معمارية بسيطة، اقتصرت على المرحلة الأولى من الاستيطان فيه. ولم يعثر على أية أبنية كاملة، كانت البيوت دائرية في معظمها، دلت عليها أجزاء من الجدران على الأرض البكر[208]، كانت عبارة عن قطع من الطين المشوي بلغ عددها 14 قطعة، 4 منها عليها طبعات قصب والبقية سطحها مالس، وهي مشابهة لعمارة تل أسود أيضا[209].

وفي تل عطنة تعود العمارة إلى الـ PPNB الحديث، وكانت هذه البقايا هي التي قادت إلى التنقيب والعمل في هذا الموقع، ونتيجة للانجراف الطبيعي والحفر التي قامت بها الجرافات، ظهرت عدة مقاطع في التل (موجودة في قمة التل)، وعن طريقها تم لحظ أرضية مطلية بالكلس. ومن جهة أخرى عثر أيضاً على جدار من الطين المجفف، تبلغ سماكته 8- 9 سم[210].

كانت بيئة تل عطنة غنية بالكلس، وهذا يدلنا أن سكان التل كانوا ذو خبرة ثقافية كافية بإعداده وصناعته[211].

ومن ثم أتت بقايا معمارية من عصر الـ PPNB الحديث، من موقع مهم هو تل الرماد، وهي قرية تبلغ مساحتها 3 هكتارات، وصلت المساحة المنقبة فيها 1500 م2، وكما نعلم تتألف من ثلاث

[207] Stordeur, D. 2003: p. 9-10.

[208] De Contenson, H. 1985: p.16.

[209] De Contenson, H. 1995: p. 299.

[210] Stordeur, D. et Jamous, B. 2008- 2009: p.9- 10.

[211] Conqueugniot, E. 1982: p. 93.

سويات أثرية الأولى والثانية فقط احتوتا شواهد معمارية اختلفتا عن بعضهما قليلاً في الأدوات الحجرية وغيرها وكثيراً في العمارة[212].

في السوية الأولى (الرماد I) وهي قاعدة التل، كانت العمارة عبارة عن أكواخ بيضوية الشكل، يتراوح قطر كل منها بين 3 و4 م، وهي مغمورة بالتراب حتى النصف[213]، جدرانها مطلية بالطين المدكوك، أما أرضياتها فكانت مفروشة إما بالكلس أو بالطين المدكوك أو بألواح الحجارة. وعثر خارج نطاق هذه الأكواخ على أفران في شكل الكوة، وصوامع على شكل أحواض، يصل قطرها إلى 1,80 م ومزودة بمسند عند الفوهة بقنطرة (قوس). وهذه السوية لا تمتد إلا على جزء صغير من المساحة التي تم تنقيبها. وكانت مشابهة نوعاً ما لعمارة تل أسود وتل الغريفة I [214].

أما السوية الثانية فكانت عمارتها مختلفة تماماً عن الأولى، امتدت على طول المساحة المنقبة 1500 م2، ظهر فيها نموذجين من المعالم المعمارية: بيوت مستطيلة الشكل وكبيرة الحجم، تبلغ سماكة جدرانها (90- 100 سم) وأساساتها من الحجارة، والجدران من اللبن المجفف المصنوع بالقالب، وتبلغ مقاييس كل لبنة 40 x 30 x 8 سم. لهذه المساكن أرضيات مطلية، أو بيوت أصغر حجماً، وجدرانها أقل سماكة (حوالي 40سم) مبنية من الحجر أو اللبن المجفف، مع أرضيات مطلية إما بالكلس أو بالطين[215] . (الشكل 19)

كانت هذه لبيوت في كلا النوعين عبارة عن غرفة واحدة، إما تستند على بعضها بعضاً أو مفصولة بممرات ضيقة (مبلطة أيضاً) أو باحات، وخارج هذه المساكن المواقد والأفران وحفر التخزين، حيث عثر على حفرة مملوءة بالحبوب المتفحمة ومحددة بنمط وهي كانت ربما حوضاً خشبياً لحفظ

---

[212] كوفان، جاك، 1995: ص 107- 108.

[213] De Contenson, H. 1985: p. 18.

[214] كوفان، جاك، 1984: ص 87.

[215] De Contenson, H.. 1966: p. 168.

المؤنة[216]. واكتشف أيضاً حفرة واسعة محترقة الجوانب وممتلئة بالفحم الخشبي والكلس وهي تمثل على الأغلب فرناً لتهيئة المادة الأولية لطلاء الأرضية وتصنيع الآنية البيضاء[217].

ويرى العلماء أن هذا التغير بالعمارة ارتبط بعدد من الابتكارات المهمة سواء من حيث الأدوات أو حتى إنتاج الأواني الكلسية.

كما عثر على بيوت مستطيلة مشابهة من نفس الفترة من موقع اللبوة في سهل البقاع اللبناني[218].

في السوية الثالثة من تل الرماد، اختفت العمارة تماماً وحلت محلها حفر كبيرة يبلغ عمقها 2,50م وتشكل صلة مشتركة بين رماد ومواقع العصر الحجري الحديث الفخاري في فلسطين[219]. ويمكن التساؤل عما إذا كان اختفاء البيوت في الأرض ناشئاً عن العودة إلى حياة الرعي أو أقل استمراراً، ومن المحتمل أن يكون تغيير طفيف في الطقس بحيث أصبح أكثر جفافاً مما خلق شروطاً أكثر صعوبة لبقاء الاقتصاد المروي في منتصف الألف السادس ق.م[220].

وبذلك نجد أن حوضة دمشق أعطت بقايا معمارية متنوعة، كانت بدايتها مع أرضية باز جبعدين المتميزة من نهاية الفترة النطوفية، ومن ثم أتت من مواقع الحوضة النيوليتية كلها، فترة الـ PPNB، باستثناء فترة العصر الحجري الحديث الفخاري التي لم يأتي منها أية دلائل معمارية.

ونجد من خلال دراسة نماذج العمارة في الحوضة أنه لم تستخدم الحجارة في عمارتها، وكانت المادة الأساسية في البناء هي اللبن، باستثناء الرماد II والتي اقتصرت الحجارة فيها فقط على أساسات البناء أما باقي الجدران كانت من اللبن، ومن خلال تل أسود تمكنا من تتبع مراحل استخدام اللبن والتي أصبحت فيما بعد مقولبة ومجففة، كانت في البداية مقولبة بشكل بيضوي ثم تطورت مع مرور الزمن إلى الشكل المستطيل.

---

[216] Mellaart, J. 1975: p. 58.

[217] De Contenson, H. 1969: p. 27.

[218] كوفان، جاك، 1984: ص 80.

[219] De Contenson, H. 1967: p. 20- 21.

[220] De Contenson, H. 1985: p. 20.

كان الجزء السفلي لأغلب البيوت في حوضة دمشق مطمور في الأرض بحوالي 50 سم تقريبا، باستثناء بيوت تل الغريفة التي بنيت على سطح الأرض مباشرة وطليت أرضياتها بالكلس غالباً، وفي تل الرماد إضافة إلى الكلس كانت مفروشة بألواح من الحجارة أو الطين المدكوك.

لم تكن مخططات وأشكال البيوت وأحجامها في الحوضة موحدة، فهي لم تلتزم بنمط هندسي محدد، بل كانت مخالفة لما كان سائدا في فترة الـ PPNB، فنجد بيوت تل الغريفة وتل الرماد I وأغلب بيوت تل أسود دائرية أو بيضوية الشكل تراوح حجم قطرها بين 13 – 4 م، كما ظهرت البيوت المستطيلة الشكل والكبيرة الحجم نوعا ما في تل الرماد II وتل أسود في أطراف المنطقة المسكونة.

احتوت أغلب البيوت على مواقد كانت إما محفورة داخلها مثل مواقد تل أسود، أو مواقد مشيدة وتقع خارج بيوت السكن في الساحات مثل مواقد تل الرماد. (الشكل 20) وعثر في تل الرماد على أفران على شكل كوة استخدمت لغايات صناعية من أجل تصنيع الجص [221].

ظهر في تل أسود فضاءات مشيدة على أطراف القرية، كانت أبنية مستطية الشكل دقيقة التصميم مخصصة لممارسة نشاطات الحياة اليومية، وفي فترة لاحقة نجد في تل أسود أيضاً نمط آخر لاستيطان الأطراف وهي الفضاءات الجنائزية (المقابر). هذه الفضاءات لم تتواجد إلا في موقع تل أسود.

كما لاحظنا تشابه العناصر المعمارية في مواقع تل أسود وتل الغريفة وتل الرماد I بشكل كبير، سواء من حيث مواد البناء وأشكال البيوت الدائرية وأحجامها.

وكانت هذه البيوت الدائرية مختلفة عن ما كان سائد في ذلك العصر وما هو معروف في مواقع المشرق الشمالي، وإذا أردنا مقارنتها مع بيوت مشابهة لها في المشرق الجنوبي، نجد أنها قليلة، أهمها موقع البيضا في فلسطين، الذي اتبع المخطط الدائري في البناء أيضاً، لكن الفرق أنه استخدم الحجارة عكس مواقع الحوضة التي اعتمدت على اللبن فقط.

[221] أبو غنيمة، خالد، 2004: ص 219 – 220.

وتمكننا من مقارنة نماذج تل الرماد II المستطيلة الشكل مع مواقع أبو غوش والبسطة في المشرق الجنوبي وموقع اللبوة في سهل البقاع اللبناني. شابهت مواقع المشرق الشمالي (أبو هريرة – المريبط – جعدة المغارة– حالولة وغيرها) من حيث استخدام الطين واللبن في البناء، لكن أبنيتها وصلت إلى مرحلة عالية من الازدهار والتطور في الـ PPNB لم تصل إليها بيوت تل الرماد II.

ولاحظنا ظهور نماذج جديدة من البناء في تل أسود فقط دون غيره من مواقع الحوضة، هي مساحات (فضاءات) مبنية على أطراف المنطقة السكنية مخصصة لممارسة النشاطات اليومية، وأيضاً مساحات (فضاءات) جنائزية، بمثابة مقابر. ولم نجد ما يشابهها في مواقع المشرق الشمالي، فقط في بعض مواقع المشرق الجنوبي (أبو غوش، بعجة).

وقد أعطت حوضة دمشق بقايا معمارية من مختلف مراحل الفترة النطوفية والعصر الحجري الحديث باستثناء العصر الحجري الحديث الفخاري (الرماد III).

2 – الأدوات الحجرية:

احتاج الإنسان بعد التحسن المناخي إلى أدوات جديدة متطورة، تتوافق مع متطلبات المرحلة الجديدة من العيش والاستقرار، خصوصا بعد انتشار القرى الزراعية. استمر النطوفيون في صناعة الأدوات الميكروليتية الهندسية من العصر السابق لكن بأشكال جديدة سيما الهلالية (Lunates)، والتي أطلق عليها تشذيب حلوان[222].

بعد ذلك تطورت تقنيات التصنيع بشكل كبير في عصر الـ PPNA، في البداية استمرت الصناعات الميكروليتية، وظهرت أدوات جديدة هي رؤوس السهام Points وصفت بأنها من وحي النطوفي[223]. ثم تشعبت إلى ثقافتين محليتين، كانو في السابق ثلاث ثقافات (السلطانية والمريبطية والأسودية)، لكن الدراسات الحديثة أثبتت عدم وجود الثقافة الأسودية.

الثقافة السلطانية: ورثت الكثير من تقنيات الخيامي، وكان أهم أدواتها المثاقب والمكاشط ونصلات المناجل وغيرها، وكلها يتم تحضيرها من نواة Core ذات قطب واحد فكانت هذه الأدوات هرمية،

---

[222] Akkeremans, P. 2003: p. 27- 26.

[223] Mellarrt, J. 1975: p.33- 34.

أهمها النصال الموصوفة بأنها ضيقة وأشكالها غير منتظمة بطول (3-5) سم. ومن الأدوات الحجرية المميزة لهذه الفترة الفأس الذي أخذ شكلاً محدباً، وله جانب حاد ورأس مدبب (مقطعه بيضوي أو دائري) وربما استعمل للأعمال الخشبية. كما عثر على نصيلات مصنوعة من الأوبسيديان.

الثقافة المريبطية: هي استمرار لأدوات نهاية الفترة النطوفية، أهمها النصال الصغيرة والأدوات الميكروليتية والشظايا المطروقة من نواة هرمية، أما الأدوات الكبيرة الحجم نسبياً فتمثلت بالمثاقب والمكاشط ونصال مناجل، وتميزت هذه الفترة برؤوس سهام المريبط.. كما عثر على فؤوس مصقولة من الأحجار الخضراء، وأدوات من الأوبسيديان، وأدوات ثقيلة لطحن الحبوب وغير ذلك[224].

أما في الـ PPNB، حصل تطور عالي في تقنيات طرق الصوان وتصنيع الأدوات الصوانية، كما ظهرت تقنيات وطرق تصنيع جديدة، وأصبحت رؤوس السهام والنصال الصوانية من أهم الأدوات الممثلة لهذا العصر مع استمرار تصنيع الأدوات السابقة كالمكاشط والأزاميل والفؤوس وخاصة الفؤوس المصقولة المصنعة من الحجارة الخضراء، مع تلاشي الفؤوس الصوانية[225].

ويمكننا تلخيص أهم مميزات هذه الفترة بما يلي:

- سيطرت رؤوس سهام جديدة مكان رؤوس سهام الخيام وحلوان، ظهرت في البداية رؤوس سهام جبيل Byblos Point والعمق Amouq Point ثم رؤوس سهام أريحا Jericho Point، ومع بداية الـ PPNB الوسيط استخدمت رؤوس سهام محلية قريبة من نموذج جبيل، مثل رؤوس سهام تل أسود Aswadian Point، إضافة إلى الرؤوس البيضوية الخاصة ب PPNB. كانت رؤوس سهام جبيل كبيرة نسبياً، قاعدتها أقل ثخانة مع تقعر أحد جوانبها ثم تضييق بشكل حاد حتى نهاية رأس السهم، وكان رأسها مشذب بتشذيبات مسطحة طويلة، ومتوازية تسمى تشذيبات صفيحية، ويعتبر هذا التشذيب خاص برؤوس سهام جبيل، هذا النمط دام لأكثر من ألفي عام[226]. بينما تميزت رؤوس سهام أريحا

[224] تموم، جمال، المرجع السابق، ص 156- 157.

[225] Coqueugniot, E. (b)1999: p. 137.

[226] Balkan, N. 1990: p. 78.

بأن لها نفس الحجم وسويقة متوسطة الحجم، لكن القسم السفلي ليس له زوايا بل تقعر[227].

أما رؤوس سهام العمق فهي قليلة العرض، وشكلها متطاول وقد انتشرت خلال الـ PPNB واختفت مع النيوليتي المتأخر[228].

- سيطرت النصال المقصبة من النوى السفينية ثنائية القطب عن طريق الطرق المباشر أو غير المباشر، واستعمل جزء منها كنصال مناجل التي أصبح حجمها أكبر، وتحمل لمعة عند الجانب المستخدم في جني المحاصيل الزراعية والقصب، واستعملت لاحقاً كأزاميل من أجل إعداد كل ما يتعلق بأعمال التجارة، كما عثر على العديد من الأدوات المصنوعة من الأوبسيديان المستورد من الأناضول[229].

مع بداية الـ PPNB بدأت التقاليد المريبطية بالانتشار، فامتدت تقنيات تصنيع الأدوات الصوانية الخاصة بهذه الفترة إلى المشرق المركزي (حوضة دمشق) ومنه إلى المشرق الجنوبي (فلسطين والأردن)، ولاحقاً نحو الأناضول، ومع بداية الـ PPNB الحديث امتدت غرباً باتجاه رأس شمرة وجبيل واللبوة في البقاع اللبناني، وإلى البادية مثل الكوم وبقرص مع وجود خصوصية لكل منطقة[230].

وفي العصر الحجري الحديث الفخاري استمر تصنيع الأدوات الصوانية المختلفة كرؤوس السهام الصغيرة جداً وشفرات المناجل المسننة بشكل عميق على شكل المنشار والمكاشط والمدببات والفؤوس، وصنعت أنواع جديدة من النبال ذات الشكل البيضوي المشذبة بعناية كلياً أو جزئياً. إضافة إلى الأدوات المصنعة من الأوبسيديان المستورد[231].

كما ظهرت أدوات الطحن في أغلب مواقع العصر الحجري الحديث، لم تكن بغنى الأدوات الصوانية، وأغلبها كانت عبارة عن أحجار طحن (ثابتة ومتحركة)، على شكل بلاطتين توضع إحداهما

---

[227] Gopher, A. 1994: p. 165.

[228] Ibid, p. 227.

[229] Quintero, L.A. and Wilk, P.J. 1995: p. 18- 19.

[230] تموم، جمال، 2011: ص 167.

[231] محيسن، سلطان، 1994: ص 83.

فوق الأخرى، صنعت من البازلت غالباً أو من الحجر الرملي أو الكلسي ولكن بنسبة أقل. استخدمت لطحن الحبوب واللوزيات أو لطحن المغرة الحمراء وغير ذلك. واستخدمت الهاونات والمدقات أيضاً[232].

الأدوات الحجرية في حوضة دمشق:

عثر على الأدوات الحجرية وبخاصة الصوانية بأعداد كثيفة في كل مواقع حوضة دمشق، حتى التي لم تنقب بشكل واسع واقتصرت الأعمال فيها على المسح الأثري، وسنحاول استعراضها كلها من الأقدم إلى الأحدث.

استخدم السكان في ملاحة جيرود نوعان من الصوان، النوع الأول تقع مقالعه إلى الجهة الجنوبية الشرقية من البحيرة وكانا نوعيته من الدرجة المتوسطة. أما النوع الثاني فكان الأفضل، حيث تميز بأنه حجر صوان من نوعية جيدة جداً، صلب وناعم، ذو لون بني أو أصفر، وهذا الصوان كان الأكثر استخداماً من قبل سكان مواقع جيرود في عصور ما قبل التاريخ، وتتواجد مقالعه الصوانية إلى الجهة الشمالية الشرقية من الملاحة على مسافة 8 – 10 كم شمال شرق المقالع الأولى[233].

وكانت أغلب القطع عبارة عن مكاشط (ما عدا جيرود 1) كما وتظهر المكاشط الكبيرة ودائرية الشكل. وأحياناً القطع الصوانية الكبيرة ذات التشذيب الثنائي على الوجهين والتي تشبه البلطة أو القدوم إضافة إلى الأدوات الدقيقة الميكروليتية ذات الأشكال الهلالية وتحمل تشذيباً حاداً شديد الانحدار وقليل منها ذو تشذيب من النوع الأقل انحدار والمسمى حلوان (جيرود 3) (الشكل 21) وعثر على بعض الأزاميل والنوى والنصال، وكذلك عدد من الأدوات الثقيلة (الرحى، الأجران) وهي تدل على استيطان مديد في الموقع[234].

[232] Wright, K. 1993: p.95.
[233] Cauvin, M.C. 1982: p. 274- 275.
[234] Cauvin, M.C. 1991: p.297- 298.

ومن المواقع المشابهة لمواقعها الملجأ الثالث في يبرود حيث على آثار نطوفية مشابهة لتلك التي ظهرت في موقع جيرود 2 خصوصاً، وفي منطقة البادية السورية الكوم، حوض الفرات (نهر الحمر) ومنطقة درعا (الطيبة) في عفرين شمال حلب[235].

أما بالنسبة للأدوات الحجرية في باز جبعدين تميزت بتنوعها وكثافتها حتى في الطبقات الفقيرة من الموقع، وكان أغلبها من الطبقات النطوفية وطبقات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ و ب Pre-pottery Neolithic A, B . صُنعت الأدوات من أحجار صوانية محلية عالية الجودة، حيث يتم تحضير النوى Nucleusوتصنع الأدوات داخل الموقع نفسه كما عُثر على أدوات صوانية أخرى مصنوعة من حجر الشيرت Chert (صوان غير نقي) ولكن يتم تحضيرها خارج الموقع[236].

وكان العديد من الأدوات الصوانية محروقاً وخصوصاً تلك الموجودة تحت أرضية السكن والتي تعود للفترة النطوفية، ومن أهمها الأدوات النصلية Bladeletts والأدوات الميكروليتية Microliths الصغيرة (الشكل 22) وبعض المكاشط والمقاحف Scrapersالتي تميزت بأنها أصغر من التي عُثر عليها في الطبقات الأحدث. أما بالنسبة لأدوات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ فكان أهمها الحراب الخيامية Khiamian Points (الشكل 23) والمكاشط والمقاحف الكبيرة والأدوات المسننة Denticutated Tools والنصال المظّهرة Backed blades. كما عثر ولكن بعدد أقل على العديد من أدوات الطحن الحجرية مثل الهاونات والمدقات والتي عثر على بعضها آثار مغرة حمراء[237]. (الشكل 24)

وفي موقع قرنة المغارة عثر على أدوات حجرية عديدة بعضها وجد على السطح الداخلي أو على السفوح أمام الملجأ. وكانت إما صغيرة كقطع دائرية ونصيلات مظهّرة وأزاميل صغيرة ومكاشط ونواة صغيرة هرمية وهي ربما نطوفية. أو أدوات كبيرة مثل نصلة منجل من الحجر الصواني الأحمر، ويوجد نصال مناجل بأسنان ناعمة، وأحياناً بظهر محدّب وعثر على مكاشط (الشكل 25) وأدوات ضخمة

[235] محيسن، سلطان، 1982: ص 213.

[236] Conard, N.J. 2006: p.35- 36.

[237] Hillgruber, K. F. 2010: p. 98-99.

وعدد من رؤوس السهام كان لبعضها قاعدة محدبة مع فرضات جانبية، وعثر على ما يشابهها في تل الرماد، ويوجد رؤوس سهام مشابهة لتقنية أبو غوش، وكذلك مدقة بازلتية نصف كروية.

تميز الصوان المستخدم بالموقع أنه من النوع الجيد، وهو إما كستنائي أو بنفسجي فاتح أو رمادي مزرق أو بيج. ومن المؤكد أن هذه الأدوات المجمعة لم تكن في مكانها الأصلي ولكنها تعود لفترة الإقامة في الملجأ. ومن الواضح أن لها صفة زراعية مثل النصلات والمناجل المسننة وغيرها.

بالتالي فإن موقع قرنة المغارة لا يمثل مركزاً في الهواء الطلق وإنما بقايا مأوى متهدم تحت صخرة، ومن خلال دراستها توضح أنها تعود إلى الفترة النطوفية والعصر الحجري الحديث[238]. ونجد أن موقعا باز جبعدين وقرنة المغارة شهدا مروراً لجماعات من عصر الـ PPNA لكن دون أن يستقروا فيها .

وفي الستينات من القرن الماضي، قام الباحث الهولندي فان ليره بعدد من المسوحات الأثرية في حوضة دمشق، حيث اكتشف موقع سطحي تربته حمراء، هو نبع بردى يقع على مسافة 40 كم إلى الشمال الغربي من دمشق، عثر فيه على العديد من الأدوات الصوانية المصنوعة من صوان صغير أهمها وأفضلها صنعاً كانت المكاشط التي تميزت بأنها سميكة غالباً، ويوجد مثاقب سميكة وقليل من القطع الدائرية ونصيلات مظهّرة ومن خلال دراستها نجد أنها تعود إلى العصر الحجري الحديث[239].

بعد ذلك اكتشف موقع سهل الصحراء، يمتد على مسافة 15 كم غرب دمشق، ويقصد به صحراء الديماس، الواقع بين سلسلتي جبال لبنان الشرقية. عثر فيها على عدة مواقع من العصر الحجري الحديث، يستدل عليها إما من خلال انخفاض في التربة، أو من تجمع الحجارة الكبيرة، أو عن طريق بعض الأدوات الحجرية المكتشفة المكونة من الصوان والبازلت والحجر الكلسي.

قامت الصناعة الحجرية على أساس الشظايا مع قليل من النصيلات، أهم الأدوات المكاشط المسننة ومكاشط قرصية الشكل، ونصال مناجل وبعض الأدوات ذات الوجهين كالفؤوس Biface والأزاميل Burin، إضافة إلى أجران بدائية الصنع[240].

---

[238] De Contenson, H. (a)1966: p. 197- 199.

[239] دو كونتنسون، هنري و فان لير، 1963: ص 275.

[240] المرجع السابق، ص 275.

أما بالنسبة لتل أسود بلغ عدد الأدوات الصوانية المكتشفة فيه حوالي 2708 أداة، دُرس منها 1265 أداة[241]. قام بدراستها الباحث الفرنسي فريديريك آبس Frederic Abbes وقد أعطت نتائج مهمة بالنسبة لتأريخ الموقع، حيث كان يعتقد بوجود ثقافة الأسودي المعاصرة لفترة الـ PPNA، لكن الدراسات بينت أن الموقع يبدأ من فترة الـ PPNB القديم كما ذكرنا سابقاً[242].

عثر على نصال صوانية بكثافة، أغلبها نصال كبيرة ذات أسنان دقيقة، استخدمت على الأرجح من أجل المناجل المستخدمة في الزراعة لتقطيع القصب والأسل (نبات شبيه بالقصب) اللازمين للبناء.

وكان يتم التقصيب من نوى ثنائية القطب سفينية الشكل، وكانت أعدادها قليلة جداً وكذلك الأزاميل والمثاقب بالمقارنة مع النصال[243].

وقد أعطى تل أسود رؤوس سهام متنوعة، وخاصة رؤوس سهام محلية سميت بالأسودية (الشكل 26) شبيهة برؤوس سهام جبيل من خلال تجهيز فرضاتها بواسطة حزات جانبية إنما أكبر وأفضل إعداداً، استخدمت أيضاً رؤوس سهام جبيل (الشكل 27) والعمق وأريحا (الشكل 28) ورؤوس السهام البيضوية الخاصة بفترة الـ PPNB[244].

كما وجدنا في تل أسود العديد من الأدوات الأوبسيديانية الهامة التي استوردت من ثلاث مناطق مختلفة (Gullg Dag في أقليم كبادوكيا و Bingol و Nemrut Dug في جنوبي الأناصول)، وقد جاءت عبر الفرات الأوسط إلى الصحراء العربية ومن ثم إلى حوضة دمشق (تل أسود)[245].

ومن الواضح أن تل أسود لعب الدور الوسيط للتبادل التجاري بين المشرق الشمالي والمشرق الجنوبي. وهذا ربما يفسر لنا غزارة القطع الأوبسيديانية المكتشفة فيه[246].

---

[241] Stordeur, D. 2007: p. 14.

[242] Stordeur, D. et Jamous, B. 2002: p. 3.

[243] Stordeur, D. et Jamous, B. 2005: p. 3.

[244] Stordeur, D. et Jamous, B. 2006: p. 22- 21.

[245] Delerue, S. 2007: p. 151.

[246] Orange, M. et (als.) 2013: p. 179.

اختلفت وتنوعت نسب الأدوات الصوانية في مرحلتي تل الغريفة، ففي المرحلة الأولى استخدمت النوى السفينية الشكل والتي كانت مميزة لهذه الفترة، وازداد عدد الأدوات المشذبة على نصال وعثر على نصال طويلة للمناجل كانت ذات أسنان دقيقة، استخدمت لقطع النباتات لذلك كان عليها لمعة[247].

ومن الأدوات المهمة أيضاً رؤوس السهام من نوع جبيل وحراب من نوع العمق في نحو نهاية الاستيطان في الغريفة I، وكذلك عدد كبير من الأزاميل بأنماط و أنواع متنوعة والمكاشط (الشكل 29). وعثر على عدة نصال من الأوبسيديان، وقد وجد العلماء أن هذه المادة مجلوبة من بلاد الأناضول. وكذلك وجُد قطعة حوض من الحجر الكلسي وقطعتي رحى من البازلت[248].

وبعد الدراسة والمقارنة نجد أن أدوات الغريفة مشابهة لتل أسود خصوصاً رؤوس سهام جبيل وحراب العمق. ولكن لم نعثر على أية نصال لامعة في تل أسود، و بذلك نجد أن الموقعين لهما نفس الثقافة لكن مع وجود خصوصية لكل جماعة. وإذا ما قارنا تل الغريفة مع مواقع المشرق الشمالي نجد أنها مشابهة لأدوات أبو هريرة وتل أسود الجزيرة[249].

وفي المرحلة الثانية من الغريفة استمر استخدام النوى السفينية والأدوات المشذبة على نصال، وظهرت تقنية جديدة وهي الأدوات الثقيلة (معول، أداة ذات حدين، فؤوس مصقولة) وكان هناك تنوع بالأدوات وازدادت نسبة رؤوس السهام من نوع جبيل، وصنع ساق الأداة بلمسات شبه خشنة، بتقنية موقع أبو غوش أو موقع رأس شمرة. ورؤوس سهام بيضوية الشكل الجزء السفلي مشذب لكن دون نتوء يفصل بينهما[250]. (الشكل 30)

وأصبحت نسبة النصال اللامعة (الشكل 31) والأزاميل والمناكيش أقل تعداداً، وكان حجر الأوبسيديان أكثر انتشاراً واستورد من نفس المصدر. وكانت الأدوات المنزلية تصنع من القش أو الخشب. يتعاصر الغريفة II مع بداية الاستيطان بموقع الرماد.

---

[247]De Contenson, H. 1985: p. 16.

[248]Cauvin, M-C. 1975: p. 297.

[249]De Contenson, H. 1995: p. 303- 304.

[250]Cauvin, M-C. 1975: p. 300.

ويدل استخدام الاوبسيديان في المرحلتين على توسع المبادلات التجارية[251].

وقد لوحظ أنه في المرحلتين تنعكس النسب بين المناجل ورؤوس السهام من جهة وبين الأزاميل والمكاشط من جهة ثانية. فبينما كانت الأزاميل والمكاشط تصنيعها أكثر في الغريفة I أصبحت أقل في الغريفة II، والعكس صحيح بالنسبة للمناجل ورؤوس السهام حيث أصبحت نسبتها أكبر في الغريفة II، ويدل ذلك على ازدياد ممارسة نشاط صيد الحيوانات في هذه الفترة.

و بالرغم من قلة الأعمال في تل عطنة إلا أنه أعطى أدوات صوانية هامة، كانت ملتقطة من سطح الموقع أغلبها من الصوان البني اللون أو من الأوبسيديان المستورد. لم تحتوي على أية نواة صوانية، وصنعت بتقنيات مختلفة وكان أهمها رؤوس سهام من نوع جبيل، وعدد قليل من حراب العمق، ويوجد لها شكل معيَن، ورؤوس سهام بيضوية الشكل (الشكل 32)، إضافة إلى بعض نصال المناجل وتميز الموقع بغزارة المكاشط وندرة الأزاميل[252].

كما اكتشف بالموقع طاسات من الألباتر وحجر الجير المصقول. وعثر على أجزاء من أدوات الطحن منها قطعة من رحى كبيرة جداً مقعرة من البازلت، وأيضاً قطعة من هاون بازلتية، وبعد دراسة الأدوات ومقارنتها نجد أنها مشابهة لما عثر عليه بالغريفة II وموقع الرماد I خاصة بما يخص استعمال الألباتر والحجر الجيري المصقول[253].

يتألف تل الرماد من ثلاث مراحل استيطانية، ولكل مرحلة أدواتها وخصائصها. في الرماد I كانت معظم الأدوات من الصوان الناعم ومشابهة لموقع الغريفة II، وكان أهمها رؤوس السهام المتنوعة إما من نوع جبيل لها ساق مرتبة بلمسة مبسطة، وبعضها مصنع بتقنية أبو غوش، ورؤوس سهام بيضوية.

[251] De Contenson, H. 1975: p. 19- 20.
[252] Conqueugniot, E. 1982: p. 92- 93.
[253] De Contenson, H. 1985: p. 20.

وأصبحت نصال المناجل أكثر تنوعاً، فكان لبعضها أسنان دقيقة، ولبعضها قاعدة للوصل، ولبعضها لمعة قوية جداً نتيجة الاستخدام، ومنها ذات حدين بأسنان صغيرة، وهناك نصال عريضة بأسنان صغيرة مستطيلة[254].

وعثر على مقاحف ومكاشط وأزاميل متنوعة ومثاقب ذات ساق (الشكل 33). وظهرت في رماد I أيضاً عدد كبير من الفؤوس ذات قاطع مصقول، أكثر من موقع الغريفة II. وهو ما يتوقع في بيئة أغنى بالأشجار وقريبة من السفوح المشجرة[255].

وكذلك أدوات مصنوعة من حجر الأوبسيديان منها رؤوس سهام صغيرة ذات ساق أو ذات فرضات ونصيلات، وهناك قطع صغيرة هرمية الشكل مما يدل على أن هذه الأدوات يتم تصنيعها في الموقع نفسه.

وقد استوردت هذه المادة من Ciftlik سفتليك أو من منطقة نمرو داغ Nemrut Dag في بلاد الأناضول.

تميز الموقع أيضاً بوفرة الأثاث الثقيل المصنوع من الحجر، خصوصاً حجر البازلت الذي استخدم بكثرة في صناعة الرحى والطواحين ذات الحوض المزدوج والمدقات والأجران (الشكل 34)، كما استخدمت أنواع من حجر البازلت المفرغ في عمل أوعية صغيرة سحقت فيها التربة الحمراء.

واستخدم الحجر الجيري والألباتر في صنع طاسات (الشكل 35)، وأقراص مغازل مستديرة مصقولة بعناية، والتي رجح العلماء أنها دليل على القيام بالنسج في الرماد I [256].

وكان الرماد II غني بالأدوات الصوانية، استمر فيه تصنيع أدوات السوية الأولى، وأصبح يفضل الناس الصوان ذات الذرات الأقل نعومة واللون الصافي (بني أو كستنائي). يلاحظ في هذه الفترة تنوع رؤوس السهام المفرضة. فالبعض ذو قاعدة مستقيمة أو محدبة أو مقعرة، والبعض الآخر ذو ذيل قصير. وتقع الفرضات على القاعدة أو على الجوانب وهذا النوع شبيه برؤوس سهام تل أسود ومتطور عنه وهو

---

[254]De Contenson, H. 2000: p. 58- 59.
[255]De Contenson, H. 1967: p. 171.
[256] Mellaart, J. 1975: p. 64- 65.

الأغلب تواجداً (الشكل 36). وحلت نصال المناجل ذات الأسنان الضخمة المتباعدة محل نصال المناجل ذات الأسنان الصغيرة. (الشكل 37)

وقد وجدت الخناجر والمثاقب، وتزايد استعمال الفؤوس ذات القاطع المصقول والمعاول، وجدنا إلى جانب المكاشط الغليظة الأطراف مكاشط لها نصلات عريضة. كما وجد أدوات من حجر الاوبسيديان[257].

واقتصرت الأدوات المصنعة من حجر البازلت على المدقات وبعض الألواح البازلتية المفرغة وغير ذلك. ومن الأدوات المصنعة أيضا من الحجر الصلب وزنة من الحجر الكلسي، شكلها أسطواني مخروطي، ارتفاعها 30 سم، وقطرها 20 سم وعلى الوجه العلوي منها حلقة للتعليق، ومن المحتمل استعمالها كمدقة لدق الحبوب أو الحجارة. واكتشف قرص مغزلي من حجر البازلت مشابه للنموذج المعروف في السوية الأولى (الشكل 38). وتتضمن الأدوات المصنعة من الحجر المصقول فؤوساً صغيرة جدا[258].

وفي الرماد III أصبحت الأدوات أقل تنوعاً وكثافة، وكان أغلبها نصال مناجل بأسنان ضخمة، ووروس سهام بساق. كما عثر على بلطة صغيرة من الحجر الصلب المصقول، وختم مسطح من الحجر الكلسي ذو حلقة للتعليق، وسطح محزز بشكل متصالب، وهو الأول من نوعه في تل الرماد[259].

وبعد استعراض الأدوات الصوانية في مواقع حوضة دمشق، نجد أنها احتوت على أعداد كثيفة وتعود لكل الفترات المدروسة ابتداءاً من الفترة النطوفية حتى نهاية العصر الحجري الحديث.

ظهرت في البداية الأدوات الميكروليتية والميكروليتية الهندسية في المواقع النطوفية (جيرود، يبرود III، باز جبعدين) إضافة إلى الأزاميل الصغيرة نوعا ما والمقاحف والنوى الهرمية الصغيرة التي أصبحت في مواقع العصر الحجري الحديث نوى سفينية الشكل.

[257] De Contenson, H. 1985: p. 20.

[258] دو كونتنسون، هنري، 1969 (آ): ص 140.

[259] De Contenson, H. 1985: p. 24.

أكثر الأدوات استخداماً في الحوضة كانت نصال المناجل، وهذا دليل مؤكد على ممارسة الزراعة بشكل كثيف فيها، إضافة إلى وجود لمعة على أغلبها نتيجة استخدامها، في البداية كانت النصال مظهّرة وذات أسنان دقيقة وناعمة وكلما تقدم الزمن أصبحت أسنانها أكبر ومتباعدة كما رأينا في الرماد III.

ومن الأدوات التي ظهرت بكثافة أيضاً رؤوس السهام، والتي دلتنا على صيد أنواع مختلفة من الحيوانات، تنوعت أنماطها بين رؤوس سهام جبيل والعمق وأريحا وأبو غوش والبيضوية الشكل، وظهرت رؤوس سهام محلية كما في تل أسود، تطورت عنها بعد فترة رؤوس سهام في تل الرماد شبيهة بها وذات فرضات وتشذيبات متفاوتة بالاتساع. ولكن تبقى رؤوس سهام جبيل هي الأكثر تواجداً، واكتشفت في كل مواقع الحوضة النيوليتية.

كما عثر على الأدوات الأوبسيديانية في كل المواقع، كانت كلها مستوردة من بلاد الأناضول في الشمال، والتي جاءت عبر الفرات الأوسط ومن ثم الصحراء العربية إلى حوضة دمشق، لعبت الحوضة دور الوسيط بين الشمال والجنوب، فكان ينتقل الأوبسيديان من خلالها إلى مواقع المشرق الجنوبي.

لم تخل مواقع الحوضة من الأدوات الحجرية الثقيلة، احتوت كلها على رحى وأجران ومدقات وغير ذلك، أغلبها من البازلت وبعضها من الحجر الكلسي.

تشابهت الأدوات الحجرية فيما بين مواقع الحوضة، مع احتفاظ كل موقع بخصوصيته، كما رأينا تشابهت الأدوات في مواقع جيرود ويبرود III وباز جبعدين، وكذلك الحال في مواقع تل أسود وتل الغريفة وتل عطنة وتل الرماد. وعند المقارنة نجدها مشابهة لأدوات موقع أبو هريرة وبقرص وتل أسود (الجزيرة) وحالولة في المشرق الشمالي، وموقع اللبوة اللبناني، ورأس شمرة على الساحل السوري، وموقع أريحا في المشرق الجنوبي.

3 – الأدوات العظمية:

بالنسبة للأدوات العظمية تميزت بأنها قليلة جداً وخاصة في المراحل الأقدم، اقتصرت على بعض الإبر والمخارز والسكاكين، وكانت متشابهة فيما بينها في كل مواقع حوضة دمشق.

في موقع تل أسود كانت نادرة وقليلة، وكذلك في الغريفة I لكنها أصبحت غنية في الغريفة II، متنوعة بين مخارز ومقابض أدوات وملاعق مسطحة وسكاكين وغيرها، حيث عثر على 17 أداة عظمية[260]. اختلفت أنماطها حسب حدها القاطع، فهي إما ذات طرف مدبب للاستعمال أو طرفها غير محدد بمكان معين (متعدد الاتجاهات) أو سكين ذات حد قاطع أو متنوع غير محدد. (الشكل 39)

وأهم قطعة كانت من نمط الحد القاطع الجانبي، كاملة وجيدة يبلغ طولها 260 مم، مصنعة من قفص صدري لبقريات، تستخدم للقحف ويوجد عليها لمعة قوية نتيجة الاستخدام. وعثر على قطعة مشابهة في موقع أريحا وموقع نحال حمار، ويوجد مثلها أيضاً في مواقع المشرق الشمالي.

بالرغم من قلة عدد الأدوات العظمية في الغريفة لكنها كانت هامة جداً لسببين أولهما موقعها الزمني الوسيط بين موقعي تل أسود وتل الرماد، وثانياً أنه بالرغم من قلتها لكن جودتها عالية جداً والأفضل بين مواقع حوضة دمشق ومن هنا تأتي أهميتها[261].

وفي تل عطنة كان الموقع غنياً نوعا ما بالصناعة العظمية، بلغ عدد الأدوات حوالي 6، أغلبها كانت مخارز[262]. (الشكل 40)

أما في تل الرماد مثلت الصناعة العظمية بشكل جيد، في السوية الأولى كانت غزيرة نوعاً ما ومشابهة بشكل كبير لموقع الغريفة II وتتضمن مثاقب ومصاقل ومخارز وسكاكين وغير ذلك. استمر ظهور الأدوات العظمية في السوية الثانية، وكانت متنوعة جداً ما بين سكاكين ومثاقب وقلادات وحراب عظمية[263].

---

[260]De Contenson, H. 1975: p. 21.
[261]De Contenson, H. 1995: p. 313- 314.
[262]Conqueugniot, E. 1982: p. 92- 93.
[263]De Contenson, H. 1985: p. 20.

ومن المكتشفات الهامة في الرماد II مشط مربع الشكل تقريباً عرضه 4,1 سم وارتفاعه 5,9 سم وله 9 أسنان 3 منها مفقودة (الشكل 41)[264].

4 – الفخار:

حصل في الـ PPNB الحديث ابتكار تقني مهم، وهو تصنيع الأواني الحجرية المنزلية من الحجر الكلسي أو الحوري المطحون والممزوج بالرماد أو القش أو خلائط أخرى، سميت بالأواني البيضاء (White ware)، وكانت هذه الأواني كبيرة الحجوم معظمها صحون وقصعات، جففت في الشمس ولم تحرق، وزخرفت بخط عريض من اللون الأحمر أحياناً أو حتى بعدة ألوان (الأحمر أو البني)، إن الأواني البيضاء لم تستخدم إلا لزمن قصير، ثم ما لبثت أن تراجعت أمام الأواني الفخارية (الشكل 42)[265].

وفي حوضة دمشق ظهرت في تل الرماد فقط ابتداءً من السوية الثانية الآنية البيضاء، واستمرت حتى السوية الثالثة، كانت عبارة عن طاسات ذات كعب مقعر مزينة أحياناً بطلاء أحمر، أو أواني كبيرة اسطوانية ذات قعر مسطح. ومع ذلك فقد عثر إلى جانبها على أوان نادرة من فخار كثير التفتت وبالكاد يكون مشوياً يشبه بعض قطع رأس شمرة، فهي تمثل مرحلة انتقالية نحو استعمال الفخار[266].

وتدل نسبة الآنية البيضاء التي عثر عليها في رماد III إلى استمرار صناعة هذه الآنية حتى بعد اكتشاف الفخار. وعند مقارنتها نجد أنها مشابهة لما عثر عليه في مواقع اللبوة II في البقاع اللبناني ومواقع الساحل المتوسطي (جبيل، رأس شمرة، تبة الحمام، سوكاس) والكوم وبقرص، وتعود لنفس الفترة الزمنية التي صنعت فيها الأواني البيضاء في هذه المناطق[267].

أما بالنسبة للبقايا الفخارية لم نعثر عليها في حوضة دمشق إلا في موقع تل الرماد. وكانت أغلب الكسر الفخارية المكتشفة من السوية الثالثة، ومع ذلك فقد عثر في السوية الثانية على أوان نادرة من فخار غامق مصقول، كثير التفتت، وبالكاد يكون مشوياً، إلى جانب الأواني البيضاء.

---

[264] De Contenson, H. 2000: p. 174.

[265] محيسن، سلطان، 1994: ص 56.

[266] دو كونتنسون، هنري دو وفان لير، 1966: ص 62.

[267] De Contenson, H. 1974: p. 20- 21.

عثر في التل على حوالي 3790 كسرة فخارية كلها تعود إلى فترة النيوليت الفخاري (القديم، الوسيط، الحديث)، وكلها كانت يدوية الصنع[268].

كما تم اكتشاف العديد من الكسر الفخارية غير المطلية الداكنة اللون بني أو رمادي أو أسود، والقليل منها ذو لون أحمر أو بيج. وكذلك عثر على القليل جداً من الفخار ذو الطلاء الأبيض المحروق، وأغلبها كانت من نمط النيوليت القديم (جبيل) وعند مقارنتها نجد أنها مشابهة جداً لفخار تبة الحمام، وكذلك رأس شمرة A-V [269]. كما يوجد بعض القطع الفخارية ذات الطلاء الأحمر المصقول (فترة النيوليت الحديث وأواخر الوسيط). واكتشف أجزاء من نوع D.F.B.W (Dark Faced Burnished Ware) أي الأوعية الغامقة المصقولة (الشكل 43)، وعند المقارنة نجد أنها مشابهة لفخار مرسين XVIII-XVII ولفخار رأس شمرة IV-A,B وموقع قميناس جنوب شرق مدينة إدلب. وباقي الفخار ذو الطلاء الأحمر يتشابه مع فخار مرحلة وادي الرباح في فلسطين. معظم الأشكال كانت أواني مطبخية من زبادي وطاسات، وعثر على صحن ذي قعر مسطح وطرف منفرج يشبه شكلاً من موقع رأس شمرة[270].

كانت بعض القطع مزخرفة إما بتزيينات نافرة أو بحزوز متقاطعة عامودية صغيرة. وظهرت زخرفة هندسية مثل هلالين ربما رسما بالأظافر أو الزيكزاك (الشكل 44) [271].

ويمكننا القول أن البقايا الفخارية في حوضة دمشق اقتصرت على الكسر الفخارية فقط، ولم يعثر على أية أواني كاملة.

---

[268] De Contenson, H. 2000: p. 219.

[269] دو كونتنسون، هنري، 1969(ب): ص 135- 136.

[270] De Contenson, H. 2000: p. 220- 221.

[271] De Contenson, H. 2000: p. 221- 222.

5 – الفنون:

تعددت الفنون وأنواعها في العصر الحجري الحديث، وتطورت لتدلنا على فكر وذوق مميز لإنسان هذا العصر، وأهمها كان:

الدمى: كانت الفنون في الفترة النطوفية عبارة عن دمى وتماثيل صغيرة في المشرق القديم، كان أغلبها من الطين، وهي حيوانية ونادراً منها بشرية، وقد مثلت إما بشكل واقعي أو بشكل مختصر ومختزل أحياناً. عثر على أغلبها إما في المدافن أو في أماكن قريبة منها، مما يدل أنها قد حملت معنى طقسي وديني للإنسان النطوفي[272].

استمر في فترة العصر الحجري الحديث تمثيل الحيوانات المختلفة بالدمى الطينية وتطورت بعد ذلك لتمثل الإنسان بأشكال ومواد مختلفة (الطين، الحجر، العظم)، ولكن أغلبها كانت طينية. وأحياناً سيكون التمثيل مقتصراً على ملامح الوجه، ثم الإشارة إلى الجسم فقط. وأحيانا يمثل الجسم بكافة تفاصيله وبوضعيات مختلفة ويهمل الوجه، فكانت إما واقفة أو جالسة أو راكعة، وكانت أغلبها أنثوية والبعض منها ذكرية. اختلفت الآراء بين الباحثين حول دلالات هذه الدمى والدور الذي لعبته فمنهم من اعتبرها آلهة عبرت عن عقيدة جماعية احتلت فيها المرآة "الإلهة الأم" والتي هي مصدر الخصب وتجدد الحياة، احتلت مكانة مقدسة تعود في جذورها إلى العصر الحجري القديم (الباليوليت)، وقد استمرت هذه العقيدةزمناً طويلاً في حضارات المشرق القديم. وآخرون اعتبروها دمى للأطفال. وإن وجود هذه الدمى في أماكن معينة كالمدافن أعطاها دلالات طقسية معينة، أو ربما استخدمت كتعويذة لدفع السحر وضمان الحمل والولاة وحماية المولود[273].

التماثيل: كانت شبيهة بالدمى الطينية الصغيرة ولكن بحجم أكبر منها بكثير، اكتشفت أول مرة في موقع غوبكلي تبة Gobelki-tepe في سويته المؤرخة بين نهاية الـ PPNA وبداية الـ PPNB

---

[272] كوفان، جاك، 1988: ص 27.

[273] Akkermans, P. 2003: p. 53.

القديم، حيث ظهرت مجموعة تماثيل ضخمة منحوتة على أحجار ضخمة على شكل T بطول 3 م، وكانت مشابهة لتماثيل الجرف الأحمر لكن بطول 1 م [274].

لم ينفرد الأناضول والفرات الأوسط بالمنحوتات الضخمة، فقد كان للمشرق الجنوبي دور مهم في هذا المجال وقدم تماثيل مهمة بالرغم من التباعد الجغرافي بين المنطقتين، لكن تفردت تماثيل كل منطقة بمواصفات خاصة، ففي موقع أريحا لم تكن المنحوتات حجرية بل هي عبارة عن تماثيل طينية لها قالب من القصب، وهي مسطحة من الخلف، والأهم أنها مثلت أشكالاً إنسانية. كما قدم لنا موقع عين غزال 30تمثالاً مصنوعاً من الجص حول هيكل من القصب على شكل إنسان، ويمكن تصنيف التماثيل إلى أربعة مجموعات:

تماثيل بشرية انثوية منفردة، وتماثيل بشرية ذكورية جصية، وتماثيل بشرية نصفية، وتماثيل بشرية مزدوجة الرأس[275].

النقوش والرسومات: عثر عليها في عديد من المواقع منذ الـ PPNA منها موقع تل العبر وقرامل والمريبط والجرف الأحمر. مثلت نقوش هندسية وحيوانية وأحياناً بشرية، وكان لكل موقع خصوصية خاصة في الفترة التي تنتمي لنهاية الـ PPNA وبداية الـ PPNB، لكن التشابه في بعض المواضيع التي اختيرت لتنقش على الأحجار وجدران البيوت وأساساتها متل الغزال والثعلب والأفعى وبعض التصاوير المختزلة للإنسان، يجعلنا نعتقد بوجود تواصل حضاري في المنطقة الممتدة من طوروس إلى الفرات الأوسط.

في الـ PPNB شهدت المنطقة عموماً أنواع جديدة من الفنون حيث أصبحت التجسيدات أكثر واقعية، وأكثر غزارة، فمثلاً شهدت الرسوم تطوراً وصناعة مذهلة، وعثر عليها بالعديد من المواقع مثل بقرص وجعدة المغارة والكوم، وكذلك في منطقة المشرق الجنوبي وخصوصاً لموقع عين غزال، وفي الشمال منطقة طوروس قدمت نقوشاً ورسوماً غنية (شاتال هويوك، ونفالي تشوري).[276].

[274] Schmidt, K. 2003: p. 3.

[275] Schmandt – Besserat, D. 1998: p. 34

[276] كوفان، جاك، 1999: ص 60.

وظهرت الأقنعة وخصوصاً في المشرق الجنوبي في منطقة الخليل. حيث عثر على قناعين إضافة لاكتشاف قناع مميز آخر في موقع وادي الحمار في فلسطين. تحمل هذه الأقنعة على طرفها صفاً من الثقوب من أجل تثبيتها، وأغلب الظن أن الثقوب كانت لتثبيت الشعر المستعار خلال إحياء بعض الطقوس الدفنية، وربما كانت توضع على بعض الجماجم المعزولة عن الجسم من أجل تخليد الأسلاف، وبعد ذلك ستصبح هذه الأقنعة من الأفكار المستمرة خلال العصور اللاحقة [277]. (الشكل 45)

الفنون في حوضة دمشق:

أعطت حوضة دمشق العديد من الفنون المهمة، تمثلت بشكل خاص بالدمى الطينية، والتي عثر على أعداد كبيرة منها بنماذج مختلفة، كانت إما حيوانية أو إنسانية. وسنبدأ بالشق الإنساني منها:

أ- الدمى الإنسانية:

أتت أقدم الأمثلة من تل أسود من فترة الـ PPNB الوسيط، ويعتبر الموقع الأهم من تلك الفترة ليس فقط في حوضة دمشق بل في أغلب مواقع المشرق القديم، وذلك نظراً لكثافة الدمى الطينية المكتشفة فيه. صنعت دمى تل أسود من الطين المشوي أو المجفف أحياناً، وبلغ عددها حوالي 305 دمية أغلبها كانت من النوع الرمزي والمختزل تنوعت أشكالها ما بين المخروطية والاسطوانية والقرصية (الشكل 46)[278].

أما الدمى الواقعية قليلة، وهي أنثوية دلت عليها رموز الخصوبة كالأثداء والأوراك والخلفيات الضخمة (الشكل 47)، ويوجد دمية ذكرية واحدة دل عليها العضو الذكري البارز فيها (الشكل 48)[279].

مثّلت الرؤوس بأشكال مختلفة، أحياناً كروي وأحياناً يبرز فيه الأنف أو دائري حجمه كبير، وأحياناً يأخذ أكثر من نصف حجم الدمية أو شبه بيضوي[280].

---

[277] Bar – yosef, O. 2003: p. 82 – 83.

[278] Ayobi, R. (b)2013: p. 70.

[279] Ayobi, R, (a)2013: p.1.

[280] Stordeur, D. et Jamous, B. 2002: p. 17.

لم تظهر ملامح الوجه في أغلب الدمى فقط يظهر الرأس بشكل مختزل وشبه دائري، باستثناء دمية ظهر فيها الرأس والرقبة ويوجد بروز بسيط يعبر عن الأنف، شكلت العيون بضغطة خفيفة على الوجه، كما توجد لفافة على الرأس تمتد على طول الرقبة، يحتمل أنها شعر أو غطاء على الرأس، وفي دمية أخرى تظهر الرقبة الطويلة والعينان على شكل حبة القمح والأنف عبارة عن ضغط جانبي على الوجه.

عموماً كانت الدمى في هذه الفترة أكثر انتشاراً وواقعية، تنوعت أشكالها وجنسها وأصبحت إمكانية تحديد ميزات الدمى أكثر دقة ووضوحاً وبالتالي يمكن تتبع مراحل تطورها وانتقالها[281].

تعددت المواقع التي احتوت أعداد كبيرة منها في الأناضول وحوضة دمشق والمشرق الجنوبي، اعتبرت منطقة الأناضول الأكثر كثافة، يأتي بعدها المشرق المركزي (حوضة دمشق) والمشرق الجنوبي الأقل عدداً.

كانت دمى تل الغريفة قليلة نوعا ما، شبيهة بدمى مواقع الحوضة (الرماد وأسود)، وأغلبها أتت من الغريفة I التي تعود ل PPNB الوسيط، صنعت أيضاً من الطين المشوي أو المجفف، وتنوعت أشكالها بين مخروطية أو بيدقية أو اسطوانية، كما عثر على كرات طينية بعضها مسطح كالأقراص من الغريفة II [282].

أغلب الدمى كانت رمزية ومختزلة أيضاً وشبه كاملة، الدمى الواقعية نادرة عثر على 2 فقط في الغريفة، الأولى كانت من الطين المجفف واقفة كاملة، ذات قاعدة واسعة، تتابع بشكل اسطواني وتنتهي إلى الأمام لتشكل الأنف الذي يشبه أنف الطائر وتظهر العينان جراء تشكله، يضاف للتأكيد أنهما عينان نقطتان صغيرتان، وكان ظهر الدمية مستطيل وأملس، وهذا يدل أن للدمية وجه واحد فقط مخصص للعرض، ربما سندت على حائط (الشكل 49) وهي مشابهة لأخرى في تل الرماد II[283].

[281] Ayobi, R. 2014: p. 25-26.

[282] عبد الرحمن، عمار، المرجع السابق، 2005، ص 104 – 105.

[283] De Contenson, H. 1995: p.104- 105.

الدمية الثانية شبيهة بها ولكنها أقل وضوحاً. كما عثر على دميتين جالستين ينقص منهما الأرجل والجزء العلوي، شبيهتان بدمى تل أسود الجالسة. وبعد مقارنتهما معها عرفنا أنها أنثوية[284].

وكشف تل الرماد عن كمية كبيرة جداً من الدمى الإنسانية التي تعود لفترة الـ PPNB الحديث، في السويتان I و II، كانت دمى السوية II أكثر غزارة من السوية I. (بلغ عددها 48 دمية في السوية I و 270 دمية في السوية II).

صنعت أغلبها من الطين المجفف أو المشوي وهو ما جعلها تقاوم عامل الزمن وحافظت دائماً على لونها المسّود، وأحياناً تكون النواة حمراء مع سطح أسود أو بني، كما عثرنا على القليل منها بلون يميل إلى الاصفرار[285].

اختلفت أشكال الدمى في الرماد بين الدمى الاسطوانية، وهي كانت ربما أطراف دمى إنسانية أو تمثل قرون لدمى على شكل حيوانات، أو دمى بأشكال بيدقية أو مخروطية أو مغزلية (الشكل 50)، كما عثر على عدد كبير من الكرات الطينية الصغيرة المتفاوتة الأشكال وتتراوح أقطارها بين 1,4 – 2,4 سم. وبعضها كان كرات مسطحة كالأقراص. ويوجد العديد من الرؤوس المفصولة التي تظهر على بعضها ملامح الوجه كالأنف وعيون حبة القهوة[286].

اتسمت أغلب الدمى بأنها رمزية ومختزلة أكثر منها واقعية تراوحت قياساتها بين 3,8 سم ارتفاعاً و 1،5 سم عرضاً، وأغلبها شبه كاملة. لم تكن الملامح الجنسية فيها واضحة، لكن يمكن استقراء أنثوية بعضها من خلال الشكل العام. وبما أنها كانت مختزلة لم تكن ملامح الوجه واضحة أيضاً باستثناء دمية من الطين المجفف يظهر الرأس باستطالة للخلف، وكأنه تسريحة تتجه للخلف، والعينان على شكل دمية حبة القهوة والأنف مستدق وصغير والرقبة طويلة بشكل متناظر مع استطالة الرأس، ويوجد أربع رؤوس من هذا النموذج في تل الرماد.

---

284 Ayobi, R. (b)2013: p. 90- 91.
285 De Contenson, H. 2000: p. 58.
286 De Contenson, H. 1967: P 19.

ودمية أخرى تظهر فيها ملامح الوجه مثل الأنف على شكل منقار طائر، ويوجد تجويفان للدلالة على العينين، وهي ترتكز على قاعدة عريضة وعثر على 10 نماذج منها في تل الرماد، مشابهة لأخرى في تل الغريفة.

أخيراً نلاحظ أنه في فترة الـ PPNB الحديث سيطرت الدمى الرمزية المختزلة نوعاً ما، وازداد عددها بشكل كبير في مواقع الحوضة وخصوصاً موقع تل الرماد، وهو دليل استخدامها على نطاق واسع وأنها لعبت دوراً هاماً في الحياة اليومية.

أما في فترة العصر الحجري الحديث الفخاري أصبحت الدمى قليلة جداً، أتت من الرماد III، بلغ عددها 7 دمى، أغلبها صنعت من الطين المشوي بشكل جيد، وكانت ذات سطح لامع. لم يعثر على أية دمى إنسانية كاملة، كانت أغلبها عبارة عن رؤوس فقط بالتالي لم تدل على نوع محدد من الجنس.

وأهم النماذج المتواجدة هي الرؤوس المستطيلة والمتطاولة إلى الخلف أو مع تسريحة الشعر إلى الخلف، والأنف مضاف للوجه وهو يتسع في القسم السفلي وحوله عينان على شكل حبة القهوة، ويوجد كذلك قرصان لتمثيل الأذنين على جانبي الرأس[287]. (الشكل 51)

وهذه الرؤوس مهمة، وتمثل امتداد قضائي فهي مشابهة لرؤوس موقع المنحطة ومواقع فلسطينية أخرى وكذلك تتشابه مع النيوليت القديم لجبيل، وكذلك موقع الصبي الأبيض في الجزيرة السورية، ومع الحضارة الحسونية في ياريم تبه[288].

ب- الدمى الحيوانية:

كما في كل مواقع المشرق العربي القديم، عثر على العديد من الدمى الطينية الحيوانية في كل مواقع الحوضة النيوليتية، تواجدت دائماً إلى جانب الدمى الإنسانية، وصنعت أغلبها من الطين المجفف[289].

---

[287] عبد الرحمن، عبد الرحمن، 2009: ص 149.

[288] De Contenson, H. 2000: p. 187.

[289] Ayobi, R. (b)2013: p. 303- 304.

كانت عبارة عن دمى حيوانات رباعيات القوائم (الأقدام) أو رؤوس حيوانات مفصولة أو قرون حيوانات مفصولة عن الدمى. ومن الصعب تحديد نوع وجنس هذه الدمى الحيوانية، وذلك لصعوبة التمييز بين الحيوانات العاشبة، ولكنها تمثل حيوانات البيئة المحيطة بها، أهمها البقر والغنم والغزال والثيران والخنزير البري والماعز وغيرها. وأكثرها تمثيلا الغزال والبقر مما يدل ربما على تدجين هذه الحيوانات[290].

وبالنسبة لأعدادها اختلفت بين موقع وآخر وتبقى أقل عدداً من الدمى الأنسانية. ونوضح عن طريق هذا الجدول أعدادها:

العصر	الموقع	الدمى الحيوانية	الدمى الأنسانية
PPNB الوسيط	تل أسود	31	305
	تل الغريفة I	9	9
PPNB الحديث	تل الغريفة II	2	4
	تل الرماد I	8	12
	تل الرمادII	204	270
النيوليت الفخاري PN	تل الرماد III	3	7

مثلت الدمى في حوضة دمشق بأعداد كثيفة، خصوصاً في موقعي تل أسود وتل الرماد II، صنعت من الطين المجفف أو المشوي، وفي العصر الحجري الحديث الفخاري أصبحت كلها مشوية.

سيطرت الدمى الرمزية و المختزلة، كانت عبارة عن رؤوس كروية أو بيضوية في الـ PPNB الوسيط ومن ثم اسطوانية وبيدقية أو مخروطية ابتداءً من الـ PPNB الحديث، ومع العصر الحجري الحديث الفخاري أصبحت مستطيلة فقط. كانت دمى تل الرماد ذات نمط خاص به بين بقية المواقع، كما رأينا كانت متطاولة إلى الخلف وتحمل تعابير الوجه المؤثرة، وخاصة من العيون التي اتخذت شكل

290 Ayobi, R. 2014: p. 27.

قرص، وكانت الأذنان والأنف والفم موجودة. وحتى الآن لم نعرف سبب تشكيل هذه الرؤوس وطريقة استخدامها، فهل كانت تركب أيضاً مثل الرؤوس في مناطق الفرات والأناضول أم تستخدم كما هي؟ أما الدمى الوقعية كانت قليلة جداً كلها أنثوية دلت عليها رموز الخصوبة، باستثناء دمية ذكرية واحدة من تل أسود.

ظهرت ملامح الوجه في بعض الدمى كالأنف (يشبه أنف الطائر) أو العينان مشكلان بضغطة خفيفة أو على شكل حبة القهوة. وابتداءً من العصر الحجري الحديث الفخاري مُثلت الأذان أيضاً.

سادت الدمى في كل مراحل العصر الحجري الحديث في حوضة دمشق، وتشابهت فيما بين موقعها. فكانت دمى تل أسود الأنثوية مشابهة لدميتين عثر عليهما في تل الغريفة. لكن الملامح الأنثوية تظهر بشكل أوضح في تل أسود. وكذلك شابهت دمى مستطيلة الشكل في تل الغريفة نماذج من تل الرماد، والتي تحمل وجهاً شبيها بالطير وبخاصة الأنف الشبيه بمنقار الطائر.

كما تمكنا من مقارنة رؤوس تل الرماد مع رؤوس الصبي الأبيض وتل أسود في منطقة البليخ في المشرق الشمالي[291]، ومع موقع القحوانة في المشرق الجنوبي، وموقع جبيل على الساحل اللبناني. وكذلك شابهت دمى تل الرماد وتل الغريفة المختزلة دمى موقع رأس شمرة[292].

وأما الدمى الواقعية في تل أسود تشبه دمى مواقع المشرق الجنوبي (منحطة، عين غزال) بشكل أكبر من مواقع المشرق الشمالي التي كانت أكثر تمثيلاً ووضوحاً من دمى تل أسود[293].

وعند المقارنة نجد أن الدمية الذكرية الوحيدة المكتشفة في حوضة دمشق مشابهة لدمى موقع نيفالي تشوري في منطقة الأناضول (المشرق الشمالي)[294].

---

[291] Akkermans, P. 2000: p. 149.

[292] Marby, J. 2003: p. 91.

[293] كوفان، جاك، 1999: ص 60.

[294] Morcsch, M. 2002: p. 146.

ت- التماثيل البشرية:

من البقايا الفنية المكتشفة في الحوضة أيضاً، التماثيل البشرية التي عثر عليها فقط في تل الرماد II، وهي تختلف عن الدمى الطينية بتقنية تصنيعها وأدواتها، بينما لم تتجاوز الدمى ارتفاعها 5 سم، بلغت التماثيل حوالي 25 سم، وهي من الطين الصلصالي المقولب والمشوي قليلا[295].

عثر على حوالي أربع تماثيل 3 منها ترافق الجماجم المقولبة وكانت عبارة عن امرأة جالسة، مختصرة ومحددة الساقين رقبتها على شكل اسطوانة وتشير أعضاء الخصب أنها أنثوية. (الشكل 52)

كانت هذه التماثيل مشابهة لتماثيل عثر عليها في المشرق الجنوبي في موقعي أريحا وعين غزال، ولم تكن مترافقة مع الجماجم المقولبة في عين غزال[296].

بالتالي نستنتج أن هذه التماثيل ربما تمثل آلهة مرتبطة بالطقس الجنائزي لحماية الموتى.

ث- الحلي:

عثر على العديد من الحلي وبأنواع مختلفة بكل مواقع حوضة دمشق تقريباً، كانت إما من العظم أو الحجر أو الطين أو أصداف، وعبارة عن خرز أو قلادات أو غير ذلك.

اكتشف أقدمها من موقع باز جبعدين، بلغت حوالي 37 حلية، أغلبها أصداف تحتوي على ثقب أو ثقبين للتعليق ربما. كانت مشابهة لحلي موقع أبو هريرة على الفرات مما يدل على أنها جُلبت من وادي الفرات[297].

كما أعطى موقعا قوس قزح وجيرود عدد من الخرز والأصداف البحرية مصدرها البحر المتوسط[298]. وهذه الحلي والأصداف تدل على تنامي المعتقدات الاجتماعية في تلك الفترة، وتدل على قيام علاقات تجارية بين سكان السهول الداخلية وسكان البحر المتوسط. (الشكل 53)

---

[295] Akkermans, P. 2003: p. 65.

[296] De Contenson, H. 2000: p. 217.

[297] Conard, N. J. 2006: p.111.

[298] Cauvin, M. C. et (als.) 1982: p.275.

كما كشف تل أسود عن العديد من الحلي في كل مواسمه التنقيبية، بلغ عددها حوالي 239 حلية من العظم والصدف المثقوب بثقب أو ثقبين والمسننة أحياناً، والحجر بأنواعه المختلفة ، والطين المجفف، وكانت أشكالها دائرية أو مسطحة أو أنبوبية أو اسطوانية، وهي عبارة عن خرز أو قلادات، منها قلادة من الحجر الأسود على شكل إنسان بوضعية الثني ولها ثقب في وسطها بهدف تعليقها (الشكل 54). وعثر على عقد مؤلف من 33 خرزة شبه اسطوانية الشكل، خضراء اللون، موضوعة حول فقرات رقبة إنسان مدفون في الموقع (الشكل 55)[299].

وفي تل الغريفة وجد عدة خرزات من الكورنالين والكالسيت[300] .

لم يختلف تل الرماد عن باقي المواقع أعطى العديد من الحلي المتنوعة، كانت عبارة عن خرزات وقلادات وأجزاء من عقود الألباتر والكريستال الصخري والعقيق والجاد والسيتاتيت أو الهيماتيت[301]. وأجزاء عقود من الأصداف المثقوبة بثقب أو ثقبين من أجل التعليق. كما بلغ عددها حوالي 66 حلية (9 منها في السوية I و 53 في السوية II و 4 في السوية III)[302].

كان مصدر هذه الأصداف البحر المتوسط، ومشابهة لحلي تل أسود، عثر على قرطان أحدهما من العظم والآخر من الصدف، ومن الحلي العظمية الهامة أجزاء خواتم من العظم المصقول (الشكل 56)[303]. وعثر في الرماد I على حلية بيضوية الشكل من النحاس المستخرج من فلزة بالقشط، ونلاحظ أن هذا كان الظهور الأول لهذه المادة في المنطقة وحتى قبل العصر الحجري النحاسي، كانت مستوردة من بلاد الأناضول الشرقية ومن المتوقع أنها سلكت نفس طريق الأوبسيديان[304].

ومن خلال المقارنة نجد أن استعمال الأصداف والقواقع في التزيين كان في كل مواقع المشرق القديم تقريباً، ولم يقتصر استخدامها في المشرق الجنوبي بالتزيين فقط، ولكن تم تنزيلها مكان العيون في

---

[299] آل رشي، هلا، 2008: ص 1-25.

[300] De Contenson, H. 1975: p. 21.

[301] دو كونتنسون، هنري، 1985: ص 108.

[302] De Contenson, H. 2000: p. 172- 173.

[303] دو كونتنسون، هنري، 1969 (ب): ص 140

[304] Akkermans, P. 2003: p. 133.

الجماجم المقولبة خاصة في موقع أريحا. بينما في مواقع حوضة دمشق لم تستخدمها إلا في التزيين، كانت هذه الأصداف مجلوبة من سواحل البحر المتوسط شمالاً التي تبعد حوالي 110 كم عنها. ويوجد صدفة أتت من البحر الأحمر (من العقبة) الذي يبعد حوالي 500 كم.

كل هذا يدل على قيام علاقات تجارية واسعة بين الشمال (سواحل البحر المتوسط) وحوضة دمشق، وبين سواحل البحر الأحمر أيضاً جنوباً. ومن المؤكد أن حوضة دمشق لعبت دوراً تجارياً وسيطاً بين الشمال (المشرق الشمالي) والجنوب (المشرق الجنوبي)[305].

كما كان لهذه الحلي دوراً اجتماعياً هاماً في مجتمعات حوضة دمشق من ناحية المعتقدات حتى أن بعضها وجد مدفون مع الهياكل العظمية.

6 – ممارسات الدفن:

تعد دراسة المدافن ووضع الهياكل فيها، وما يرافقها من أثاث جنائزي، دلالة مهمة تساعدنا على فهم جزء مهم من العقائد الدينية والطقوس السائدة في زمانها ومكانها.

كان إنسان النياندرتال من العصر الحجري القديم أول من دفن موتاه واعتنى بهم، كما رأينا في كهف شانيدار في العراق وموقع الديدرية في منطقة عفرين شمال غرب سورية[306]. استمر النطوفيون بعد ذلك بدفن موتاهم ولكنهم أقاموا قبور كبيرة ومنتظمة، ودفنوهم بشكل جماعي أو فردي، وبأوضاع مختلفة، قد تكون ممدة أو مثنية، دون توجيه محدد، ووضعوا معهم مرفقات مثل الأدوات الصوانية والحلي كالخرز أو الأصداف[307].

---

[305] Alarashi, H. 2010: p.88-98.

[306] حمود، محمود، 2010: ص 83 – 84.

[307] Mellaart, J. 1975: p. 35.

كما نجد في بعض القبور، أنهم فصلوا الرؤوس عن الأجساد، ودفنوا تلك الرؤوس والجماجم منفردة داخل بيوت السكن وأحياناً وضعوا في قبر واحد عدة جماجم مع أجزاء من هياكل عظمية، كما في عين الملاحة أو عدة جماجم مع هيكل عظمي واحد كما في موقع عرق الأحمر في فلسطين[308].

في فترة الـ PPNA استمرت أساليب وعادات الدفن السابقة في الفترة النطوفية، لكن بطقوس دينية أكثر وضوحاً. فنلاحظ أن معظم القبور المكتشفة قد عثر عليها ضمن المناطق السكنية وتحت الأرضيات، ومن أهم مواقع الـ PPNA المريبط وقرامل والجرف الأحمر في المشرق الشمالي، وأريحا ونحال أورين وغيرها في المشرق الجنوبي[309].

تميزت المدافن أنها فردية للبالغين خصوصاً في المشرق الشمالي، بينما كانت أغلبها جماعية أو ثنائية في المشرق الجنوبي، دفنت بوضعيات مختلفة إما على الظهر أو على الجانبين وغالباً الجانب الأيسر أو بوضعية الجنين أو الثني[310].

وترك بعض المرفقات الجنائزية مع الهياكل لكن بشكل نادر، وتمثلت بحلي كالأصداف وأدوات صوانية وتمثال حجري وبعض القطع من المغرة الحمراء Ochre[311].

وظهرت في بعض المواقع عادة دفن عظام حيوانات الهياكل كما في موقع القرامل، كما لوحظ وجود دلائل على ارتباط عادات الدفن مع المواقد، وذلك من خلال وجود آثار حرق على الجماجم والعظام ووجودها بالقرب من المواقد، كما هو الحال في مدافن الشيخ حسن ووادي فلاح والجرف الأحمر[312].

وقاموا بلف موتاهم بالحصير أو القصب مما يشير إلى اهتمام السكان بالحفاظ على موتاهم كما في أريحا[313].

---

[308] كوفان، جاك،1984: ص 160.

[309] أبو غنيمة، خالد، 2001: ص 5- 6.

[310] Kuijt, I. 2000: p. 103- 105.

[311] أبو غنيمة، خالد، 2001: ص 9.

[312] Stordeur, D. and Jammous, B. 1981: p. 13.

[313] Kenyon, K. 1981: p. 240.

واستمرت عادة فصل الجماجم عن الهياكل ودفنها بشكل مستقل، ولكن ظهرت عادة جديدة وهي ترك الفك السفلي مع الهيكل العظمي فقط، وهي لم تكن متبعة في الفترات السابقة، كما في موقع وادي فلاح[314]، ومورست عادة دفن الجماجم في مخازن خاصة بها داخل حفرة منفصلة بأعداد منفردة، كما في موقع أريحا، حيث عثر على ثلاثة مخازن للجماجم: الأول يضم سبعة جماجم موزعة بشكل دائري حول جمجمة ثامنة مركزية، والثاني فيه عبارة عن ثلاث مجموعات كل مجموعة مؤلفة من 3 جماجم، تنظر كلها بنفس الاتجاه، أما الثالث كان حفرة من الكلس فيه خمسة جماجم لأطفال[315].

أما في فترة الـ PPNB أشارت التنقيبات الأثرية إلى ازدياد عدد المواقع المحتوية على قبور تضم هياكل عظمية، وأصبحت حالات الدفن أكثر تنوعاً، مع تبلور وتجذّر بعضها بشكل أكثر تنظيماً، كما ظهرت عادات طقسية جديدة، إضافة لاستمرار أساليب الدفن السابقة نفسها.

من مميزات الدفن في الـ PPNB أنه كان فردياً، في الغالب، مع وجود بعض حالات الدفن الجماعي في أريحا وأبو هريرة وتل أسود وتل الرماد وحالولة وبعجة وغيرها. تم الدفن داخل حفر قليلة العمق، تحت أرضيات المساكن، وإن معظم القبور المكتشفة كانت ضمن المنطقة السكنية، مما يشير إلى وجود رابطة وعلاقة مستمرة بين الأحياء والأموات، وعلى الرغم من وجود المدافن إلا أن توزيعها المكاني تميّز بتنوع أنماطها، فقد عثر على المدافن غالباً في حفر تحت الأرضيات الجصية للمساكن في أغلب المواقع مثل أريحا وعين غزال والبسطة والبيضا ووادي شعيب ووادي فلاح وأبو غوش والمريبط وتل الرماد وجعدة المغارة وحالولة وغيرها، أو تم الدفن أحياناً في المنازل المهجورة كما في أريحا والبيضا وأبو هريرة[316].

ووجد حالات دفن خارج الموقع مثل مواقع تل أسود وبعجة في جنوب الأردن، وكأنها مقابر ذات تنظيم حديث[317]. وفي بعض مواقع الـ PPNB كانت تتم عملة دفن متكررة في نفس الحفرة بعد إزاحة العظام ليدفن إلى جانبها الشخص المتوفى كما في موقع تل أسود وجعدة المغارة[318].

---

[314] Noy T, Nahal Oren, EAEHL, 1977, P 27.

[315] Kenyon, K. 1981: p. 275 -276.

[316] Kirkbrid, D. 1967: p. 5- 7.

[317] Bienert, H. D. and Gebel, H. C. 2004: p. 57.

استمر دفن الهياكل بوضعيات مختلفة، إما بوضعية الجنين أو الثني أو القرفصاء أو شبه القرفصاء، وأحياناً كان يمدد على جانبه الأيسر أو الأيمن وبعضها سجيت على ظهرها[319]. ومن الأمور اللافتة للنظر استمرار أسلوب قيام السكان بلف جسد المتوفي بالبسط أو الحصير أثناء دفنه (جعدة المغارة وأبو هريرة وتل حالولة)، مما يدل على اهتمام السكان بالمحافظة على هيكل المتوفي بشكل أكبر[320].

وكما في الفترات السابقة استمرت عادة فصل الجماجم عن الهياكل، لكنها تبلورت وتجذرت في أساليب وعادات الدفن في فترة الـ PPNB إذ أصبحت تدفن بشكل معزول في حفر خاصة بها ومفصولة عن مدافن الهياكل، وفي بعض المواقع تم دفنها دون أية معالجة، أو قاموا بإعادة تشكيلها في مواقع أخرى، وظهر ما يعرف بالجماجم المقولبة في عدد من مواقع المشرق الجنوبي والتي سنتحدث عنها بالتفصيل لاحقاً.

وإن معظم حالات فصل الجماجم كانت لبالغين، ولكننا رأينا بعض الحالات لأطفال، لم يقتصر الفصل على الذكور فقط بل مورس أيضاً على النساء كما في بيسامون وتل الرماد[321].

ولاحظنا استمرار السكان باستخدام أسلوب تغطية الهياكل و الجماجم بالحجارة لحمايتها، وهو أسلوب كان مستخدم في المراحل السابقة، أو تغطى المدافن بالترسبات والطوب (تل حالولة)[322]، كما تم أحياناً إسناد الجماجم بقواعد طينية كما في المريبط وتل الرماد[323].

أما بالنسبة للمرفقات الجنائزية فقد عثر عليها في أغلب المدافن، وكانت عبارة عن خرز وحلي وأصداف، وأدوات عظمية وصوانية كالنصال، وحصى نهرية ملونة ودمى وتماثيل بشرية وحيوانية وغير ذلك[324].

---

318 Coqueugniot, E. (a)1999: p. 35.
319 Mellaart, J. 1975: p. 61- 62.
320 Molist, M. 1993: p. 63.
321 Kuijt, I. 2000: p. 149- 150.
322 Mollist, M. 1998: p.134- 135.

323 كوفان، جاك، 1984: ص 162- 165.
324 كوفان، جاك، 1988: ص 64- 65.

وفي الفترات اللاحقة الـ PPNC والعصر الحجري الحديث الفخاري تغيرت طقوس الدفن، فقد توقفت عادة فصل الجماجم عن الهياكل وتم دفن الجثة بشكل كامل، وكان الدفن أغلبه فردياً، متعدداً في نفس القبور تحت أرضيات المساكن، ضمن المنطقة السكنية، وتمثلت المرفقات الجنائزية بالأدوات الصوانية والفخارية وعظام الحيوانات[325]. ولم نعثر على أية بقايا جنائزية من هذه الفترة في مواقع حوضة دمشق.

ممارسات الدفن في حوضة دمشق:

لم يعثر على دلائل دفن في كل مواقع العصر الحجري الحديث في حوضة دمشق، فقط في موقعي تل أسود وتل الرماد، وأعطى الموقعان بقايا هامة ساهمت في إغناء الدارسات الانثربولوجية لهذه المرحلة.

يعتبر موقع تل أسود من المواقع الغنية جداً بالمعطيات الجنائزية، عثر فيه على حوالي أكثر من مئة هيكل بأساليب دفن متنوعة ضمن قبور مختلفة الأنماط وطوال فترة الاستيطان فيه، ستعطي دراستها معلومات هامة عن العلاقات الاجتماعية والعقائدية لإنسان تلك المرحلة[326].

وإن المعطيات الجنائزية أتت من مراحل الـ PPNB القديم والوسيط والحديث، وسنلاحظ في تل أسود أمران هامان، الأول: تغيير جذري في مكان وأساليب الدفن بين الـ PPNB القديم والوسيط و الـ PPNB الحديث. والثاني: ظهور الجماجم المقولبة في الـ PPNB الحديث التي كانت مخصصة لأشخاص نادرين أعطوهم عناية خاصة، مجمعين في مكان يمكن أن نعتبره مكان تأسيس للمساحات الجنائزية[327].

كان الموتى يدفنون في الـ PPNB القديم والوسيط تحت أرضيات البيوت السكنية، حيث عثر على قبور أولية وأخرى ثانوية. يوضع الميت في علب أو سلال أو كفن في حفر قليلة العمق، حتى أن بعض الموتى تظهر قبورهم بشكل واضح فوق تربة أرضية السكن، كانت القبور مقابل الجداران مجمعة

[325] Rollefson, G. and Simmons, A. 1987: p. 99.
[326] Stordeur, D. et Khawam, R. (a) 2006: p. 2.
[327] Stordeur, D. et Jamous, B. 2008 – 2009: p. 11.

ضمن حفر متوازية مما جعلها تأخذ شكل المصاطب[328]. وقد استمروا بعادة فصل الجماجم عن الهياكل منذ السوية الأولى في الموقع، وكانت الجماجم المفصولة دائما محمية حتى لو كانت مطمورة، وأحيانا موضوعة في سلة، وعثرنا على جمجمتين موضوعتين في صندوق طيني صغير[329].

في السويات القديمة دفن حديثي الولادة والأطفال في مدافن أولية فردية أو مزدوجة. ومع بداية الـ PPNB الوسيط كان الدفن ثانوياً ومتكرراً، وغالباً يضم غير الناضجين والبالغين. وكانت المرفقات الجنائزية نادرة في هذه الفترة.

وبذلك نلاحظ أنهم أولوا الموتى عناية كبيرة، حيث أنهم دفنوهم معهم في بيوتهم في الأماكن الأكثر خصوصية في الحياة، حيث أنهم اعتبروا أن المنزل هو أفضل مكان للإنسان في حياته ومماته، وأثبتت الدراسات أنهم دفنوهم خلال فترة استقرارهم في هذه المنازل، ربما هذا التعايش يترافق برغبتهم برؤية هذه القبور بشكل دائم[330].

مع نهاية الـ PPNB الوسيط وبداية الـ PPNB الحديث لم يعد يدفن الموتى في بيوتهم، حيث تم جمعهم في مساحات (فضاءات) جنائزية، تقع على أطراف المنطقة السكنية، ظهرت هذه المساحات في ثلاث مستويات، اثنان منهما فقط نقبا بشكل كافي[331].

اكتشفت المساحة الأولى والأقدم عام 2003 ونقبت حتى عام 2005 على مدى 126 م^2، عثر فيها على 22 مدفن، وكانت تقع على الطرف الشرقي للمنطقة السكنية. أما الثانية والأحدث زمنياً كانت تلامس سطح التل، عثر فيها على عشرة قبور، وكانت مفصولة عن المساحة القديمة بأربع سويات استيطانية. ورغم حالتها وقربها من السطح، إلا أن المدافن العشرة المكتشفة فيها كانت بحالة جيدة[332].

---

328 Stordeur, D. et Khawam, R. (b) 2006: p. 3.

329 Stordeur, D. 2010: p. 10.

330 Stordeur, D. et Khawam, R. (b) 2006: p. 4.

331 Stordeur, D. et Jamous, B. 2008 – 2009: p. 12.

332 Khawam, R. 2014: p. 91 - 92.

في المساحة الجنائزية الأقدم استُخدم الدفن المتتالي للأفراد في قبر واحد بشكل واضح، على الأقل في حالة واحدة وهي القبر الجنائزي للمجموعة، وهو القبر الجماعي الذي ضم الجماجم المقولبة التي سنتحدث عنها بالتفصيل لاحقاً. ودفن فيه أيضاً 6 أفراد (أطفال وراشدين)، موضوعة بشكل متتالي يوجد بينها يافع عمره بين 10 – 15 سنة دفن بوضعية الجنين، والرأس مرفوع قليلاً بواسطة وسادة نباتية، والرقبة حولها طوق من الحلي الحجرية (خرز من الحجر الكلسي الأبيض). يوجد أيضاً مواقد ربما استخدمت لإحراق القرابين، حيث نجد أيضاً في الفضاء عظام غزلان متفحمة[333].

وعلى الرغم من تعدد الممارسات الجنائزية في هذا الفضاء، كالقبور الأولية والثانوية (الدفن الفردي، الدفن الجماعي أو المختلط: الأولي والثانوي معاً)، إلا أنه يوجد سمات مشتركة مميزة، مثل توجيه الجسد (شرق – غرب، أو شمال شرقي –جنوب غربي) فالرؤوس توجد إذاً باتجاه الشرق، وكذلك الأجسام تمدد على الجانب الأيسر، والأطراف مثنية (العلوية باتجاه الرأس، والسفلية باتجاه الحوض الأسفل)،وأما الأثاث الجنائزي فكان نادراً بينما يصبح أكثر تواجداً في الفضاء الأحدث[334].

وبالنسبة للمساحة الجنائزية الأحدث، تنوعت القبور فيها وكان أحدها يأخذ شكل قوس دائري، ويقع في وسط هذا القوس بقايا خمسة جماجم، أربعة منها مقولبة سنتحدث عنها لاحقاً. أما الممارسات الجنائزية فيها متعددة (مدافن فردية أو مزدوجة، أولية أو ثانوية)، وعلى عكس ما لوحظ في الفضاء السابق اتجاه الأجسام غير ثابت ولكن الأكثر تكراراً (شمال – شرقي، جنوب – غربي)، ووضعية الأجسام لا تتبع قاعدة ثابتة ولكن نستنتج أن غالبها ممدد على الجانب الأيسر والأطراف مثنية (الشكل 57)[335].

كما أعطى تل الرماد (I، II) العديد من القبور المهمة والتي دلتنا على أن عادات الدفن فيه مشابهة لعادات المواقع في هذه الفترة.

[333] Stordeur, D. et Jamous, B. 2007: p. 13.

[334] Stordeur, D. et Jamous, B. 2002: p. 11 – 12.

[335] Khawam, R. 2015: p. 1.

دفن إنسان تل الرماد الرجال والنساء وحتى الأطفال، فقد عثر على بقايا لحوالي 45 هيكلاً بشرياً (حوالي 15 امرأة، و 10 رجال ،و 16 لأطفال، ويوجد أربعة هياكل لم نستطيع تحديد جنسها)[336].

دفنت في قبور ضيقة ضمن البيوت داخل حفر قليلة العمق تحت الأرضيات المجصصة في الغرف، أو خارج البيوت في الساحات الخارجية.

تميزت أغلب قبور تل الرماد بأنها أولية وثانوية، ودفنت أغلب الهياكل بشكل غير مكتمل، باستثناء القليل منها وجدت كاملة وبوضعية الثني (الشكل 58)، إذ كشفت التنقيبات عن مدفنين احتوى أحدهما على طفل ممدد على جانبه الأيمن، بوضعية الثني، رأسه باتجاه الغرب، بينما الوجه موّجه نحو الجنوب، وارتكزت جمجمته على لوح حجري مستطيل الشكل من البازلت[337]. أما الهيكل الثاني يعود لامرأة بالغة مددت على جانبها الأيسر، بوضعية الثني أيضاً، والرأس نحو الغرب، وعثر مع هيكل هذه المرأة على بقايا لطفل يبلغ من العمر شهرين ونصف تقريبا[338].

ونلاحظ أن الحالات الأكثر تواجداً هي الدفن الجماعي لهياكل أغلبها من دون جماجم ومن دون عناية خاصة، وذلك بسبب وجود الهياكل متناثرة نتيجة الحفر المتكرر عند كل إضافة لهيكل جديد.

كما عثر على قبور ثانوية تحتوي على جماجم منفصلة أو بقايا لهياكل عظمية بشرية[339].

أ- الجماجم المقولبة :

كانت ظاهرة الجماجم المقولبة Skull Plastered من أوضح وأبرز الطقوس الجنائزية في فترة الـ PPNB، ظهرت في هذه الفترة ولم يعثر على أي دليل على استمرارها بعد نهاية هذا العصر.

---

336 Ferembach, D. 1969: p. 58.

337 De Contenson, H. 1969: p. 28.

338 De Contenson, H. (b)1966, p. 168.

339 De Contenson, H. 1969: p.25.

سجل أول اكتشاف لها في موقع أريحا، ومن ثم في مواقع بيسامون وكفر هاريوش وعين غزال وتل الرماد وأخيرا في تل أسود. وبذلك نلاحظ أنها مكتشفة فقط في مواقع المشرق الجنوبي والمركزي[340].

والجماجم المقولبة هي نتيجة معالجة الجماجم المفصولة عن الهيكل بعد الدفن، ومن ثم نزع الفك السفلي وجزء من الجمجمة السفلية، يتم إدخال مادة جصية، وإظهار العيون في بعض الأحيان بواسطة الصدف أو تجويف يدل عليها. ويتم بعد الانتهاء من هذه الأعمال طلاء الجمجمة بالمغرة الحمراء، والنتيجة هي تحفة فنية تعطي الحياة لوجه إنسان فارق الحياة وكأنه موجود بينهم[341].

ويبقى التساؤل عن ماهية هذه الجماجم المقولبة وإلى ما ترمز إليه، وهل مشاركتها في طقوس العبادة دائمة وجماعية أم حالات خاصة؟

ومن خلال الاكتشافات نجد أن غالبية الجماجم المكتشفة في أريحا وعين غزال وتل أسود وتل الرماد كانت مجموعة في مكان واحد، وكانت مودعة مؤقتاً لحين استخدامها في تظاهرة طقسية ما.

وقد وضعت تفسيرات عديدة من قبل العلماء لعملية إعادة تشكيل الجمجمة، فقد فسرت كينيون هذه العملية في البداية مرتبطة بعبادة الأسلاف (الأجداد) Ancestre cult، وقد لاقت هذه النظرية قبول العديد من الباحثين[342].

ولكن من خلال دراسة الجماجم المقولبة في كل المواقع السابقة، نلاحظ أنه لا يوجد معيار محدد لجنس الجمجمة، فهو لم يقتصر على الذكور بل مورس أيضا على النساء كما في بيسامون وتل الرماد. إضافة لذلك ومن خلال الدراسات الحديثة عن طريق الأشعة، تبين أن الجماجم المقولبة بشكل عام ومن كل المواقع المذكورة لم تخص أشخاص بالغين فقط، بل كانت أحياناً ليافعين. وهذا ما دعا بعض الباحثين لنفي نظرية كينيون حول فكرة تقديس الأسلاف. ولكننا إذا تمعنا قليلاً في هذا الرأي نجد أنه ليس هناك ما يمنع أن يأخذ اليافع مكانة بارزة في مجتمعه[343].

---

340 Bonogofskym M. 2003: p. 3.
341 Moore, A. M. T. 1978: p. 58.
342 Kenyon, K. 1981: p. 115.
343 Bonogofsky, M. 2006: p. 52.

إذاً تبقى فكرة تقديس الأسلاف هي الأبرز، مع بروز مكانة المرأة واليافعين بدليل جماجم الرماد المؤنثة، ويبقى الرجل مساهماً بقدر مهم في عملية التقديس هذه، كما في موقع أريحا حيث تعود كافة جماجمها المقولبة لذكور. وهذا يعني أن الأسلاف وتقديراً لمكانتهم، لم تكن محصورة في جنس أو عمر محدد، فقد كانت المنافسة متاحة للجميع ومن يملك القدرة على إثبات قدراته[344].

كما فسرت الجماجم المقولبة بأنها مرتبطة بعبادة الأخصاب، وفسرت أنها تمثل شكلاً حقيقياً للشخص المتوفي. وتتجه كول Cole إلى اعتبار فصل الجمجمة عن الجسد ودفنها بصورة مستقلة ربما يتصل بعقيدة عبادة الجمجمة. ومما يسترعي الانتباه وجود شبه بين عادة طلاء الجمجمة بالجص وبين تقليد لا يزال متبعاً جزئياً حتى الآن في ميلانيزيا. كما فسرها البعض بأنها محاولة لتقديم الاحترام للموتى[345].

ومن الأمور اللافتة عدم استخدام هذا التقليد (الجماجم المقولبة) في المشرق الشمالي، على الرغم من العثور على العديد من الجماجم المفصولة عن هياكلها.

أعطت حوضة دمشق العديد من الجماجم المقولبة والتي أتت من موقعي تل أسود وتل الرماد، وكان لها دور مهم جداً في دراسة وتوضيح هذا الطقس الجنائزي، سيما من خلال المقارنات مع الجماجم المقولبة من المشرق الجنوبي.

كشفت التنقيبات الأثرية في تل أسود عن 8 جماجم مقولبة وقالب موزعة على قبرين، ونلاحظ أنهما قد فتحتا عدة مرات ووضع فيهما موتى آخرون[346].

- **مدفن الجماجم في المساحة الجنائزية القديمة:**

هو مدفن جماعي يظهر كانخفاض دائري قليل العمق، يضم أربعة جماجم مقولبة، موزعة على شكل قوس دائري مقابل الجدار الغربي المنحني للحفرة، مجموعة كل اثنتين (جمجمتين)، كانت كل الجماجم كاملة مع الفك السفلي والأسنان (الشكل 59)[347].

---

[344] Kuijt, I. 2000: p. 247- 248.
[345] Biennert, H. D. 1991: p.18.
[346] Stordeur, D. 2003: p. 109 – 110.

تظهر الجمجمة الأولى (CS 1 -671) تتوضع على قاعدتها نحو الشمال، مغطاة بطلاء لونه بيج فاتح يبدو أنه يتكون من الطين والكلس، يغطي الوجه من طرف القوس إلى الذقن ومن وجنة لأخرى، ويملأ تجويف العيون، ويظهر الأنف دقيق ومقولب صغير وسليم[348].

أما الجمجمة (CS 2 -671) تتوضع أيضاً على قاعدتها مقابل الأولى، الوجه نحو الشرق، والطلاء يمتد من القوس الحاجبي حتى قاعدة الذقن وإلى الصدغين. يتألف من أربع طبقات: طين وطلاء أبيض وطبقتين من الطلاء الأحمر. يظهر الوجه بارز، الحاجبان واضحان والعينان غائرتان، يشقهما حزّ أفقي في الوسط، يعلوه خط أسود فحمي، وهو دلالة على أن العينان مغلقتان. الوجنتين بارزتين، والأنف واضح بارز وطويل، الفم مخّرب لدرجة أنه يظهر الأسنان العلوية، وبقي أذن واحدة صغيرة وبارزة. وكل الصفات السابقة تدل على أن هذا وجه ذكر[349].

بعد فراغ وجمجمة غير مقولبة تقع الجمجمة الثالثة (CS 3 -671) وهي الأصغر حجماً، موضوعة باتجاه الشمال، ومحفوظة بشكل جيد نوعا ما، وتظهر صفاتها بشكل منتظم ودقيق. وضع الطلاء الأبيض مباشرة على العظام، ويغطي سطح الوجه بداية من الأقواس الحاجبية مع الذقن والصدغين. كان الأنف مكسور والعينان ذات شكل بيضوي مع جحوظ خفيف، ويظهر حّز أفقي يقسمها إلى قسمين، بالتالي تظهران كأنهما مغلقتان في حالة النوم. الوجنتان بارزتان، والفم صغير مع شفتين رقيقتين. الذقن بيضوي وبارز قليلاً ، وأخيراً بقي أذن واحدة كاملة وصغيرة ومشكلة بشكل واقعي وكأنها حقيقية[350].

أخيرا الجمجمة الرابعة (CS 4 -671) ملتصقة بالجمجمة (CS 3) موضوعة على قاعدتها، مقابلة لجهة الشرق، كانت كاملة لكنها محفوظة بشكل سيء. وضع الطلاء الأبيض مباشرة على العظم ويغطي الوجه من القوس ويمتد خلف الرأس، يوجد عين واحدة فقط مشكلة بنفس الطريقة السابقة وتظهر مغلقة. كان الفك السفلي مكشوف مما سمح لنا برؤية داخل الجمجمة التي كانت مملوءة بالطين

347 Stordeur, D. et Jamous, B. 2003: p. 20 – 21.

348 Stordeur, D. et Khawam, R. 2007: p. 9.

349 Stordeur, D. 2003: p. 112.

350 Stordeur, D. 2010: p. 11.

والكلس. ولاحظنا اختلاف المادتين المستخدمتين في القولبة، الأكثر خشونة لتغطية التجويفات (العينان، الأنف)، أما الطلاء المرئي على السطح رقيق جداً ناعم وأملس[351].

- **مدفن الجماجم في المساحة الجنائزية الحديثة:**

وجدت الجماجم المقولبة في قاع حفرة صغيرة، بلغ عددها 4 جماجم مقولبة كاملة، تتمركز حول جمجمة طفل غير مقولبة عمره حوالي 6 سنوات تقريبا، موضوعة بشكل متتالي ولكن في زمن قصير، كل واحدة ملتصقة بالتي تسبقها بقرص من الطين باستثناء واحدة، وكلها مشكلة مع فكها السفلي. (الشكل 60) عثر معها على قالب بدون جمجمة وفك سفلي منزل وهيكل لفتى راشد بدون جمجمة موضوع بعدها[352]. وسنتحدث عنها بالتفصيل:

الجمجمة (741- Cs 1) وهي أول جمجمة وضعت مقابل جمجمة الطفل، موجهة باتجاه الشمال، وموضوعة على قاعدة طينية قصيرة، ويغطي الطلاء مساحة كبيرة يبدأ من أعلى الجبين يغطي الواجهة والصدغين حتى الأذنين، ويصل إلى الخلف حتى قاعدة الجمجمة. العينان جاحظتان بشكل بسيط مع وجود حّز أفقي في الوسط يظهر فيه شريط من الزفت يدل على الأهداب، هما مغلقتان. الحاجبان غير مشار لهما. الأنف رفيع وطويل قليلاً، مع الإشارة إلى فتحتيه. الفم عبارة عن حّز بسيط مع خط ناعم ليظهر الشفتان. والأذنان مرسومتان يظهران مطويتان نحو الخارج. شكلت هذه الجمجمة بشكل واقعي جدا، ويرى معظم الباحثين أنها تعود لذكر بالرغم من أن الوجه نحيف قليلاً خاصة على مستوى الوجنيتين[353].

الجمجمة (741- CS5) وهي الأقل حفظاً، موضوعة مقابل جدار الحفرة موجهة باتجاه الشمال، وملتصقة بجمجمة الطفل من الناحية اليسارية، وهي الجمجمة الوحيدة التي لا تتلامس مع أي من الجماجم الأخرى. طلائها أبيض مدهون بالأحمر، ويغطي كما باقي الجماجم، أجزاء الوجه إلى

[351] Stordeur, D. et Khawam, R. 2007: p. 11.
[352] Stordeur, D. et Jamous, B. 2008 – 2009: p. 10.
[353] Stordeur, D. et Jamous, B. 2006: p. 17 – 18.

الصدغين وقاعدة الجمجمة، العينان يشار لهما بحّز أفقي بسيط، الأنف رفيع وصغير وهو مهشم، الشفتان مجسمتان بشكل رفيع، والأذنان صغيران ومنفصلان قليلاً[354].

الجمجمة (741- CS 3) تميزت بطلائها المختلف عن باقي الجماجم، لونه أصفر بني مائل إلى البرتقالي، كثيف جداً، والسطح أملس جداً لا تظهر فيه أي آثار خشونة، وكان تناسق وانسجام الملامح في هذه الجمجمة رائع ومدهش. متشابهة مع الجمجمة (741- CS 1) من حيث العينان والأذنان. العينان لهما شكل بيضوي، والجفنان مغلقان، يشار إلى الأهداب بواسطة الحّز الزفتي الأفقي. الأذنان كبيرتان وواضحتان. تظهر جمالية هذه الجمجمة بشكل خاص في الأنف فهو بارز ورفيع، مناسب للوجه جداً، وفتحتاه واضحتان تماماً، الفم ممثل بخط رفيع، وملامح الوجه ناعمة مع وجنتين ممتلئتين، يرى البعض أنها تعود لطفل والبعض الآخر لأنثى[355].

الجمجمة (741- CS 2) محفوظة بشكل سيء، موضوعة بعد الجمجمة 741- CS 3، ومتجهة نحو الشمال. مطلية بالأبيض ثم ملونة بلون أصفر داكن، هي تغطي الوجه والصدغين، الوجه عريض على مستوى الوجنتين مع أنف صغير. وإن الكسور الموجودة في هذه الجمجمة سمحت لنا بالتعرف على تقنية حشو الفراغات فيها، تتكون من أقراص طينية صفراء مع بقايا نباتية، وهي مشكّلة الواحدة تلو الأخرى، ملساء وناعمة، وتملأ الأجزاء المفرغة[356].

القالب (741- S 7) عثر عليه جنوب الجماجم المقولبة، خلف وأسفل جمجمة الطفل غير المقولبة، على شكل كسر صغيرة مقولبة (حوالي 60 كسرة). وهذا القالب لا ينقصه إلا الجمجمة حتى نحصل على جمجمة مقولبة مثل الأربعة السابقة. عثر في أسفل وخلف الجماجم المقولبة أيضاً على فك سفلي معزول. وهذا النوع من القوالب بدون جماجم اكتشف بعدة نماذج في موقع عين غزال المعاصر (الشكل 61)[357].

أخيراً نجد أن موقع تل أسود قدم لنا نماذج من الجماجم المقولبة الواضحة والمميزة.

---

[354] Stordeur, D. et Khawam, R. 2007: p. 11 – 12.

[355] Stordeur, D. 2010: p. 11.

[356] Khawam, R. 2014: p. 120.

[357] Stordeur, D. et Jamous, B. 2006: p. 19.

كما عثر في تل الرماد على عدد هام من الجماجم المقولبة، كانت موزعة في ثلاثة مستودعات مدفونة تحت الأرض في السويتان I و II. وجد المستودع الأول في السوية I، وضم 8 جماجم خمسة منها أنثوية واثنتان ذكرية وواحدة لطفل، وكان يرافقها تمثال طيني مدهون باللون الزهري[358]. وجدت في حفرة بداخل بيت صغير وفوقها مقعد صخري وكان يلفها كلها نوع من الكلس، ويرى الباحث دو كونتنسون De Contenson أننا أمام بقايا تأسيس مقبرة، ويمكن أنها تمثل وديعة تأسيس[359].

أما المستودع الثاني يعود للرماد II يتألف من ثلاث جماجم لامرأتين ورجل، وجدت مع بقايا عظمية إنسانية معزولة، وكانت مغروسة بالأرض مقابلة لجدار غربي لبيت في طور البناء، ويرى دو كونتنسون أنه من المستحيل لنا أن نعرف فيما إذا كانت هذه الجماجم داخل مكان السكن أو خارجه في الهواء الطلق[360].

كان المستودع الثالث بالقرب من السطح، احتوى على 12 جمجمة مجصصة ومطلية بالمغرة الحمراء، (الشكل 61) وموزعة على مجموعات صغيرة في حفرة بيضوية محددة بألواح اللبن وبآنية بيضاء خشنة من الجص، الرؤوس مفصولة عن بعضها بواسطة كرات طينية هي أيضاً ملونة بالأحمر[361]. لكن اتضح في المخبر أن هذه الكرات ما هي إلا تماثيل حقيقية يصل ارتفاعها لأكثر من عشرين سم، في حالة الجلوس، لكن الرأس مختصر المعالم ويظهر كمجرد انتفاخ وقمته مسطحة، ولا بد أنها كانت توضع فوق الرقبة المخصصة للجماجم، ولا بد أن مثل هذه التماثيل كانت قواعد ترتكز عليها الجماجم[362].

تكمن أهمية تل الرماد بعدد الجماجم المرتفع المكتشف فيه، ووجود التماثيل الصغيرة معها، كانت هذه الجماجم كما غيرها مطلية باللون الأحمر، والوجه مكلساً بنوع من الجص المتفحم، وقد ظهرت

---

[358] Anfruns, J. 2002: p. 3.

[359] كوفان، جاك ، 1988: ص 73.

[360] دو كونتنسون هنري وفان لير، 1966: ص 62 – 63.

[361] Ferembach, D. 1969: p. 64.

[362] De Contenson, H. 1992: p. 185.

تقاسيم الفك السفلي الذي كان مجرداً من الأسنان، ويمتد الطلاء الجصي حتى الحلق ليشكل الرقبة، وأشير إلى العيون بطبقة من الكلس الأكثر بياضاً[363]. (الشكل 63)

وتدل المكتشفات أن إيداع الجماجم حصل بشكل مستقل تماماً عن القبور، وأنه أعطى لهذه الجماجم مكانها الخاص داخل بيوت السكن، ولكن هناك قضية لا زالت غير واضحة حتى الآن تتعلق فيما إذا كانت هذه الجماجم مطمورة أي لا ترى من قبل السكان، وهي بذلك تؤيد فرضية "ودائع تأسيس"، أم أنها وضعت ببساطة في حفر دائرية تخرج منها عند الحاجة، أو عند وجود طقس جنائزي ما. لكن وجود التماثيل الإنسانية المرافقة لها التي تثبّت عليها الجماجم، يؤكد لنا التفسير الثاني[364].

عثر على عدة مواقع في المشرق الجنوبي تضم جماجم مقولبة (أريحا، بيسامون، عين غزال، كفر هارهوريش) (الشكل 64)، أما المشرق الشمالي لم يكتشف فيه أية جماجم مقولبة بالرغم من ممارستهم لعادة فصل الجماجم عن الهياكل ودفنها بشكل مستقل.

وسنتحدث عن المواقع الأخرى التي تحتوي جماجم مليسة حتى نقارنها مع جماجم تل أسود وتل الرماد وهي أريحا وبيسامون وعين غزال وكفر هاريوش

أريحا:

عثر في موقع أريحا على 10 جماجم مليسة، أحداها كانت موضوعة على أرضية منزل محترق، مع جمجمتين أخرتين غير مليستين، أما الجماجم التسعة الباقية عثر عليها في الجانب الشرقي من التل، سبعة منها كانت مجمعة في مستودع تحت أرضية منزل، وبعد مسافة قصيرة في غرفة مجاورة من نفس البيت اكتشف الجمجمتان الباقيتان[365]. لكن لم يتضح وضعيهما الأصلي لأنهما استخرجتا من داخل أنقاض مسكن متهدم، ثم سويت الأنقاض ونشأت فوقها أرضية مسكن لاحق.

فيما يخص الجماجم نفسها فقد كانت محشوة بالطين المضغوط لتقويتها، وأعيد تشكيل الوجه بمادة طينية كلسية، ومثلت العيون بالصدف والذي وضع بشكل يظهر الشق، والوجه مصبوغ بلون قريب من

---

363 Bonogofsky, M. 2002: p. 960.

364 كوفان، جاك، 1984: ص 165.

365 Strouhal, E. 1973: p. 233.

لون البشرة الانسانية، وكان الهدف هو تأكيد التشابه بين الجمجمة وصاحبها الحقيقي حسب رأي كينيون[366].

بيسامون:

أعطى موقع بيسامون جمجمتين مليستين، دفنتا في أماكن سكنية مستطيلة وأرضيتها مطلية، مع غرفة رئيسية ومدخل مسقوف[367]. كان الفك السفلي في أحدى الجمجمتين ولكن دون أسنان ويبدو أن الأسنان قد تم نزعها بعد الوفاة وقبل تشكيل الجمجمة كما في تل الرماد. العينان منزلتين بقرصين جصيين، أما الجص الذي يحدد معالم الوجه بطبقة رقيقة سميكة فكان يمتد فوق الرأس بطبقة رقيقة[368].

عين غزال:

كما في تل أسود، قدم بقايا جنائزية متنوعة، وجماجم مليسة وغير مليسة، وكذلك وجد قوالب بدون جماجم.

عام 1983 اكتشف جمجمتان محفوظتان بشكل سيء في حفرة تحوي رضيعين، اعتبرها رولفنسون، بقايا قرابين استخدمت للتضحية[369]. وعثر على قبر أخر على أربعة جماجم لأشخاص بالغين، جميعها موجهة باتجاه جنوب غرب، وهي يوجد أثنان منها تحمل آثار قولبة، كما في تل أسود يوجد في العيون خط زفتي (Eyeliner) يدل على الترابط بين الجفون[370].

وفي عام 1988عثر بالقرب من عتبة بين غرفتين على جمجمة مليسة، مدهونة مرتين وكان قفاها مغطى بطلاء سميك وأسود. وفي منزل مهدم بواسطة حريق، وجد جمجمة مكسورة يظهر عليها آثار طلاء أحمر.

366 Kenyon, K. M. 1958: p. 108.
367 Ferembach, D. 1978: p. 150.
368 Ferembach, D. et Lechevallier, M. 1973: p. 240.
369 Rollefson, G. 1983: p. 35.
370 Simmons, F. 1990: p. 107.

وفي فضاء خارجي ربما باحة منزل عثر على جمجمة مليسة جيدة الحفظ. كما أعطى عين غزال 3 قوالب متشابهة، كما في تل أسود أيضا[371].

كفر هاهوريش Kfar hahoresh:

عثر فيه على أبنية كثيرة مستطيلة وكبيرة ذات أرضيات مطلية بالكلس، تحت 3 منها حفر تجمع بقايا انسانية وحيوانية من بينها 3 جماجم مقولبة. ويعتبر Goring – Morris أن الموقع كان مركز دفن لكل القرى القريبة. أي أنه مركز جنائزي. وهو مشابه لتل أسود من حيث وجود مساحة مقابر (جنائزية)[372].

وبذلك نلاحظ أن كل المواقع التي احتوت جماجم مليسة تقع في المشرق الشمالي والمركزي، وجميعها تعود لفترة ال PPNB الوسيط، باستثناء تل الرماد، الذي يعود إلى فترة ال PPNB الحديث.

كل ما سبق يدلنا على أنه لا يمكننا الاستهانة بالمعطيات الجنائزية التي قدمتها حوضة دمشق وبشكل خاص الجماجم المليسة. وعلى الرغم من أن هذه المكتشفات اقتصرت على موقعي تل أسود وتل الرماد فقط، لكنها كانت غنية جداً، أولو فيها للمتوفى عناية كبيرة، وفي تل أسود خصصوا مساحات خاصة في أطراف القرية لدفنهم كانت بمثابة المقابر. كما أسهمت في إغناء الدراسات الانتربولوجية في جميع أنحاء المشرق القديم.

وأخيراً نجد أن حوضة دمشق خلال فترة العصر الحجري الحديث قامت فيها قرى زراعية متطورة، أغنت بمكتشفاتها كل منطقة المشرق القديم ليس فقط المشرق المركزي. وعلى الرغم من أنها أخذت صفات مشتركة من الشمال والجنوب، لكنها تميزت بخصوصية، وكان لها دور الوسيط بينهما.

وعند المقارنة بين جماجم المشرق الجنوبي والمشرق المركزي (تل أسود، تل الرماد) نجد أنها متشابهة فيما بينها بشكل كبير، وخاصة جماجم موقعي تل أسود وعين غزال. اكتشف في عين غزال جمجمتان

---

[371] Rollefson, G. 1999: p. 103.

[372] Morris- Nigel, G. 2005: p. 94.

مقولبتان أعيد تشكيليهما بنفس طريقة جماجم تل أسود، وبخاصة العيون عن طريق خط زفتي يدل على أنهما مغلقتان[373]. كما وجد عدة قوالب بدون جماجم مثل قالب تل أسود [374].

أما موقع كفر هارهوريش فقد أعطى 3 جماجم مقولبة، تميزت أنها مدفونة في مساحات جنائزية خارج المنطقة السكنية، وكأنها مقابر وهذا مشابه للمساحات الجنائزية في تل أسود أيضاً[375].

كما تمكنا من مقارنة جمجمتي موقع بيسامون مع جماجم تل الرماد، فنجد أنه نزع منهما الفك السفلي والأسنان بعد الوفاة وقبل تشكيل الجمجمة، وشكلت العيون بطبقة من الكلس الأبيض كما في تل الرماد أيضاً[376].

بينما احتوى موقع أريحا العدد الأكبر من الجماجم المقولبة، بلغ عددها 10 جماجم مقولبة، كانت محشوة بالطين المضغوط لتقويتها، وأعيد تشكيل الوجه بمادة طينية كلسية، ومثلت العيون بالصدف والذي وضع بشكل يظهر الشق، والوجه مصبوغ بلون قريب من لون البشرة الإنسانية، وكان الهدف هو تأكيد التشابه بين الجمجمة وصاحبها الحقيقي حسب رأي كينيون[377].(الشكل 65)

أخيراً، نجد على الرغم من أن البقايا الجنائزية في حوضة دمشق، لم تأت إلا من موقعي تل أسود وتل الرماد، إلا أنها كانت مهمة ومتكاملة.

تشابهت ممارسات الدفن مع أغلب مواقع الـ PPNB، حيث ظهر في الموقعين الدفن الأولي والثانوي، وكان الدفن فردياً وفي بعض الحالات جماعي كما في تل أبوهريرة وحالولة في المشرق الشمالي، وأريحا وبعجة في المشرق الجنوبي، معظم حالات الدفن تحت أرضيات السكن، غالباً بعد فصل الجماجم عن الهياكل، في حفر قليلة العمق كما في مواقع جعدة المغارة والمريبط في الشمال والبيضا والبسطة وأبو غوش وأريحا في الجنوب. كما استخدم الدفن المتكرر أو المتتالي للأفراد في نفس الحفرة بعد إزاحة العظام ليدفن إلى جانبها الشخص المتوفي، وشهدنا هذه الحالة في تل أسود وهو مشابه للدفن في جعدة المغارة.

[373] Simmons, F. 1990: p. 107- 108.

[374] Rollefson, G.D. 1999: p. 103.

[375] Morris- Nigel, G. 2005: p. 94- 95.

[376] Ferembach, D. et Lechevallier, M. 1973: p. 240.

[377] Strouhal, E. 1973: p. 232- 233.

قاموا في تل الرماد أيضاً بدفن موتاهم في الساحات الخارجية كما في موقعي أريحا والبيضا في الجنوب، وموقع أبو هريرة شمالاً. أما تل أسود ظهرت فيه المساحات الجنائزية خارج المنطقة السكنية، وكانت مقابر ذات تنظيم حديث، ووجد ما يشابهها فقط في مواقع المشرق الجنوبي (بعجة وكفر هارهوريش).

ومما يلاحظ أن عدد الهياكل المدفونة في كل موقع، شكلت نسبة بسيطة إذا ما قورنت بعدد سكان الموقع.

تنوعت وضعيات الدفن في الموقعين: إما ممدد على الظهر، أو على الجانب الأيسر، وفي تل الرماد يمدد على الجانب الأيمن أيضاً، أو مثني الأطراف. وكانت هذه الوضعيات شائعة في أغلب مواقع المشرق الشمالي والجنوبي. وقاموا بدفن الناس بمختلف أعمارهم (الأطفال والبالغين والراشدين) وأجناسهم (ذكور وإناث).

استمروا بعادة فصل الجماجم عن الهياكل، ودفنها بشكل مستقل في حفر ومستودعات خاصة. ووضعوها إما من دون معالجة وعناية أو قاموا بإعادة تشكيلها ليظهر ما يعرف بالجماجم المقولبة.

كانت الجماجم في تل أسود وتل الرماد أغلبها محفوظة جيداً، ومعاد تشكيلها بشكل رائع لتبدو كتحفة فنية، خصوصا في تل أسود. كما لم ترتبط بجنسٍ أو عمرٍ محددين، حيث عثر على جماجم لذكور وإناث من مختلف الأعمار.

تشكلت الجماجم في تل أسود كاملة مع فكها السفلي والأسنان، أما في تل الرماد فقد تم نزعهما قبل تشكيل الجمجمة، وشهدنا هذه الحالة أيضاً في موقع بيسامون في فلسطين.

تنوعت مواد الطلاء وألوانها بين الجماجم، فهي تكون دوما من طلاء أبيض جصي وفوقه طلاء أحمر، وإما يوضع الطلاء الأبيض على سطح الجمجمة بشكل مباشر أو توضع طبقة طينية وفوقه الطلاء الأبيض ومن ثم الطلاء الأحمر. وتميز هذا الطلاء الخارجي بنعومة ملمسه.

ظهرت معالم الوجه غالباً بشكل واضح وبارز كالأنف والفم وأحيانا الأذان، في تل الرماد شُكل العينان بطبقة من الجص الأبيض الأكثر بياضاً، وهي مشابهة كما رأينا لعيون جماجم بيسامون، أما في

تل أسود كانت العينان غائرتين دائما يشقهما حّز زفتي (Eyeliner) للدلالة أنهما مغلقتان، ويمكننا مقارنتهما مع العيون في موقع عين غزال.

كانت الجماجم المقولبة في حوضة دمشق مهمة جداً، من أفضل الجماجم تشكيلاً في كل المواقع، وجدت بأعداد كثيفة نوعا ما، مدفونة في حفر كمستودعات تُخرج منها عند وجود طقس جنائزي معين، أو تستخدم لحاجات أخرى. وستكون الاكتشافات والأبحاث المستقبلية كفيلة لمساعدتنا في تفسير هذه الظاهرة بشكل أوضح.

خاتمة الفصل:

ونستنتج من كل ما سبق، أنه بدأت جذور العصر الحجري الحديث في حوضة دمشق منذ الفترة النطوفية، وشهدنا ذلك من خلال مواقعها (ملاحة جيرود، يبرود III، قرنة المغارة، باز جبعدين، قوس قزح)، فكانت الفترة التي ظهرت فيها الأسس الحضارية الأولى في مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والمعمارية والفنية والروحية وغيرها. ونلاحظ تجسد هذه الانجازات في كل مواقع الحوضة النيوليتية.

استُوطنت المنطقة منذ بداية الفترة النطوفية حتى نهاية العصر الحجري الحديث تقريباً، باستثناء فترة الـ PPNA،لكنها لم تكن فارغة تماما بل شهدت مروراً لمجموعات بشرية عديدة دون أن يستقروا فيها.

أما الفترة الأكثر ازدهاراً في المنطقة، كانت الـ PPNB التي شهدت خلال مراحلها الثلاثة (القديم والوسيط والحديث) ظهور العديد من القرى الزراعية المتطورة (تل أسود، تل الغريفة، تل عطنة، تل الرماد)، كان أقدمها تل أسود الذي يعود الاستيطان الأول فيه لفترة الـ PPNB القديم واستمر حتى الـ PPNB الحديث.

ومع نهاية الـ PPNB الوسيط وبداية الـ PPNB الحديث، ظهرت قرية جديدة هي تل الغريفة التي تعد مستوطنة انتقالية بين تل أسود وتل الرماد.

في الـ PPNB الحديث، ظهر أيضاً مستوطنتا تل عطنة وتل الرماد، وكان تل الرماد من أهم المواقع، لأنه شهد مرحلة انتقالية في المنطقة بين العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار والعصر الحجري الحديث الفخاري. وهو الموقع الذي شهد الظهور الأول للفخار في الحوضة، والوحيد الذي يحتوي سوية من العصر الحجري الحديث الفخاري.

وبذلك نجد أن فترة الـ PPNB الحديث،شهدت تطوراً كبيراً تعاصرت فيها أربع قرى زراعية (تل أسود، تل الغريفة، تل عطنة، تل الرماد).

كانت القرى في حوضة دمشق متكاملة، هي قرى زراعية، نشأت في أراضي رسوبية ملائمة جداً للزراعات، معدل الأمطار فيها ضعيف لا يسمح بنمو النباتات التلقائي، مما جعلهم يعتمدون على الزراعة بشكل أساسي لاستقرارهم، زرعوا القمح والبقول والشعير والكتان في مراحل لاحقة. واعتمدوا في غذائهم الحيواني على صيد الحيوانات كالخنازير البرية والغزلان، أو صيد الأسماك والطيور المائية من البحيرة المجاورة لهم، ومع ذلك مارسوا التدجين وتربية الحيوانات كالماعز والأغنام والأبقار والخنازير ولكن بشكل أقل من الزراعة.

أغلب مستوطنات حوضة دمشق لم تكن مسكونة قبل العصر الحجري الحديث، فمن أين أتو سكانها؟

من المرجح نهم جاؤوا من جبال لبنان الشرقية المجاورة، مثل موقع نشاريني اللبناني شمالاً، أو حتى من مناطق الجنوب الذي ازدهرت فيه مواقع هامة من العصور السابقة، مثل تل قراصة والطيبة وغيرها. وهناك احتمال أنهم أتوا من المنطقتين (الشمال والجنوب) وتعايشوا مع بعضهم، مما جعل الحوضة متنوعة حضارياً وفيها تأثيرات جنوبية وشمالية.

وكما لاحظنا كانت المواقع النطوفية في الحوضة متجمعة في سلسلة جبال القلمون أغلبها ملاجئ وكهوف (باز جبعدين، قوس قزح، يبرود III)، حيث كانت المنطقة آنذاك غنية بالمياه وتغطيها الغابات.

ومع العصر الحجري الحديث نلاحظ أن هذا الاستيطان والتجمع السكاني انتقل إلى جوار بحيرة دمشق (العتيبة حالياً)، حيث وجدوا هناك وسطاً غنياً بالموارد البيئية والطبيعية يملك جميع عوامل الاستقرار.

تعايشت مواقع الحوضة مع بعضها نوعاً ما، تأثرت ببعضها البعض، وبنفس الوقت كان لكل منها خصوصيته. أعطت جميعها بقايا أثرية مهمة في جميع النواحي أتينا على ذكرها سابقاً، ساهمت في تكوين شخصية المنطقة في هذا العصر، فكانت مميزة، لها صفات حضارية خاصة بها، أخذت تأثيرات من مواقع المشرق الشمالي ومواقع المشرق الجنوبي بنفس الوقت. ولكن تبقى التأثيرات الجنوبية أقوى نوعاً ما.

على سبيل المثال، من ناحية العمارة كما رأينا كان المخطط السائد في تلك الفترة هو المخطط المستطيل، لكن بيوت حوضة دمشق كان أغلبها دائرية المخطط، وعثر على بيوت مشابهة في مواقع المشرق الجنوبي (البيضا). وبالنسبة لمواد البناء استخدموا اللبن المقولب، وذلك مشابه لعمارة المشرق الشمالي عكس الجنوبي الذي اعتمدت مواقعه على الحجارة في البناء.

وكان الحال نفسه بالنسبة لباقي المعطيات الأثرية المكتشفة في الحوضة (الأدوات الحجرية والعظمية والفخار والفنون وممارسات الدفن وغير ذلك).

وإن موقع حوضة دمشق في الوسط بين المشرق الشمالي والمشرق الجنوبي، جعلها تلعب دور الوسيط التجاري والاقتصادي والثقافي بينهما. بدليل وجود الأوبسيديان بكثرة والذي تم استيراده من بلاد الأناضول، وانتقل عبر حوضة دمشق إلى المشرق الجنوبي.

وبذلك نجد أن هذه المنطقة أغنت بمكتشفاتها الأثرية كل منطقة المشرق القديم، ليس فقط منطقة المشرق المركزي.

الفصل الثالث

العصر الحجري النحاسي في حوضة دمشق

الفصل الثالث: العصر الحجري النحاسي في حوضة دمشق

أولا: العصر الحجري النحاسي

1 - ثقافة حلف 5500 – 4500 ق.م
2 - ثقافة عبيد 4500- 3500 ق.م
3 - حضارة أوروك 3500 – 3000 ق.م

ثانيا: معطيات العصر الحجري النحاسي في شمال سورية

ثالثا: معطيات العصر الحجري النحاسي في جنوب سورية

رابعا: العصر الحجري النحاسي في الأردن وفلسطين

خامسا: مواقع العصر الحجري النحاسي في حوضة دمشق

1 - تل البحارية
2 - تل الخزامى

سادسا: العناصر الحضارية في العصر الحجري النحاسي في حوضة دمشق

1 - العمارة
2 - الأدوات الحجرية
3 - الأدوات العظمية
4 - الفخار
5 - الفنون
   أ- الدمى الإنسانية
   ب- الدمى الحيوانية
   ت- الحلي
6 - ممارسات الدفن

العصر الحجري النحاسي في حوضة دمشق

أولاً : العصر الحجري النحاسي:

بدأت في مطلع الألف الخامس ق.م مجتمعات المشرق العربي القديم تتعرف بشكل متزايد على معدن النحاس copper، وتستخدمه في حالته الطبيعية أو مطروقاً لتصنيع بعض الأدوات الصغيرة، ومن هنا أتت تسمية هذا العصر بالعصر الحجري النحاسي chalcolithic، لوصف هذا الزمن الانتقالي الذي استمر حتى منتصف الألف الرابع ق.م. لكن بالرغم من ذلك بقي الحجر يلعب دوراً أساسياً وهاماً كمادة أولية لتصنيع مختلف أنواع الأدوات، كأدوات الصيد والزراعة، ومختلف النشاطات اليومية للإنسان كتصنيع الجلود وصناعة الحلي وغير ذلك، كما بقيت الأدوات المصنعة من النحاس قليلة نوعاً ما ومحدودة[378].

وتؤكد لنا المعطيات الأثرية أن اكتشاف الإنسان للنحاس كان أبكر من الألف الخامس ق.م، كما رأينا في تل الرماد، حيث عثر على كرة صغيرة من النحاس في طبقة من العصر الحجري الحديث والتي يعتقد أنها مستوردة من بلاد الأناضول الشرقية[379]. وكذلك في مواقع أم الدباغية في العراق، وعلي كوش في غربي إيران، وتليلات الغسول في الأردن. فتعتبر القطع المصنوعة من النحاس أقدم ما عثر عليه في فترة العصر الحجري النحاسي في فلسطين والأردن[380].

لقد بدأ هذا العصر في بلاد الرافدين، فكانت وتيرة التطور فيها أسرع منها في بلاد الشام، وعاشت على امتداده ثقافات أساسية هي: الثقافة الحلفية Halaf، والثقافة العبيدية Ubaid، وحضارة أوروك Uruk، وقد حصلت فيه ابتكارات مهمة وسريعة اختلفت حسب المناطق، لكن مركزها الأهم كان القسم الشمالي من بلاد الرافدين، بما فيها الجزيرة السورية العليا[381].

---

[378] Pierre, M. J. 1991: p. 34 – 35.

[379] دو كونتنسون، هنري، 1989: ص 38.

[380] عوض، محمد نظير، 2002 : ص 72.

[381] محيسن، سلطان، 1988: ص 75.

تميز العصر الحجري النحاسي بتزايد عدد السكان، وانتشار المستوطنات في المناطق التي كانت غير معروفة من قبل، بعد أن تم إتقان الري الصناعي وأصبحت الزراعة أكثر إنتاجية، فزرعوا أنواع جديدة كالعدس والحمص والفول وأشجار الكرمة والتين والنخيل، كما تطور البناء وترسخت مفاهيم الأسرة والعشيرة والقبيلة المرتبطة جغرافياً واجتماعياً بمعانٍ محددة، وتعمق التخصص وتقسيم العمل على أسس اقتصادية جديدة نابعة من الظهور الطبقي في المجتمع، كما تقدمت الفنون جميعها من حيث النحت والرسم والنقش والتلوين وغير ذلك، وترسخت معتقدات دينية سابقة كعقيدة "الإلهة الأم" أو "الثور المقدس"، وصنعت التمائم والأختام والحلي بغزارة واضحة[382].

أصبحت في هذا العصر اللوحة الحضارية أكثر تعقيداً واتساعاً، ودخلت الساحة شعوب لم تقتصر حركتها على شمال بلاد الرافدين، بل وصلت حتى سفوح جبال طوروس شمالاً والخليج العربي جنوباً، وامتدت من وادي نهر السند في الشرق حتى سواحل المتوسط في الغرب.

تكمن أهمية العصر الحجري النحاسي بأنه آخر العصور الحجرية الذي تكرست فيه كل المنجزات العظيمة التي حققها الإنسان في العصور الماضية، لتكون الأساس الذي قامت عليه حضارات العصور التاريخية وما يُعرف بثورة التمدن Urban Revolution [383].

1 – ثقافة حلف: 5500 – 4500 ق.م:

أخذت اسمها من موقع تل حلف، الذي يقع على منابع الخابور في الجزيرة السورية العليا، غرب بلدة رأس العين على بعد 5 كم منها تحت أنقاض مملكة جوزان الآرامية.

كانت أول ثقافة ضخمة ومتجانسة امتدت من شمال بلاد الرافدين حتى سواحل البحر المتوسط في الغرب، ومن الأناضول شمالاً حتى البقاع جنوبا[384].

يعود لهذا العصر العديد من المواقع الأثرية المهمة، منها تل الصبي الأبيض، وتل عقاب، وتل أم قصير، وتل يونس، وتل كشكشوك، وتل شاغارا بازار، ورأس شمرة، وياريم تبه وغيرها.. ولكن يبقى تل

---

382 أبو عساف، علي، 1988: ص 58.

383 محيسن، سلطان، 1994: ص 103- 104.

384 أبو عساف، علي، 1988: ص 97.

العربجية شمال نينوى في العراق هو الأهم، والذي يمكن من خلاله تتبع ثلاث مراحل تطورية للحلفيين منذ ظهورهم حتى اختفائهم (الباكرة – المتوسطة- الأخيرة)[385].

تعد الثقافة الحلفية ثقافة نيوليتية المنشأ، لكن التجديدات والابتكارات المميزة التي قام بها الحلفيون أعطتها ملامح جديدة نسبتها إلى العصر الحجري النحاسي.

نفذ الحلفيون أعمالاً اجتماعية مشتركة، فظهرت القرى الزراعية المنظمة عمرانياً، بشوارعها المرصوفة، بالحجارة، وكانت نتاج عمل جماعي منظم، أشرفت عليه السلطة لإظهار القرية بكل عناصرها فكان ذلك أول أشكال التنظيم العمراني[386].

عاش الحلفيون في تجمعات قروية صغيرة، بالقرب من الأنهار ومصادر المياه، حيث مارسوا فيها الزراعة المطرية والمروية، ودجنوا الغنم والماعز والخنزير، بالإضافة لنوع من الكلاب يشبه كلب الصيد (سلوقي)، واصطادوا الغزال والحمار الوحشي والثور البري.

صنعوا أدواتهم من الصوان والبازلت وحجر الأوبسيديان المستورد من الأناضول، كالمخارز والمغازل وأدوات السحق والطحن والأدوات العظمية وغيرها[387].

وسكنوا في بيوت مستطيلة من الطينوالحجر في منطقة مرتفعة ومعزولة، كما بنوا نوعاً جديداً من البيوت المتمثلة بالبيت دائري ذي السقف المقبب، والجدران الرقيقة من الطين المدكوك، وهو مطلي بالجص الأبيض، مدخله مستطيل (Dromos) يشبه خلايا النحل، لذلك أطلق عليه الاسم اليوناني ثولوس (Tholos) وهي تشبه أبنية منطقة بحر إيجه العائدة للثقافة المسينية، تراوحت أقطارها بين 3 – 9 م ووصلت أكبر حجم لها في المرحلة الحلفية الوسيطة[388]، لكنها اختفت في المرحلة الأخيرة لتحل محلها البيوت المستطيلة المشيدة من اللبن أو الطين المدكوك، وكان لبعضها وظيفة دينية كالتي اكتشفت في ياريم تبه والتي يمكن تسميتها "معابد". إن طبيعة الآثار التي وجدت في بيوت ثولوس والقرائن الأخرى

---

[385] Hout, J. L. 1994: p. 137.

[386] Hijjara, I. 1997 p. 97.

[387] أبو عساف، علي، 2011: ص 54- 55.

[388] باقر، طه، 1973: ص 220.

المحيطة بها من قبور وغيرها بعثت على الاعتقاد بأنها لم تكن بيوت سكن عادية، وإنما معابد مورست فيها الشعائر الدينية، لكن المكتشفات الحديثة في مواقع عديدة دلت على أنها سُكنت أيضا[389].

أما بالنسبة لطقوس الدفن فقد مارس الحلفيون أنواع مختلفة من الدفن، منها الدفن العادي، حيث وضع الميت في حفرة على جنبه متمدداً أو مثني الركبتين، والرأس نحو الجنوب، غالباً رافقه أدوات الزينة والأواني الفخارية، كما أنهم دفنوا الجماجم فقط بعد أن فصلوها عن الجسم، أو أحرقوا الجثث ووضعوها في جرار بعد أن زودوها بأواني فخارية فريدة من نوعها من حيث نوعيتها وزخارفها النادرة ذات المضمون الديني أو الميثولوجي الواضح، كنساء بشعر طويل مسدول يحملن بأيديهن الأقمشة، أو مجموعة من الناس تلقي بأحجار وأضاحي إلى إناء كبير، وحيوانات تهاجم بشراً وغيرها. ويلاحظ أن الحرق ودفن الجماجم في جرار مستقلة قد اقتصر على الكبار بينما دُفن الأطفال بشكل عادي مما يشير إلى اقتران طقوس الدفن بالمكانة الاجتماعية للمتوفى[390].

وعند الحديث عن الفخار نلاحظ أنه من أهم ما تميزت به الثقافة الحلفية هو صناعة الأواني الفخارية الجميلة والمتقنة، مما دفع بعض الباحثين إلى تسميته بعصر الفخار الملون Bichrome، كانت كمياته غزيرة ومتنوعة، حتى أنها استخدمت في بعض الأحيان كسلع للتجارة أو المبادلة للحصول على المواد الأخرى مثل الأوبسيديان أو النحاس، ومما يثير الدهشة أكثر أنها صنعت باليد[391].

يبدو لنا أن الأواني الفخارية اختلفت عن بعضها البعض بالأشكال والألوان والزخارف وطرق التصنيع، ففي المرحلة الباكرة كانت الآنية من نوعية متوسطة وزخارف محددة اقتصرت على الأشكال الهندسية كالخطوط العامودية المتوازية أو الخطوط المتموجة والدوائر والطيور والأسماك والثعابين وحيوانات أخرى إضافة لبعض الأشكال الإنسانية، أهم أشكالها الجرار والصحاف والأباريق وأنواع الطاسات العميقة اسمها طاسات القشطة (cream bowl) التي لونت بالأحمر والبني وصقلت بدقة (الشكل 66)[392].

---

[389] غولايف، فاليري، 1989: ص 42- 43.

[390] Mellart, J. 1975: p. 159.

[391] أبو عساف، علي، 2011: ص 67- 68.

[392] سيتون، لويد، 1993: ص 110- 112.

ازدادت في المرحلة الوسطى مراكز إنتاج الفخار، وأصبحت الأواني أكثر غنى ورقّي، وعلى ثلاثة أنواع: النوع الأول بسيط غير مزخرف سميك الجدران، ولكن نسبته قليلة، النوع الثاني أفضل صنعاً جدرانه رقيقة لكنه غير مزخرف أيضاً، أما الثالث فهو الأفضل، كان من النوع المسمى المتعدد الألوان Polychrome صنعت أوانيه من الطين الناعم الجيد وحرقت وصقلت ولونت بألوان مختلفة تتراوح بين الأبيض الكريم إلى الأحمر والبني، زخرفت بألوان فاتحة على خلفية غامقة، رسمت عليه أشكال جديدة كالخطوط المتشابكة أو المتقاطعة وأصبحت الأشكال الحيوانية والنباتية أكثر واقعية، واحتل رأس الثور Bucranium بينها مكاناً مركزياً (الشكل 67)[393].

بلغت في المرحلة الأخيرة صناعة الفخار الذروة في الدقة والجودة، وأصبحت الآنية رقيقة إلى حد جعل بعض الباحثين يطلقون عليها (قشرة البيضة) ومتعددة الألوان والزخارف، استخدم فيها اللون الأبيض والأحمر والبني على خلفية وردية أو كريم، رسمت عليها أشكال منوعة أشهرها الوردة ذات الوريقات الأربع أو أكثر، أو ما يسمى بصليب مالطة (Maltese Cross) وأشكال نباتية وهندسية أخرى، ولكن تراجع تصوير رؤوس الثيران، وظهرت أشكال جديدة كالصحون الرقيقة والجرار والقدور وبخاصة الصحاف وطاسات القشطة[394].

أما الدمى الطينية استمر الحلفيون بتصنيعها خاصة التي تمثل الإلهة الأم، تطورت عن دمى العصر الحجري الحديث لكنها مزينة بخطوط حمراء أو بنية ميزتها عن السابقة وربما ترمز إلى الثياب، شكلت بأوضاع مختلفة تبرز مناطق الخصب كالولادة أو القرفصاء أو الجلوس على مقعد صغير.

كما صنعوا الأختام المسطحة من الحجر والفخار، ورسموا عليها زخارف هندسية متنوعة. وتركوا أيضاً القلائد المصنعة من الأحجار النادرة[395].

[393] باقر، طه، 1973: ص 218- 219.
[394] أبو عساف، علي، 1988: ص 71- 72.
[395] Akkermans, P. 1993: p. 274.

2 – ثقافة عبيد 4500– 3500 ق. م:

في مطلع الألف الخامس ق.م، ظهرت ثقافة جديدة في جنوب بلاد الرافدين هي العبيدية، وهو الزمن الذي بدأت فيه مرحلة حلف الأخيرة في شمال بلاد الرافدين، سميت بالعبيدية نسبة إلى تل العبيد في جنوبي العراق على بعد 6 كم غرب مدينة أور الشهيرة[396].

اختلف العلماء حول أصل العبيديين، فمنهم من قال أنهم تطوروا عن الحلفيين، ومنهم من رأى أنهم مهاجرين من مناطق أخرى، لكن الاكتشافات الحديثة في جنوب بلاد الرافدين في موقع تل العويلي دلت على أنهم لم يكونوا أول من استوطن تلك البلاد بل سبقتهم شعوب أخرى، لكن الطبيعة الجيولوجية للمنطقة أدت إلى إخفاء معالمها، وما يدعم الأصل المحلي للعبيديين هو ظهورهم المفاجئ، وقد عرفوا الزراعة والتدجين والفخار، مما يدل على أنهم مروا بمرحلة سابقة قبل أن يتوصلوا إلى هذا المستوى، كما اكتشفت مؤخراً مواقع لهم على سواحل الخليج العربي[397].

تطورت ثقافة العبيد على أربع مراحل رئيسية، الأولى والثانية بقيتا في جنوب بلاد الرافدين وبدءاً من المرحلة الثالثة انتشر العبيديون في الجنوب والشمال على حد سواء.

عصر عبيد الأول: يطلق عليه ثقافة أريدو نسبة إلى مدينة أريدو التاريخية، أبو شهرين حالياً على بعد 25كم جنوب غرب أور، وقد أتت متطورة محلياً عن العصر الحجري الحديث.

أما عصر عبيد الثاني فقد أطلق عليه ثقافة حجي محمد نسبة إلى موقع بهذا الاسم، يقع إلى الشمال من تل العبيد في جنوب العراق أيضاً وفيه اتسع انتشارهم إلى ثلاث جهات رئيسية:

الشمال والشمال الغربي من منطقة مندلي وحتى حمرين وتبة غورا في شمال العراق، الشمال الشرقي إلى منطقة عربستان في إيران، الجنوب الشرقي إلى سواحل الخليج العربي والجزيرة العربية[398].

---

[396] قابلو، جباغ، 1998– 1999: ص 17.
[397] سيتون، لويد، 1993: ص 122.
[398] عبد الله، فيصل، 1994– 1995: ص 82 – 83.

في عصر العبيد الثالث حصل تحول حضاري مهم، إذ سادت لأول مرة ثقافة واحدة غطت منطقة شاسعة تمتد من عربستان شرقاً إلى سواحل المتوسط غرباً ومن زاغروس شمالاً وحتى سواحل الخليج العربي والبحرين وشبه الجزيرة العربية جنوباً.

نشأ في هذا العصر نمطان ثقافيان لثقافة العبيد، لكل منهما صفاته المحلية، لكنهما يلتقيان في إطار حضاري واحد، وهما العبيد الجنوبي الموطن الأصلي للعبيديين، وقد مثله عدد كبير من المواقع الأثرية. والعبيد الشمالي حيث وصل العبيديون إليه في هذه المرحلة، فسكنوا إما مناطق بكر لم تستوطن من قبل مثل موقع تبة غورا، أو أقاموا على أنقاض مجتمعات حلف الأخيرة كما في العربجية[399].

وأخيراً في النصف الأول من الألف الرابع عاش العبيديون مرحلتهم الأخيرة والتي تمثل أوج انتشارهم واكتمال حضارتهم، في نهاية هذا العصر توضحت معالم عصر جديد سمّاه البعض عصر نشوء الثورة المعمارية Urban Revolution [400].

عثر على الثقافة العبيدية في العديد من المواقع الأثرية منها أريدو وتبة غورا وحجي محمد وتل كردو وياريم تبه ومنطقة حمرين وغيرها في العراق، وفي سورية أهمها تل الصوان والكوم وحمام تركمان وتل المشنقة وتل العبر وتل براك وتل ليلان[401].

مارس العبيديون في الشمال الزراعة المروية لعدم توفر الأمطار الكافية ودجنوا البقر. أما في الجنوب فكانت الزراعة بعلية، ودجنوا الغنم والماعز. حصل تقدم كبير في طرق تصنيع الأدوات الصوانية وفي أشكالها مثل الفؤوس والبلطات والمثاقب والمكاشط والأزاميل والسكاكين وشفرات المناجل والقليل من رؤوس النبال، كما وجد تنوع في أشكال وخامات أدوات الطحن والجرش ورؤوس المغازل التي صنعت من الحجارة والرخام والبازلت، وبعضها من النحاس، كما عثر على مناجل طينية وأدوات زراعية

[399] Brenquet, C. 1990: p. 40.

[400] محيسن، سلطان، 1988: ص 85 – 86.

[401] Weiss, H. 1991: p. 712.

ومسامير طينية لا نعرف حتى الآن وظيفتها، يظن أنها مسامير تدشين وضعت أساسات المعابد أو الأبنية العامة كما في المواقع التاريخية اللاحقة[402].

تطورت الأبنية الدينية، فسادت السلطة الدينية ومورست الطقوس في معابد لها خصائص معمارية واضحة، ثلاثية العناصر دائماً، ويمكن تصنيف الشعائر والواجبات الدينية التي كانت تمارس في المعبد تحت عنوانين رئيسيين هما الأعطيات والأضاحي[403].

وبالنسبة للدفن سواء كان فردياً أو جماعياً، أصبح غالباً يتم في مقابر خارج البيوت ومستقلة بعد أن كان في ما مضى داخل بيوت السكن نفسها، عدا بعض المواليد الجدد الذين وضعوا داخل المنزل. كما زّود الموتى بالأضاحي والأواني والتماثيل وأحياناً بأشكال غريبة لسفن من الطين، التي تدل بدورها على معرفتهم الملاحة البحرية والنهرية البسيطة وعلى اعتقادهم ربما برحلة الميت إلى عالم البحار المظلم[404].

ظهر العبيديون على أنقاض الحلفيين فكانت الأواني الفخارية في البداية لها صفات انتقالية بين عصر حلف المتأخر والعبيد الباكر، لكنهما أقل جودة من السابقة فهي خشنة بسيطة ومعظمها بلون واحد، برتقالي فاتح غالباً، زخارفها هندسية وأحياناً طبيعية الأشكال، كالنباتات والحيوانات والبشر، مع أن بعض الأواني بقيت محافظة على مستواها العالي.

بقيت الأواني الفخارية مشابهة لما سبقها في عصر عبيد الثاني في أشكالها كالجرار والصحون والأباريق والكؤوس، ولكن أنتج أيضاً أنواع فاخرة لها لون واحد ومزخرفة[405].

في العصر الثالث تقدمت حرفة الفخار كثيراً بابتكار الدولاب البطيء الذي ضاعف الإنتاج و حسّن نوعيته وأضاف أشكال جديدة كالأباريق ذات المثاقب التي تسمى "الأواني السلحفائية" (الشكل 68).

---

402 عوض، محمد نظير، 2002: ص 74- 75- 76.

403 Monchambert, J . Y. 1989: p. 73 – 77.

404 سيتون، لويد، 1993: ص 60- 61.

405 باقر، طه، 1973: ص 226- 227.

وأخيراً في مرحلتهم الرابعة الأخيرة، تراجع الفخار الملون وأصبحت أنواعه عادية، وزخارفه هندسية بسيطة، وأنتجت منه كميات أكبر بفضل استخدام الدولاب السريع، إذ أصبحت الأواني الفخارية تنتج لحاجات عملية يومية وليس لأغراض فنية أو جمالية[406]، وهذا التدني في نوعية الفخار العبيدي لا يعني تراجعاً حضارياً، حيث بلغ العبيديون القمة في مجالات أخرى كالأختام التي تطورت صناعتها بشكل رائع، وتميزت بأسلوب توزيع زخارفها على السطح ولم تقتصر على الأشكال الهندسية، بل دخلتها لأول مرة الأشكال الحيوانية. كما صنعت الدمى النسائية أو التي تمثل رجالاً من الطين والحجر وأدوات الزينة من الأحجار النادرة المستوردة حيث تميز هذا العصر بعلاقات تجارية قوية[407].

أكثر ما تميز به العبيديون هو عمارتهم التي تطورت بشكل كبير، ولاحظنا ارتفاع تدريجي في حجم المستوطنات، وأصبحت أكبر وخاصة المعابد، وسيطرت على الأفق المعماري، إذ نستطيع لأول مرة الحديث عن عمارة تذكارية وضخمة.

في عصر عبيد الأول والثاني كانت البيوت بسيطة مؤلفة من أكواخ من القصب والطين المدكوك، وكشف عن بيوت مستطيلة أو مربعة مبنية من لبن خاص طويل ومقطع على شكل مربع ومصنوع باليد[408]. في عصر عبيد الثالث والرابع أصبح هناك موطنان في الجنوب والشمال فاختلفت مواد البناء حسب ما توفر في المنطقة، اعتمد الجنوبيون على القصب والطين بينما بنيت بيوت الشمال من الحجر وبلغت العمارة في هذا العصر الذروة، فظهرت الأبنية الضخمة (المعابد) من اللبن، ذات الطوابق والأشكال المتناظرة، كما بنيت المعابد المرتفعة على مصاطب طبيعية أو صناعية، والتي كانت أصل الزيقورات في العصور التاريخية فيما بعد، وأصبحت المستوطنات تتألف من قطاعات سكن خاصة إلى جانب قطاعات عامة تمارس فيها طقوس الدين والعبادة والإدارة وغير ذلك من شؤون الناس. ولاحظنا في هذه الفترة تفوقاً واضحاً للجنوب الرافدي على الشمال[409].

---

406 Lyonnet, B. 2000: p. 59.

407 أبو عساف، علي، 2011: ص 78- 79.

408 Akkermans, P. 2003: p. 165- 166- 167.

409 سيتون، لويد، 1993: ص 51.

لقد تطورت الأبنية الدينية البسيطة المبنية في عصري العبيد الأول والثاني بعد أن كانت صغيرة لم تتجاوز مساحتها 4 × 4 م، وصلت أبعاد معبد السوية الثامنة في أريدو 20 × 20 م. بني هذا المعبد من اللبن الطويل وكانت جدرانه قوية سميكة، ومخططها محدد ومنتظم، أطلق عليه اسم المخطط الثلاثي الأجزاء (Tripartite) لأنه تألف من ثلاث عناصر رئيسية: صالة كبيرة مستطيلة الشكل في الوسط، أي حرم لممارسة الطقوس، وفي صدرها محراب، وهناك صفان من الأبنية الأصغر يحيطان بالحرم من جانبيه، كمساكن للكهنة أو كمستودعات أو غيرها. ولقد أصبح هذا المخطط النموذج العام للمعابد الرافدية اللاحقة التي وجهت زواياها حسب الجهات الأصلية الأربع[410].

3 – حضارة أوروك 3500 – 3000 ق.م.

مع منتصف الألف الرابع ق.م انتهت الحياة في المناطق العبيدية الشمالية، وبذلك توقف التطور هناك، وانتقل مركزه إلى منطقة جنوب بلاد الرافدين وأصبحت مصدر الإشعاع الحضاري الجديد، الذي وضع البشرية أمام منعطف حاسم آخر تمثل بظهور الكتابة ونهاية عصور ما قبل التاريخ نهائياً وبداية العصور التاريخية. كانت مدينة الوركاء في جنوب العراق (أوروك التاريخية) هي الموقع الأثري الأهم لهذا العصر والذي استمد اسمه منها، وبناء على اكتشافاته تم تحديد مرحلتين أساسيتين في هذا العصر: عصر وركاء الباكر وعصر وركاء المتأخر. بالرغم من أن آثار هذا العصر أتت أيضاً من مواقع أخرى مثل تل براك وتل ليلان وتل قناص وحبوبة الكبيرة وجبل عارودة وغيرها[411].

تميزت هذه الفترة بتطورات مهمة على مختلف الأصعدة، فقد حصل تحول أساسي في صناعة الأواني الفخارية إذ غاب الفخار الملون والمزخرف الذي عرف فيما سبق، وظهر نوع آخر من الأواني بعضها رمادي اللون انتشر في شمال بلاد الرافدين متوسطة الجودة سطحها غير مصبوغ وزخارفها بسيطة نفذت بالحز أو بالضغط أو بالتمشيط وتسمى "فخار الوركاء الرمادي"، والبعض الآخر لونه أحمر

[410] غولايف، فاليري، 1989: ص 48.

[411] الصفدي، هشام، 1982: ص 144- 145.

"فخار وركاء الأحمر" وهو أجود من الفخار الرمادي، وقد انتشر في جنوب بلاد الرافدين، وافترض الباحث اكرمانز أن ذلك جزء من التحول إلى إنتاج كثيف للفخار بمعزل عن المتغيرات التقنية[412].

ظهرت أنواع جديدة أهمها ما يعرف بالآنية الناقوسية (Bevel Rimmed Bowel) وهي على شكل طاسات مخروطية قاعدتها أضيق من فوهتها المقطوعة الحواف، وبشكل مائل نحو الخارج، صنعت من الطين الخشن وانتشرت على مساحات كبيرة وبأحجام واحدة تقريباً، ويعتقد أنها استخدمت كمكيال للحبوب، وإذ صح هذا الاستنتاج فإننا أمام نظام اقتصادي مركزي موحد، يجمع الحبوب ثم يوزعها حسب المناطق والحاجة، كما صنعت الأباريق ذات المصبات الطويلة المنحنية، وقدور لها عدة مقابض متعددة الحجوم والأشكال[413].

تقدمت الفنون بكل أنواعها وبخاصة التماثيل لتي غالباً ما جسدت آلهة أو كهنة، متعبدين خاشعين أو حكاماً. وصنعت لأول مرة الأختام الاسطوانية التي ارتبطت بتقدم التجارة وتزايد الإنتاج الزراعي والحيواني والحرفي والحاجة إلى تصدير البضائع ووضعها بأختام أصحابها بعد أن تبلور الانقسام الطبقي وظهرت الملكية الخاصة. وكانت من مواد طرية كالكلس والعظم والخشب، وصورت عليها أشكال دينية أو مدنية منوعة[414].

كانت العمارة من أهم انجازات هذا العصر، شيدت المدن الكبيرة المسّوة والعديد من المعابد الكبيرة المبنية حسب النموذج "الثلاثي الأجزاء"، والتي أصبحت مركز النشاط الديني- الاقتصادي المنظم، وكان أهمها المعبد الأبيض وقد بني فوق مصطبة مرتفعة، كما يمثل المعبد الكلسي (Limestone Temple) تطوراً في عملية البناء[415].

---

[412] Akkermans, P. 2003: p. 184- 185.
[413] Oates, J. 1966: p. 44.

[414] مورتكارت، انطون، 1967: ص 37.
[415] مرعي، عيد، 1991: ص 218.

ويجب أن لا ننسى أنه عثر على الدلائل الأولى لاختراع الكتابة في بعض المواقع حيث نقشت على لوحات طينية، حجمها قدر حجم كف الإنسان، أشكال ورموز تمثل الكتابة التصويرية Pictographs، وهي المرحلة الأولى من نشوء الكتابة وتطورها[416].

ومع نهاية عصر أوروك ينتهي العصر الحجري النحاسي وتنتهي عصور ما قبل التاريخ لتبدأ العصور التاريخية القديمة.

ثانياً : معطيات العصر الحجري النحاسي في شمال سورية:

انطلق من الشمال السوري أولى ثقافات العصر الحجري النحاسي، الثقافة الحلفية، فظهرت القرى الزراعية المنظمة عمرانيا، وقاموا بتجديدات وابتكارات حضارية مهمة في مجالات عدة (العمارة، تنظيم القرى، التنظيم الاجتماعي والاقتصادي، الفنون والمعتقدات). شكّل الشمال السوري خلال الألفين الخامس والرابع جزءاً من منطقة حضارية واسعة، تلاحقت فيها الثقافات المختلفة وانتقلت فيها تجارب الإنسان وابتكاراته[417].

إن المكتشفات الأثرية الحديثة والدراسات التاريخية تؤكد أن الأصل المحلي لتطور الحلفين في المنطقة الواقعة بين دجلة شرقاً والبليخ غرباً، فهي امتلكت المقومات والأسس اللازمة لحدوث هذه النقلة الحضارية[418].

شكلت المسوحات الأثرية التي جرت في الجزء الشمالي من سورية والتي ما زالت مستمرة إضافة إلى أعمال التنقيب ونتائجها ودراساتها، المصدر الأول لتاريخ هذه المنطقة خلال الألفين الخامس والرابع ق.م، ولمعرفة الصورة الحقيقية لهذه المنطقة في العصر الحجري النحاسي وعلاقاتها مع الجنوب الرافدي، وتحديد المراكز الرئيسية والمستوطنات الكبرى التي قامت في المنطقة[419].

---

[416] Redmann, C. L. 1978: p. 57- 58.

[417] عوض، نظير، 2002: ص 89- 90.

[418] Lyonnet, B. 2000: p. 121.

[419] Brenquet, C. 1990: p. 73.

إضافة إلى مستوطنة حلف والتي أعطت أول آثار الثقافة الحلفية، هناك الكثير من المستوطنات التي أعطت نتائجها الكثير عن تاريخ المنطقة خلال الألفين الخامس والرابع ق.م، تمركزت هذه المستوطنات الحلفية قرب الأنهار في مناطق تساعد على ممارسة الزراعة المروية، فالمستوطنات الحلفية والعبيدية والأوركية تتواجد بكثافة في المنطقة المحصورة ما بين دجلة شرقاً إلى الفرات غرباً، وهي تبدأ بالتناقص والاختفاء كلياً كلما اتجهنا إلى الوسط السوري وجنوب حمص، حيث حدث امتداد لتأثير الثقافة الغسولية في المناطق الجنوبية وخاصة مناطق الجولان ودرعا وحوضة دمشق. وإذا ما اتجهنا غربا صادفنا عدد من القرى والمستوطنات الزراعية العائدة لفترة العصر الحجري النحاسي في محيط حلب وإدلب، ثم على الساحل السوري في رأس شمرا، لكنها أقل عددا من مواقع الجزيرة السورية، التي كانت أقرب إلى مراكز انطلاق ثقافات هذا العصر (حلف، العبيد، أوروك)[420].

من المواقع الحلفية المهمة والتي أعطت معلومات عن الثقافة الحلفية من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفنية والدينية، موقع صبي أبيض، والدامشلية، وكشكشوك، وشاغاربازار، وتل أم قصير، وتل براك، كل هذه المواقع جرت فيها تنقيبات ودراسات أثرية، ومازال العمل في بعضها مستمرا حتى الآن[421].

ولكننا نستطيع القول أن أهمها كان تل الصبي الأبيض، الذي يعد من أهم المستوطنات الحلفية في سورية، يقع في الجزء الشمالي من وادي البليخ في الجزيرة السورية، وتكمن أهميته أنه قدم وللمرة الأولى وثائق أثرية مهمة توثق التحول التدريجي من مرحلة ما قبل حلف إلى الفترة الحلفية، وهذا أهم شاهد على الأصول المحلية لثقافة حلف في المنطقة الشمالية من سورية[422].

سكنوا في بيوت دائرية ضخمة اكتشفت في الكثير منها مواقد صغيرة وهي تشبه إلى حد بعيد البيوت الدائرية التي نشاهدها اليوم في معظم القرى الزراعية في شمال سورية، هذه البيوت تشبه خلية النحل، يطلق عليها تولوس، إلى جانبها أبنية مستطيلة ذات غرف أكبر احتوت على أفران لشي الفخار والمواد المصنعة من الطين، فمثلت هذه البيوت المشاغل والورشات وأماكن العمل، وهذا تقسيم وظيفي

[420] Monchambert, J. Y. 1989: p. 82.
[421] Akkermans, P. 2003: p. 233- 234.
[422] Akkermans, P. 1987: p. 24-25.

جديد. ومن المكتشفات الهامة التي انتشرت على أرضيات البيوت المستطيلة مئات الأختام الصلصالية والرموز الحسابية، كل ذلك دليل مهم على وجود نظام اقتصادي متطور فيه[423].

أما بالنسبة لفخار صبي أبيض فقد تميز بفخار مزين ومزخرف بالرسوم المختلفة، وهو يختلف عن الفخار القديم الخشن، ظهرت على الأواني الفخارية تأثيرات من ثقافة سامراء، وهي تشكل دليل التفاعل الحضاري في المنطقة وتواصل لمناطق شمال سورية مع الجنوب الرافدي[424].

ومن المواقع المهمة أيضاً مستوطنة أم قصير التي ظهر فيها وجود استيطان من مطلع العصر الحجري النحاسي حتى فترة أوروك. لم تكن هذه المستوطنة مسكونة قبل الثقافة الحلفية عكس موقع صبي أبيض. وكان الحال نفسه لباقي المواقع الحلفية مثل تل شاغاربازار وتل مشنقة الواقع جنوب الحسكة 30 كم وسط منطقة الخابور والذي تعود فترة الاستيطان الأكبر فيه من الثقافة العبيدية[425].

أما مواقع الفترة العبيدية فكان أهمها تل كشكشوك الواقع إلى الشمال الغربي من مدينة الحسكة، وتعد الدمى الطينية أهم مكتشفاته، حيث أنها دلت على استمرار وترسيخ عبادة الآلهة الأم خلال العصر الحجري النحاسي[426]. وكذلك تل آفس الواقع شمال مدينة إدلب، تميز أنه يعود إلى المرحلة الأخيرة من الفترة العبيدية، ويمثل لنا مرحلة انتقال من أواخر العصر الحجري النحاسي إلى بداية البرونز القديم حيث نشأ ما يسمى التمدن المحلي في سورية[427].

وفي فترة أوروك ازدهرت عدة مواقع أهمها حبوبة الكبيرة وتل قناص وتل جبل عارودة وتل براك والتي أعطت جميعها اكتشافات مميزة، منها الأواني الفخارية وخاصة الآنية الناقوسية والألواح الطينية التي حملت أشكالا حيوانية مع رموز حسابية تمثل أولى أشكال الكتابة التصويرية في سورية وهي تعاصر وتشابه مثيلاتها المكتشفة في بلاد الرافدين (الوركاء)[428].

---

[423] Akkermans, P. 1993: p. 75.
[424] Akkermans, P. 1989: p. 90.
[425] Hole, F. and Johanson, G.A. 1988: p. 1- 2.
[426] Matsutani, T. 1991: p.53.
[427] Mazzoni, S. 1999: p. 98-99.
[428] Matthews, R. 1998: p.79.

أهمها تل براك الواقع على بعد 40 كم شرق الحسكة بالقرب من وادي جغجغ في سهول الخابور العليا، وهو أكبر تل في شمال سورية، طوله حوالي 800م وعرضه 600م، وهو يمثل أهم التلال لأنه يشهد مرحلة التحول إلى التمدن، ومن أهم المكتشفات فيه اللوحات التصويرية التي تشابه وتعاصر كتابات الوركاء. وكان معبد العيون المكتشف في هذا التل دليلا على تطور العمارة الدينية[429].

ومن المواقع المهمة أيضا تل حموكار، الذي يقع على بعد 160 كم شمال شرق مدينة الحسكة و8 كم جنوب غرب ناحية اليعربية، تبلغ مساحته 103 هكتارات، ويرتفع عن سطح البحر 404 م، وتشير طبوغرافيته أنه يتألف من عدة كتل رئيسية يحيط بها سور. مرت عليه عدة عصور أهمها ثقافة حلف وثقافة العبيد وحضارة أوروك بمراحلها الثلاثة. اكتسب الموقع أهمية خاصة خلال الألف الرابع ق. م حيث بلغت مساحته (15هكتاراً)، وكشفت أعمال التنقيبات الأثرية عن عدة سويات أثرية أقدمها تعود إلى فترة أوروك الباكر الشمالي (4000-3700ق.م) حيث عثر بداخلها على بقايا جدران مبنية من اللبن ومجموعة من الأواني الفخارية، توضع فوقها سوية تعود إلى فترة أوروك الوسيط الشمالي(3700-3500ق.م) ضمَّت جداراً بعرض (4م) وارتفاع (3م) مبني من اللبن ذي الشكل المستطيل والحجم الكبير، ومن خلال السبر المُدَّرج في القطاع (F) تبين أنه سور المدينة العائد إلى منتصف الألف الرابع ق.م.وقد كشف فوق الجدار ثلاث سويات أثرية تعود إلى فترة أوروك المتأخر (3500-3000ق.م) حيث عثر فوق أرضياتها على جرار فخارية. عثر داخل منشأة من عصر أوروك الوسيط على مجموعة من طبعات الأختام المصنوعة من الطين استخدمت كأغطية لأوان فخارية نقش عليها أشكال إنسانية وحيوانية ونباتات، بالإضافة إلى طبعات لختم الأبواب اكتشف ما يشبهها في تركيا وشمال العراق، مما يدل على وجود علاقات تجارية واقتصادية فيما بينها. كما كشف على مجموعة من طبعات الأختام المصنوعة من العظم والحجر ثقبت من أجل التعليق منحوتة بأشكال حيوان (زوج من الأسود- أسد - غزال مضطجع - حيوان ذو قرون -طائر- سمكة - دب أسد يصارع حيوان ذو قرنين) يعتقد أنها استخدمت كتعويذات، بالإضافة إلى منحوتة عظمية على شكل خنجر وعثر في

[429] Matthews, R.J. 1996: p. 66.

إحدى الحفر التي يعتقد أنها قبر على عظام بشرية و خمسة آلاف خرزة وتسعة وثمانين طبعة ختم ودمى مصنوعة من العظم ذات عيون كبيرة اكتشف ما يشبهها في تل براك[430].

وأخيرا نجد أن استمرار السكن في هذه القرى خلال العصر الحجري النحاسي (حلف- عبيد- الوركاء) إضافة إلى كثافة المواقع المؤرخة عليه يلفت الانتباه إلى الدور الحضاري للشمال السوري خلال هذا العصر. كما كانت كل المواقع السورية متكاملة أعطت مكتشفات هامة في مختلف النواحي وازت بأهميتها مواقع الجنوب الرافدي.

ثالثاً: معطيات العصر الحجري النحاسي في جنوب سورية:

ضمت المناطق الجنوبية في سورية في العصر الحجري النحاسي، مناطق جبل العرب في الشرق وهضبة الحوران في الوسط والجولان في الجنوب[431]. وتبقى نتائج العصر الحجري النحاسي في المنطقة الجنوبية قليلة نسبياً قياساً للمنطقة الشمالية، التي حظيت باهتمام أكبر من الباحثين والمنقبين. لقد سكنت هذه المنطقة بلا انقطاع بدءاً من العصر الحجري الحديث وهو عصر الزراعة والاستقرار، الذي دلت عليه التلال العديدة، التي تضم بقايا القرى الأولى واستمر الاستيطان فيها حتى بداية العصور التاريخية القديمة عابراً العصر الحجري النحاسي[432].

أغلب المواقع المكتشفة كانت من العصر الحجري النحاسي وما بعده وذلك نتيجة لنشاط البراكين الكثيف في منطقة الجنوب السوري، الذي أدى إلى تخريب وحرق مواقع ومستوطنات إنسان عصور ما قبل التاريخ وإتلاف محتوياتها الأثرية، بالرغم من أنها ساعدت في بعض الأحيان على ضغط هذه المواقع بصبات بركانية حفظتها من عوامل التخريب. كانت معطيات العصر الحجري الحديث قليلة جداً عبارة عن مجموعة من اللقى السطحية في منطقتي درعا والسويداء، أشارت إلى أهمية المجتمعات الزراعية في المنطقة والتي حملت صفات مشتركة بين شمال وجنوب بلاد الشام، أي بين فلسطين والأردن من جهة وبين سورية الشمالية من جهة ثانية. وكانت أغلبها رؤوس نبال أو بقايا أوان فخارية تعود إلى

---

[430] Gibson, M. et al. 2002: p. 13- 14.

[431] عبد السلام، عادل، 1990: ص 8-9.

[432] محيسن، سلطان، 1997: ص 43- 44.

نهاية الألف الخامس ق.م من النوع المسمى اليرموكي المعروف من جنوب بلاد الشام، والذي يمثل المرحلة الأخيرة في مجتمعات العصر الحجري الحديث[433].

كما رأينا أغلب المواقع تعود إلى العصر الحجري النحاسي، حيث كشفت المسوحات الأثرية التي جرت منذ الأربعينيات من القرن الماضي، والتي قام بها كل من غريدل Gridel، ثم بوليو Beaulieu، وبعده فان ليره Van Liere، عن الكثير من المواقع العائدة إلى العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت)، والذي سمي في حينه بالاينيوليت (Eneolithique)، حيث قام هؤلاء بإجراء مسوحات في منطقة جبل العرب. وبالرغم من كثرة المواقع الأثرية العائدة لهذه الفترة في جنوب سورية وانتشارها في الكثير من الأماكن، إلا أنه لم تجري أعمال تنقيب كافية ليتم من خلالها تسليط الضوء على المواقع السورية وأهميتها، مع ملاحظة التجانس الحضاري الذي ساد المنطقة خلال الألف الرابع ق.م، حيث كانت المنطقة تمثل وحدة حضارية واحدة ولم تكن تعرف الحدود السياسية الحالية[434].

إن التحريات التي قام بها الأب جوزيف نصر الله في درعا منذ الأربعينيات من القرن الماضي، كشفت عن استيطان من العصر الحجري النحاسي، من خلال العثور على أدوات حجرية مختلفة متعددة الوظائف، أدوات الصيد وأدوات للأعمال اليومية وصناعة الجلود وغير ذلك، من المكتشفات المهمة أدوات زراعية مختلفة مشابهة لما اكتشف في موقع تليلات الغسول في الأردن، كما احتوى الموقع على الأبنية الحجرية الكبيرة والمستطيلة والمشابهة للبيوت الغسولية، حيث اكتشفت أماكن التخزين وأحواض وساحات ملاصقة للجدران الخارجية للمنازل وعناصر معمارية أخرى مشابهة لتليلات الغسول، وكانت مشابهة لأبنية مواقع حوضة دمشق (البحارية- الخزامى) بأنها مستطيلة وكبيرة مثلها، ولكنها تختلف بأنها من الأحجار الكبيرة، بينما أبينة الحوضة من اللبن المقولب المختلف الأبعاد.[435].

ومن المواقع الهامة التي احتوت على استيطان من العصر الحجري النحاسي، موقع خربة الأمباشي، يقع جنوب شرق مدينة دمشق حوالي 80 كم، وحوالي 36كم شرق مدينة شهبا وتحدُّها من جهة الجنوب الشرقي أرض الكراع ومن الشمال والشرق تلول الصفا وهُما صبَّتان بركانيَّتان تقعان شرق

[433] محيسن، سلطان، 1997: ص 45.

[434] عوض، نظير، 2007- 2008: ص 62.

[435] Nasralla, J. 1956: p. 11- 12.

جبل العرب، فيما يَحدُّها من جهة الغرب وادي مسعد. يبلغ ارتفاع الخربة عن مستوى سطح البحر 670متراً، وتبلغ مساحتها الإجمالية أكثر من 100 هكتار. تعود بواكير الاستيطان الأول في الموقع إلى العصر الحجري الحديث والعصر الحجري النحاسي[436].

كانت المعلومات عن العصر الحجري الحديث والنحاسي قليلة بسبب غياب أعمال التنقيب والدراسات الأثرية نسبياً، كانت في أغلبها حديثة وغير دقيقة نتيجة أنشطة أفراد هواة، عملوا بإمكانيات وتقنيات متواضعة، باستثناء عدد قليل من المواقع منها موقع القراصة الذي يعد من المواقع النموذجية في هذا العصر، ونظراً لأهميته سنتحدث عنه بالتفصيل:

يقع موقع قراصة إلى الجنوب من منطقة اللجاة، على بعد 20 كم إلى الغرب من مدينة السويداء، إلى جوار بحيرة جافة محاطة بمواقع أثرية تعود إلى فترات زمنية مختلفة (النطوفية، العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب، العصر الحجري الحديث الفخاري، العصر الحجري النحاسي). اكتشف خلال أعمال البعثة الفرنسية – السورية لإنجاز أطلس آثاري لسورية الجنوبية مخصص بمواقع ما قبل التاريخ بالدرجة الأولى. عملت فيه بعثة فرنسية – اسبانية – سورية بين سنوات 2007- 2010 [437].

ويعد الموقع الوحيد في سورية الجنوبية الذي نجد فيه تسلسلاً زمنياً طويلاً للاستيطان يمتد من الفترة النطوفية حتى عصر الحديد، يتألف الموقع من تلين التل الشمالي (استيطان من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب حتى العصر الحجري النحاسي) والتل الجنوبي (استيطان من العصور البرونزية وعصر الحديد)، وإلى الشمال من هذين التلين توضعت منطقة القبور الميغاليتية من عصر البرونز القديم وموقع قراصة 3 المؤرخ من الفترة النطوفية[438].

عثر في هذا الموقع على العديد من البقايا التي تدل على أنه كان معاصر لمواقع حوضة دمشق ومشابه لمكتشفاتها الأثرية، فهو يشكل معها وحدة حضارية واحدة. دلتنا البقايا النباتية على الزراعة الكثيفة في الموقع، كما وجدت النباتات البرية إلى جانب المدجنة بشكل كبير خلال فترة الـ PPNB

[436] Breamer F. 2004: p. 15- 16.

[437] Breamer F. 2011: p. 33.

[438] فرانك برايمير و وسيم شعراني، 2012: ص 327.

وهي فترة ولادة الزراعة في المنطقة، وكانت مشابهة لنباتات تل أسود وتل الغريفة. إضافة إلى أن البقايا دلتنا على استغلال أنواع عديدة من الأصناف الحيوانية مثل الخنزير والماعز والغنم وغيرها كما دجن الماعز[439].

وبذلك نجد أن هذا التل قد مكننا من إعادة بناء التسلسل الطبقي والتاريخي في منطقة سورية الجنوبية، وكذلك من ملء النقص في المعطيات الأثرية بين سورية المركزية ووادي اليرموك في الأردن.

وأخيراً نلاحظ أن مواقع الجنوب السوري تشكل مع المواقع الفلسطينية والأردنية الشمالية منطقة حضارية واحدة مهدت الطريق من خلال مبتكراتها الحضارية المهمة في مجال الزراعة والتدجين وتصنيع الفخار والعمارة وتقنيات أخرى تتعلق بصناعة الأدوات والمواد اللازمة للحياة اليومية لمجتمعات هذا العصر، وبالتالي فقد مهدت لدخول مجتمعات العصر المشرق العربي القديم في العصور التاريخية وساهمت في نشوء المدن الأولى في الجنوب السوري.

رابعا: العصر الحجري النحاسي في الأردن وفلسطين:

منذ النصف الثاني من الألف السادس ق.م أي مع بداية ثقافة حلف اختلفت وتائر التطور الحضاري بين شمال سورية وجنوبها، تابعت الأجزاء الجنوبية من بلاد الشام، الأردن وفلسطين، تقاليد العصر الحجري الحديث ودخلت المناطق الشمالية العصر الحجري النحاسي مع بلاد الرافدين التي أصبحت مركز الثقل الحضاري خلال الألف الخامس ق.م. وخلال الألف الرابع ق.م ساد مناطق بلاد الشام تجانس حضاري كبير، حيث ظهرت مجتمعات متطورة بالتزامن مع حضارة الوركاء أطلق عليها الحضارة الغسولية نسبة إلى موقع تليلات الغسول في حوض الأردن، وهناك من يطلق عليها تسمية حضارة الغسول- بئر السبع نظراً للاكتشافات الهامة التي أتت من منطقة بئر السبع في صحراء النقب في فلسطين، وهي حضارة انتشرت منذ منتصف الألف الرابع على امتداد بلاد الشام من سهل العمق شمالاً حتى صحراء النقب جنوبا[440].

---

[439] Braemer, F. 2008: p. 93- 94.

[440] عوض، محمد نظير، 2002: ص 124- 125.

وكانت حضارة شديدة التجانس في كل معطياتها وبخاصة في الأواني الفخارية التي صنعت باليد بشكل عام، وبعضه تم تصنيعه على الدولاب البطيء، فتنوعت الأشكال من جرار التخزين الكبيرة إلى الجرار الصغيرة للاستعمالات المختلفة، إضافة إلى المباخر والأقماع وأواني مميزة تشبه مخضات اللبن، وعثر داخل البيوت الغسولية على جرار كبيرة لها أعناق وبعضها بدون أعناق، وبشكل عام تميز الفخار الغسولي مع نهاية الألف الرابع بثلاثة أنواع هي:

- الفخار الخشن وهو أكثر الأنواع المكتشفة صنعت منه الجرار ذوات القاعدة المنبسطة والفوهات الواسعة، عديمة الرقبة، و قد زخرفت الفوهة أحيانا بواسطة حفر غائر.
- فخار رمادي مصقول، ظهرت منه أطباق وكؤوس ذات أرجل ثلاثية حوافها مزخرفة بزخارف بارزة.
- فخار أحمر مصقول، ظهرت منه أشكال عدّة كأواني الطبخ والأطباق والكؤوس ومواد مختلفة للاستعمالات اليومية.

أما الزخارف التي نفذت على الأواني الفخارية كانت عبارة عن نقاط محفورة أو أشرطة ملصقة على محيط الجرار ومضغوطة بأصابع اليد، كما نفذت زخارف هندسية بألوان حمراء، رسمت فوق سطح أبيض فاتح[441].

ومن الفنون الغسولية، الرسومات الجدراية التي نفذت على الجص (الفريسك)، والصناعة العظمية وخصوصا صناعة العاج المتطورة جدا منها التماثيل العاجية الكبيرة التيتمثل رجالاً أو نساءاً، وترمز إلى آلهة عبدتها تلك المجتمعات، وهناك الأواني الفخارية ذات الزخارف المختلفة، كالأفاعي ورؤوس الثيران التي ضمت هياكل عظمية لعدة أشخاص والتي أطلق عليها اسم مستودعات العظام (Osswary)، كما صنعوا تماثيل إنسانية وحيوانية من الحجر والطين. ودفن الغسوليون موتاهم تحت أرضيات البيوت كذلك دفنوا أطفالهم في جرار وضعت تحت أرضيات البيوت[442].

---

441 Gameron, M. 1981: p. 27- 30.

442 Gilead, I. 1988: p. 428- 429.

لقد تعمقت الزراعة والتدجين وظهرت قرى كبيرة فيها مقابر ضخمة ومعابد هامة، منها معابد جيلات في النقب وعين جدي وآراد ومجيدو وتليلات الغسول. وهي المرادف الحضاري للمعابد الرافدية في الفترة نفسها، لكنها لم تكن ثلاثية العناصر بل تألفت من صالة مركزية مستطيلة لها بعض الملحقات ويحيط بها سور ببوابة، كما حفر أحياناً في السور حوض ماء كبير، أما بيوتهم فكانت عبارة عن بيوت بني بعضها من اللبن الذي صنع باليد، وجفف تحت الشمس، وكانت أساسات هذه المساكن من الحجر الغشيم، أما السقوف فكانت من قطع الخشب وأرضياتها من الطين المدكوك والجص، وقد شملت معظم بيوت الموقع ساحات مسورة استخدمت لممارسة الأنشطة المنزلية اليومية، وقد عثر على حفر استخدمت لأغراض التخزين وحفظ الحبوب، حيث عثر في بعضها على بذور الزيتون والبلح وبقايا حبوب، كما عثر على آثار لمواقد الطبخ في الكثير من باحات البيوت، كذلك خصصت حفر للنفايات وأحواض المياه[443].

من أهم مكتشفات هذا الموقع، بعض القطع النحاسية التي اعتبرت مؤشراً مهماً على تعرف الغسوليين على هذا المعدن والمحاولات الأولى لصنع الأدوات النحاسية، لكن الحجر بقي هو المادة الأساسية والرائجة لصنع مختلف أدوات الصيد والزراعة والاستخدامات اليومية كصناعة الجلود وغير ذلك. وكان أهمها المكاشط المروحية والفؤوس والمخارز والنصال ورؤوس السهام وغيرها[444].

كل ما سبق يدلنا أن هذه حضارة متجانسة وصلت إلى مستوى كبير من التنظيم الاجتماعي.

خامسا: مواقع العصر الحجري النحاسي في حوضة دمشق:

عثر في حوضة دمشق على موقعين أساسيين من فترة العصر الحجري النحاسي، تميزا بمكتشفاتهما المهمة وهما تل البحارية وتل الخزامى.

1 – تل البحارية:

يقع تل البحارية Tell Al- Baharia في الغوطة الشرقية في حوضة دمشق، متموضع في منطقة سهلية تحيط بها الأراضي الزراعية، في قرية البحارية نفسها الواقعة على أرض منبسطة شمال مجرى نهر

[443] Alon, D. L. 1989: p. 177- 178.

[444] Gilead, I. 1988: p. 423- 424.

بردى، على بعد حوالي 45كم شمال مدينة دمشق. شكل التل متموج، ويبلغ ارتفاعه حوالي 5م عن منسوب الطريق العام، الذي يخترق التل باتجاه جنوب – شمال، ويقع على الجهة الغربية هضبة تابعة للتل تستعمل كمقبرة.

تبلغ مساحة الموقع 250م باتجاه شمال جنوب، وحوالي 350م باتجاه غرب شرق، يغطي مساحة 9 هكتار تقريباً، ويرتفع حوالي 617,6 م عن سطح البحر[445].

عمل في الموقع بعثة وطنية تابعة للمديرية العامة للآثار والمتاحف منذ عام 1996م حتى عام 2010م، بإدارة الباحثة غادة سليمان وتشارك بها دائرة آثار ريف دمشق لتدريب طلاب المعهد المتوسط للآثار والمتاحف على طرق العمل والتنقيب في المواقع الأثرية[446]. وقد شاركت في التنقيب ودراسة الدمى الطينية والأدوات الصوانية في الموقع في موسم عام 2010م.

كشفت أعمال التنقيب في تل البحارية عن وجود ثلاث سويات أثرية متتالية تاريخياً، تفصل فيما بينها الردميات والرماد، حيث دلت التنقيبات على طبقة حريق كبيرة تمتد في جميع أنحاء التل الأثرية، وهذا ما يؤكد بأن المستوطنة تعرضت لحريق هائل في منتصف الألف الخامس ق.م مما أدى لتخريبها، ودمار أجزاء كبيرة منها، هذا الحريق دفع بالسكان إلى هجر الموقع فترة من الزمن، وأُعيد الاستيطان فيه مع مطلع الألف الرابع ق.م (الشكل 69)[447].

حتى أن السكان قاموا في بعض الأماكن باستخدام بعض الأساسات المعمارية القديمة وأعادوا ترميمها، أو قاموا بعمليات الردم والتسوية في أماكن أخرى، والتي تبدو واضحة في طبقات التل وتتراوح سماكتها ما بين 35- 45 سم تقريباً[448].

ومن خلال أعمال التنقيب ودراسة المكتشفات الأثرية في الموقع تم تقسيمه إلى ثلاث مراحل استيطان رئيسية، هي من الأقدم إلى الأحدث:

---

[445] سليمان، غادة، 2003: ص 7- 8.

[446] سليمان، غادة، 1996: ص 1.

[447] سليمان، غادة، 2002: ص 14.

[448] Sulaiman, G. 2012: p. 113-114.

المرحلة الأولى: 1- 6000- 5200 ق.م.

2- 5200- 5000 ق.م.

المرحلة الثانية: 1- 5000- 4500 ق.م.

2- 4500- 4000 ق.م.

المرحلة الثالثة: 1- 4000- 3500 ق.م.

وبهذا نرى أن الاستيطان الأهم في الموقع كان في فترة العصر الحجري النحاسي[449].

2 - تل الخزامى:

تل الخزامى Tell Al Khazzami، هو تل صغير يقع على بعد 25كم إلى الجنوب الشرقي من دمشق، في المكان الذي أُنشئ فيه مطار دمشق الدولي الحالي، وعلى بعد 3 كم إلى الشمال الغربي من تل أسود، و40 كم إلى الشرق من تل الرماد. يبلغ قطر التل 150م، ولا يتجاوز ارتفاعه 2م فوق مستوى السهل المجاور[450].

نشأت فيه قرية زراعية في سهل غضاري ضمن منطقة مروية تسمح بزراعة الحبوب. أجرت فيه بعثة فرنسية بإدارة هنري دو كونتنسون De Contenson والسيد مصطفى مملوك من المديرية العامة للآثار والمتاحف، موسم تنقيبي واحد عام 1967، لم تتجاوز مدته عشرة أيام، لكنه أعطى نتائج أثرية مهمة جداً عن منطقة حوضة دمشق[451].

لم يُعثر في الموقع على أيه بقايا فحمية تساعدنا في تأريخه، لكن دراسة المكتشفات الأثرية فيه دلتنا أنه يعود إلى العصر الحجري النحاسي، أي إلى النصف الثاني من الألف الخامس ق.م، وهو يمثل

[449] سليمان، غادة ، 2007- 2008: ص 23.

[450] De Contenson, H. 1968: p. 58.

[451] دو كونتنسون، هنري، 1968: ص3.

مرحلة مهمة من التطور الثقافي في منطقة حوضة دمشق، حيث أنه يقع في مرحلة متوسطة بين نهاية عصر تل الرماد، وبداية مدن عصور البرونز القديم[452].

سادسا: العناصر الحضارية في العصر الحجري النحاسي في حوضة دمشق:

عثر في حوضة دمشق على موقعين مهمين من العصر الحجري النحاسي: هما تل البحارية وتل الخزامى، سنحاول دراسة عناصرهما الحضارية ومقارنتهما مع مواقع أخرى من هذا العصر، سنبدأ بالعمارة:

1 – العمارة:

تميز تل البحارية بأنه يحتوي على شواهد معمارية من فترات تاريخية مختلفة وبأنماط وأشكال متنوعة. أما تل الخزامى فقد شهد مرحلة عمرانية واحدة فقط، وكانت البيوت فيه مبنية على الأرض البكر وتحت الطبقة السطحية مباشرة، تتألف من عدة غرف مستطيلة الشكل، متلاصقة جدرانها مبنية من اللبن المقولب الأصفر والذي تبلغ أبعاد اللبنة الواحدة 35 X 25 X 10 سم تقريباً، وكانت هذه الجدران سميكة نوعاً ما، بحيث بلغت سماكتها بين 40 – 60 سم، لكن دون أن تزيد عن 60 سم، وعند تلاقي الجدران تدعم بملاط إضافي من أجل تقويتها وهي تقنية جديدة في المنطقة، كما عثر على حفر بعمق 20 سم، ومتواجدة بشكل متوازي من أجل التخزين[453]. وهذا البناء عثر على ما يشابهه في تل البحارية.

وجدت مواقد بيضوية متطاولة محفورة على شكل تجويف في الأرض البكر، كانت مملوءة بالرماد، ويبدو أنها استخدمت زمناً طويلاً ، ونلاحظ العثور على ما يشابهها في مواقع الحضارة الغسولية منها موقع أبو مطر[454].

أما في تل البحارية، أقدم البقايا المعمارية اكتشفت في الجهة الشمالية الغربية من الموقع، تعود إلى 6000ق.م تقريباً ، كانت عبارة عن مباني متهدمة تتألف من غرف مربعة وغرف مستطيلة، أساساتها

---

[452] دو كونتنسون، هنري، 1989: ص 34.

[453] De Contenson, H. 1968: p. 58.

[454] دو كونتنسون، هنري، 1968: ص3.

من اللبن المقولب، والأسقف كانت من الخشب والطين، بعض الغرف كانت أرضياتها من الكلس المحفوظ جيداً، والبعض الآخر أرضياتها من الطين المدكوك الذي تحول إلى آجر نتيجة الحريق الذي تعرض له الموقع، كما ذكرنا سابقاً (الشكل 70)، لم تحفظ الجدران بشكل جيد، عثر على جزء صغير منها تبين أنها حفرت في الطبقات الأقدم[455].

أما أوضح الأمثلة للبقايا المعمارية، يعود إلى المرحلة الممتدة بين 6000 و 5000 ق.م.

اكتشفت الأبنية الدائرية في هذه المرحلة، كانت جدرانها محفوظة بشكل جيد، مبنية من اللبن المقولب Bricks تبلغ أبعاد اللبنة الواحدة 30 X 90 سم، قطرها حوالي 2,5 م، وتبلغ سماكة الجدران 50 سم، كان بعض الأرضيات مغطى بالرماد وذلك نتيجة لتعرض الموقع للحريق، وبعضها الآخر مطلي بالكلس، احتوت بعض الأبنية على مداخل وصل عرضها ل 1,25 م وعضاداتها كانت مبنية باللبن المقولب أيضاً، وهذه الأبينة الدائرية معروفة باسم تولوس Tholos تعود إلى عصر حلف، وهذه البيوت ربما استخدمت للسكن، والأبنية الصغيرة منها للتخزين (الشكل 71)[456].

وعثر على حجيرات صغيرة لتخزين الحبوب والمؤن كانت أرضياتها من اللبن المقولب، وجدنا فيها أدوات دلتنا على المرحلة الزمنية التي تعود لها (5500 ق.م)في نفس الجهة من الموقع عُثر على أبنية متهدمة نوعاً ما تتألف من عدة غرف مستطيلة ومربعة (الشكل 72)، أرضياتها مبلطة باللبن المقولب، تبلغ أبعاد اللبنة الواحدة 30X20 سم، بعض الغرف تحتوي على مواقد وحفر لتخزين الحبوب كانت جدرانها من اللبن المقولب 40 X 60 سم[457]. ومن خلال دراسة هذه البقايا المعمارية ومقارنتها مع مواقع أخرى، نجد أن الأبنية الدائرية وحجيرات التخزين عثر على ما يشابهها في العديد من مواقع المشرق الشمالي أهمها الصبي الأبيض (الشكل 73) وتل عقاب وفي موقع أم قصير.

---

[455] سليمان، غادة، 2011: ص 16.

[456] Sulaiman, G. 2012: p. 112.

[457] سليمان، غادة، 2006: ص 13.

ومن المواقع المؤرخة على 5000 ق.م والتي شابهت عمارة تل البحارية، تل مشنقة الواقع جنوب الحسكة في شمال شرق سورية، وكانت بعض الأبنية تضم غرف مستطيلة وصغيرة وضيقة أحياناً (الشكل74)[458]. وفي المشرق الجنوبي موقع أبو حامد في فلسطين.

في المرحلة الثانية من الاستيطان المؤرخة 5000- 4000 ق.م نجد أن سكان القرية أقاموا في بيوت متعددة الغرف، وكانت هذه الغرف متعدة الوظائف عثر في بعضها على أفران وتنانير وبعضها استخدمت كمستودعات لتخزين المؤن. بالإضافة إلى العثور على غرفة مربعة الشكل شُيدت جدرانها من اللبن المقولب، وهي ذات جدران متلاصقة ومتعامدة، عثر في إحداها على فرن لصناعة الفخار، دلت عليها كميات الفخار الكثيفة (الشكل 75). هذه العمارة مشابهة للعمارة المكتشفة في تل الخزامى في غوطة دمشق لاسيما البيوت التي تحتوي على غرف مستطيلة وغرف مربعة أيضاً، ونجد المساكن في تل الخزامى تتألف من بيوت متلاصقة، وذلك مشابه لعمارة تل البحارية المؤرخة بين 5000- 4500 ق.م[459].

وكان الاكتشاف الأهم في تل البحارية من هذه المرحلة هو بناء مستطيل، بنُي بمرحلتين زمنيتين مختلفتين، دلت عليهما الأرضيات في البناء، ينتهي هذا البناء بقوسين يفصل بينهما أرضية من الطين، ومن المرجح أن هذا البناء شيد لممارسة الشعائر والطقوس الدينية، وذلك بسبب العثور على مجموعة كبيرة من الدمى الحيوانية والإنسانية، إضافة إلى البقايا الحيوانية المدفونة في أرضية هذا البناء، وهذه البقايا عبارة عن جمجمتين للثور المقدس الذي انتشرت عبادته في بلاد الشام (عقيدة تقديس الثور)، كذلك عثر في أحد جدران المبنى على قرون ثور (الشكل 76)، وضعت في أساسات المباني للحماية من الأخطار الطبيعية والبشرية[460]. وبذلك يكون أول بناء يحمل مواصفات معبد وجد في حوضة دمشق.

---

[458] بغدو، عبد المسيح، 2009: ص 298- 299.

[459] سليمان، غادة، 2008: ص 4-5.

[460] Sulaiman, G. 2012: p. 115- 116.

في المرحلة الثالثة والأخيرة، الممتدة ما بين 4000- 3500 ق.م هذه السوية قامت على أنقاض السوية الأقدم، حيث نجد طبقة ترميم واضحة في التوضع الطبقي وتبلغ سماكة هذه الطبقة 40 سم، وقد عثر فيها على ثلاثة غرف سكنية صغيرة ذات أرضيات مطلية بطبقة من الطين المدكوك[461].

وأخيراً نجد أن العمارة في تل البحارية كانت من فترات زمنية مختلفة، استمرت من 6000 – 3500 ق.م، أما عمارة تل الخزامى جاءت من فترة زمنية واحدة 5500 ق.م.

أعطى تل الخزامى نمط معماري واحد هو المخطط المستطيل، بينما تنوعت النماذج والأنماط المعمارية في تل البحارية بين الأبنية ذات المخططات المربعة أو المستطيلة أو الدائرية المعروفة باسم تولوس. استخدم اللبن المقولب فقط في البناء، وعثر على مواقد داخل بعض البيوت وحفر تخزين في الموقعان.

ومن أهم المكتشفات المعمارية، هو البناء المستطيل المشيد في تل البحارية لممارسة الطقوس والشعائر الدينية، والذي يعد أقدم وأول بناء ديني بمثابة معبد اكتشف في منطقة حوضة دمشق.

تشابهت بيوت تل الخزامى مع بيوت تل البحارية من حيث مخطط وتقنية البناء، والتي حملت نفس الصفات المميزة لعمارة العصر الحجري النحاسي.

2 – الأدوات الحجرية:

كانت نسبة الأدوات الحجرية المكتشفة في الموقعين قليلة نوعاً ما، أغلبها أدوات صوانية، كانت في تل البحارية عبارة عن نصال صوانية بعضها مكسور وبعضها غير مكتمل التصنيع، لونها أسود أو بني أو بيج، ومن خلال دراستها تبين أنها مصنعة بطريقة الضغط أو باستخدام المطرقة الخشبية، وأغلبها تعود إلى سوية الألف السادس والخامس ق.م (الشكل 77). كما عثر على عدد من المكاشط المنفذة على شظايا كبيرة تعود إلى فترة الألف الخامس ق.م وتبين أنها استخدمت غالباً لتحضير الجلود[462]. (الشكل 78)

[461] سليمان، غادة، 2003: ص 8.

[462] دراسة الأدوات الصوانية من قبل الطالبة، 2010.

ومن المكتشفات الهامة بعض الأدوات المصنعة من الأوبسيديان الأسود أو الأبيض منها نصلة أوبسيديان بيضاء مكسورة من الجهتين وتحمل على وجهها بداية ثقب دائري صغير، كمحاولة لثقب النصلة من الوجهين ربما[463]. (الشكل 79)

أما في تل الخزامى كانت الأدوات متجانسة، تتميز بغزارة النوى الهرمية الشكل من الصوان الأملس الرمادي أو البيج أو البني، كانت متعددة الوجوه وصغيرة حيث أننا لم نعثر على أيه نواة كبيرة الحجم، وتشكل حوالي 38% من نسبة الأدوات المكتشفة. (الشكل 80)

كما عثر على نصال عريضة ومشابهة لنصال النيوليت المتأخر في جبيل، ورؤوس سهام لا تزيد نسبتها عن 4,5 % وهي ذات ذيل قصير (الشكل 81)، وعثر على نسبة قليلة من المكاشط لا تتجاوز نسبتها 3 % ، كما عثر على نصلتان صغيرتان من الأوبسيديان[464].

كما عثر في الموقعين على أدوات حجرية بازلتية، مثل رحى سميكة ومسطحة ومدقة في تل الخزامى، وهي مشابهة لأخرى عثر عليها في موقع تليلات الغسول في فلسطين (الشكل 82)[465]. كما وجد في تل البحارية هاون من البازلت[466].

وأخيراً نجد أن تل البحارية وتل الخزامى تميزا بقلة عدد الأدوات الحجرية المكتشفة فيهما. أغلب الأدوات كانت من الصوان الأسود أو البيج أو البني أو الرمادي اللون. عثر فيهما على نسبة عالية من النصال الصوانية مما يدل على استمرار ممارسة الزراعة بكثافة في هذه المنطقة. بالمقابل نلاحظ انخفاض نسبة عدد رؤوس السهام مما يشير إلى تراجع دور الصيد، وانتشار تربية وتدجين الحيوانات في الموقعين.

وإن العثور على أدوات أوبسيديانية هو دليل على القيام بالتبادل التجاري واستيراده من بلاد الأناضول في الشمال، وبالتالي استمرار المنطقة بلعب دور الوسيط بين المشرق الشمالي والمشرق الجنوبي.

---

463 Sulaiman, G. 2012: p. 119.

464 De Contenson, H. 1968:p.59- 60.

465 De Contenson H. 1968: p. 58.

466 سليمان، غادة، 2008: ص 4- 5.

ومن خلال دراسة هذه الأدوات نلاحظ أنها متشابهة ما بين الموقعين، مع وجود خصوصية لكل موقع. وهي تعود إلى نهاية العصر الحجري الحديث المتأخر في جبيل والعصر الحجري النحاسي أي منتصف الألف الخامس وبداية الألف الرابع ق.م. ويمكننا مقارنة رؤوس السهام والنصال مع موقع جبيل ورأس شمرة على الساحل المتوسطي.

3 – الأدوات العظمية:

كانت الأدوات العظمية نادرة وقليلة، عثر في تل الخزامى على ملعقتين مسطحتين من العظم فقط[467]. وفي تل البحارية عثر جزء من سوار من العظم وعدد من المخارز والإبر وسكاكين (الشكل 83)[468].

4 – الفخار:

تعددت نماذج الآنية الفخارية وألوانها في هذه المنطقة، وكان لها أهمية كبيرة في تأريخ طبقات المواقع ومقارنتها مع مواقع أخرى معاصرة. تميز تل البحارية بتنوع فخاره مما يدل على وجود عدة مراحل لإنتاج الفخار، في المرحلة الأبكر والمؤرخة على الألف السادس ق.م، كانت الكسر الفخارية بدائية الصنع لونها برتقالي مائل إلى الأحمر، ذات سطح خشن وتحتوي على شوائب، وعلى سطحها الخارجي آثار أصابع الصانع. كانت متنوعة وعثر على بعض الكسر تحمل زخارف تمثل خطوط متوازية غائرة صغيرة منفذة بشكل تدريجي ومائل حيث تبدأ من الشفة وتمتد حتى عنق الآنية[469].

وهناك نموذج آخر يعود للنصف الثاني من الألف الخامس ق.م، وهو عبارة عن كسر فخارية متعددة منها شفاه وقواعد، لونها إما أسود مصقول، عجينتها نقية يدخل فيها المواد النباتية، وتتراوح سماكتها بين 1 – 1,5 سم، أو أحمر مصقول وأملس، يدخل التبن والمواد النباتية في تركيب العجينة، وتبلغ سماكة الكسرة 1سم، وعليها زخارف مختلفة غائرة متدرجة على شكل خطوط بشكل مائل من

---

467 دو كنتنسون، هنري، 1989: ص 34.

468 سليمان، غادة، 2005: ص 6.

469 سليمان، غادة، 2012: ص 20.

الأعلى إلى الأسفل، كما عثر في نفس الفترة على فخار تم تلوينه بعد الانتهاء من عملية الشي فنلاحظ لونه برتقالي مائل إلى الأحمر[470]. (الشكل 84)

ومن الأنواع المهمة أيضاً، فخار لونه أسود مصقول، تبلغ سماكته أقل من 0,5سم، وأحيانا مزخرف بحزوز غائرة دقيقة، وعثر على كسر فخارية لونها أسود على سطحها رسومات بلون بيج، وهي مشابهة لفخار حلف، مما يدل على تأثيرات مباشرة أتت من الشمال وذلك عبر العلاقات التجارية والثقافية. وهناك كسر لأواني فخارية مصنعة بالدولاب لونها أسود والسطح الداخلي والقلب رمادي اللون، عجينتها تحتوي على القليل من الشوائب وتبلغ سماكتها أقل من 0,5سم وهي تعود إلى فترة زمنية لاحقة (عصر عبيد)[471].

أما النموذج الأخير فكان الفخار الذي يعود إلى فترة أوروك، لونه الخارجي بيج مطلي والعجينة لونها برتقالي فيها شوائب وكلس، أما السطح الداخلي لونه برتقالي وخشن، بعضه مزخرف بطريقة التحزيز الغائر، ويوجد زخارف هندسية ونباتية الشكل. من أهم اكتشافات هذه الفترة الآنية الناقوسية (الشكل 85) التي تشابه آنية تل براك وتل حبوبة الكبيرة (تل قناص)، وكانت الوحيدة المكتشفة من هذه المنطقة وهي تدلنا على وجود تأثيرات ثقافية واضحة من المناطق الشمالية إضافة إلى تبادل تجاري واسع بينهما. وهي عبارة عن آنية تأخذ شكل طاسات مخروطية قاعدتها أضيق من فوهتها المقطوعة الحواف، وبشكل مائل نحو الخارج، بأحجام واحدة تقريباً، ويعتقد أنها استخدمت كمكيال للحبوب، وإذ صح هذا الاستنتاج فإننا أمام نظام اقتصادي مركزي موحد في التل. وعثر على جرة كبيرة وجرار جنائزية كان بداخلها هياكل عظمية[472]. (الشكل 86)

ومن أهم أشكال الأواني الفخارية المكتشفة في التل أيضاً: الجرار والطاسات والأكواب والصحون الصغيرة الحجم وربما استخدمت في ممارسات جنائزية. تعرفنا عليها بواسطة الشفاه، وأحياناً عثرنا على

---

[470] سليمان، غادة، 2008: ص 15.

[471] سليمان، غادة، 2001: ص 7.

[472] سليمان، غادة، 2003: ص 8- 9.

شفاه لها ثقوب ربما صنعت للتعليق على الجدران في البيوت. وكذلك القواعد كانت متنوعة، بعضها دائري وبعضها منفرج، ومنها ما يعود لأواني صغيرة الحجم[473].

أما بالنسبة للعُرى فكانت أشكالها متعددة أيضاً بعضها مثقوب وبعضها عُرى تزينية صغيرة أو كبيرة،منها ما كان يلصق على الآنية أو يتم تصنيعه مع الآنية، هذه العُرى تشبه عيون الإنسان أحياناً وأحياناً أخرى تشبه أحد أنواع الطيور ويعود تاريخ هذا النموذج إلى منتصف الألف الخامس ق.م تقريباً (الشكل 87). وكما لاحظنا تنوعت الزخارف في التل سواء كان بواسطة الحز أو الضغط أو تشكيل دوائر غائرة على سطح الآنية.

ومن الفخار أيضاً عثر على قرن حيواني وسدادة من الفخار (الشكل 88) وعدد من المغازل شبه الدائرية والبرتقالية اللون[474].

أما الموقع الثاني تل الخزامى، فكان الفخار هو أهم مكتشفاته عثر فيه على ما يقارب 10 آلاف كسرة فخارية، وهي كبيرة نوعاً ما نظراً للفترة الاستيطانية القصيرة فيه. ساد فيه نوع عجينة ولون واحد ولكن بأشكال متعددة، فكان فخار فاتح اللون برتقالي مائل إلى الأحمر، ومصنوع باليد، أهم أشكاله الصحون والجرار ذات الرقبة الاسطوانية وغيرها،وأما الشفاه فكانت رقيقة ومائلة قليلاً نحو الداخل أو سميكة ومائلة نحو الخارج، كما اكتشف عدة آنية ذات أشكال حيوانية منها إناء بشكل بقرة له أرجل وأحيانا ذيل ورأس (الشكل 89)، وهي مشابهة لأخرى عثر عليها في تل بقرص[475].

وعثر على العديد من العُرى منها ثقوبها واسعة، أما بالنسبة للزخرفة فكانت إما نافرة أفقية أو شاقولية وتمتد على الشفة أو أسفل الرقبة أو على بطن الإناء، أو غائرة عبارة عن أشكال هلالية أو حزوز (الشكل 90)[476].

وبذلك نجد أن الأدلة الفخارية من تل الخزامى وتل البحارية مهمةجداً ، وأعدادها كثيفة نوعاً ما. ساد في تل الخزامى نوع واحد من الفخار هو البرتقالي المائل إلى الأحمر، بينما أعطى تل البحارية نماذج

---

473 سليمان، غادة، 2004: ص 6.

474 سليمان، غادة، 2002: ص 14.

475 دو كونتنسون، هنري، 1968: ص 187- 188.

476 De Contenson, H. 1968: p. 59.

فخارية متعددة استمرت طوال فترة الاستيطان فيه (6000- 3000 ق.م)، دلت على تطور تقنيات تصنيع الفخار في الموقع حيث كان في البداية خشن وبدائي وسميك، لكن تطور مع الوقت وأصبح مصقول وبسماكة أقل، استخدم في البداية فخار برتقالي اللون مائل إلى الأحمر، ومن ثم أصبح أسود أو أحمر مصقول معاصر لفخار حلف، إلى أن عثر على فخار مصنوع بالدولاب، وكانت الدلائل الأولى على استخدام الدولاب البطيء في المنطقة. ومن ثم ظهر فخار أوروك البيج والمطلي باللون البرتقالي.

تنوعت الزخارف على الآنية الفخارية لكن أغلبها كانت عبارة عن خطوط غائرة أفقية أو شاقولية في الموقعين، وتميز تل الخزامى بآنية عليها زخارف هلالية أو حزوز مشابهة للثقافة الغسولية في المشرق الجنوبي، ولم يعثر على مثيلاتها في تل البحارية. ومع حضارة أوروك بدأت تظهر زخارف نباتية وهندسية على الفخار.

أغلب الآنية في الموقعين كانت عبارة عن طاسات وصحون وجرار وأكواب، ولكن أهمها يعد الآنية الناقوسية، وهي الوحيدة المكتشفة من هذه المنطقة و تعود لفترة أوروك.

وأخيراً نلاحظ وجود تشابه كبير بين فخار تل الخزامى وتل البحارية من حيث الزخرفة والأشكال، وهو فخار مماثل لفخار العمق D وموقع رأس الشمرة C III وجبيل في المشرق الشمالي، وفخار أريحا VIII ومواقع الثقافة الغسولية في المشرق الجنوبي مثل تليلات الغسول وبئر السبع.

كما كانت البقايا الفخارية من البحارية مهمة جداً، فيها تأثيرات من المناطق الشمالية والجنوبية، مثل الآنية المشابهة لفخار حلف، أو الآنية المصقولة المصنعة بتقنية عالية الجودة والمعروفة باسم فخار العمق.

5 – الفنون:

تعددت الفنون في تل البحارية وكان أهمها الدمى الطينية، التي تنوعت أشكال وطرق ومواد تصنيعها، بلغ عددها في الموقع حوالي 160 دمية أغلبها كانت غير كاملة، وهي إما إنسانية أو حيوانية، مصنعة من الطين المجفف أو الطين المشوي جيداً، عثر على عدد قليل منها من الحجر، لونها أسود أو

رمادي وبعضها مطلي باللون الأحمر بعد الشي، ومنها ما كان محروق وذلك نتيجة تعرض الموقع لحريق كما ذكرنا سابقاً، عُثر عليها في جميع مراحل استيطان التل (6000 – 3500 ق.م)[477].

أ- **الدمى الإنسانية:**

أغلبها كانت دمى أنثوية تدل عليها مناطق الخصب البارزة كالثديين والأرداف وغيرها، وعدد قليل منها كانت دمى ذكرية يوجد على أحد جوانبها ثقوب صغيرة تشير إلى أنها ذكوريتها (الشكل 91)، أو يدل عليها العضو الذكري [478].

إن أغلب الدمى التي عثر عليها مختزلة وغير كاملة ولكن هناك بعض النماذج القليلة الكاملة والمميزة منها:

- دمية أنثوية مصنوعة من الطين المجفف، الجسم مختزل أما الرأس عليه قطع طينية صغيرة ملصقة وتشبه التاج، العيون مثل حبة القهوة، والأنف بارز.(الشكل 92)
- ودمية من الطين المشوي ذات رأس متطاول وكأنها تضع قبعة على الرأس، العيون تشبه حبة القهوة والأنف بارز والشفاه واضحة[479]. (الشكل 93)
ويمكننا مقارنتها مع دمى تل الصبي الأبيض في الجزيرة السورية.
- ومن الدمى المهمة دمية أنثوية من الطين رأسها مفقود، تمثل الربة الأم وتظهر عليها العناصر الأنثوية بوضوح كالأثداء، تتميز بأنها ترتدي ثوب مزخرف يظهر من الجهة الأمامية والخلفية، وهذه الزخارف من سمات الثقافة الحلفية[480]. (الشكل 94)

ب- **الدمى الحيوانية:**

أغلبها تعود لحيوانات رباعية القوائم، وبشكل خاص حيواني الثور أو الغزال، بعضها كان بوضعية الجلوس أو الوقوف، وتظهر قوائمها الخلفية والأمامية أو أحداهما، كما نجد على بعضها القرون

---

[477] سليمان، غادة، 2005: ص 7.
[478] دراسة للدمى من قبل الطالبة، 2010.
[479] سليمان، غادة ، 2007- 2008: ص 26- 27.
[480] سليمان، غادة، 2010: ص 25.

أو الذيل، ومن اللقى الهامة أيضاً في تل البحارية، رؤوس الطيور المصنعة من الطين المجفف أو المشوي، وربما كانت تستخدم كتمائم أو حجابات في الألف السادس ق.م، كما وجدنا في الموقع عدد من قرون الثور على أرضيات بعض الغرف أو في أساسات الجدران[481]. (الشكل 95)

أما في تل الخزامى فقد عثر أيضاً على العديد من الدمى الحيوانية والإنسانية المشابهة لدمى تل البحارية، أغلبها غير مكتملة التصنيع باستثناء القليل منها، والدمى الحيوانية تمثل الثور أو الغزال أيضا[482].

هذه الدمى تدلنا على استمرار عبادة الثور و تقديس الربة الأم في منطقة حوضة دمشق فكانت هذه المعتقدات منتشرة في كامل منطقة الشرق القديم ودليل على قيام حضارة متكاملة مشابهة للشمال والجنوب.

ومن اللقى المهمة المكتشفة أيضاً في الموقعين الحصيات والكرات الطينية Token تباينت في أعدادها وأشكالها (كروية، مخروطية، اسطوانية، هرمية) (الشكل 96)، التي استخدمت غالباً في العد والحصي والتي يعود تاريخها إلى 5000 ق.م. وهي دليل على قيام تجارة مهمة في الموقع، كما استخدمت الرموز الحسابية لتحديد أعداد معينة من السلع بأرقام ورموز خاصة. وهذا يعني قيام نظام اقتصاددي في الموقع، وكانت مشابهة لكرات موقع تل الصبي الأبيض في المشرق الشمالي.

ومن أهم الاكتشافات في تل البحارية أيضاً طبعة ختم مسطح مصنوع من الطين، مكسور، في وسطه يوجد دائرة على أطرافها أشعة شمس، وعلى جوانبها أيضاً دوائر غير كاملة، وهو يعود إلى نهاية الألف الخامس ق.م (الشمل 97)[483].

ت- الحلي:

كانت الحلي نادرة في موقعي العصر الحجري النحاسي في حوضة دمشق، تمثلت بعدد من القلادات الحجرية ذات ثقب في الوسط للتعليق، (الشكل 98) إضافة إلى مجموعة من الأصداف

---

[481] دراسة للدمى عام 2010.

[482] دو كونتنسون، هنري، 1968: ص 186.

[483] سليمان، غادة، 2012: ص 20.

الحلزونية أو الدائرية الشكل (الشكل 99)، والتي استخدمت كحلي وأحيانا كمرفقات جنائزية في تل البحارية[484]. وعثر على عقد مستدير من الحجر الأخضر في تل الخزامى[485].

وبذلك نجد أنه على الرغم من قلة عدد البقايا الفنية المكتشفة من موقعي العصر الحجري النحاسي في حوضة دمشق، إلا أنها تنوعت وتعددت أشكالها ما بين أختام وكرات طينية وحلي مختلفة ودمى حيوانية وإنسانية، بعضها مكتمل ونموذجي ويحمل الكثير من صفات هذا العصر، والتي دلتنا على استمرار عقيدتي تقديس الثور والإلهة الأم المعروفة من العصور السابقة.

تشابهت هذه المكتشفات فيما بينها في الموقعين، وتمكنا من مقارنتها بشكل كبير مع مكتشفات تل الصبي الأبيض في المشرق الشمالي، بشكل خاص الدمى الإنسانية والكرات الطينية.

6 – ممارسات الدفن:

لم يعثر في موقع تل الخزامى على أية بقايا عظمية إنسانية وذلك ربما لصغر المساحة المنقبة وقلة أعمال التنقيب فيه[486]. أما في تل البحارية فقد تعددت أساليب الدفن طوال فترة الاستيطان فيه.

في سوية الألف السادس ق.م تم الكشف عن مقبرة فيها عدد من الهياكل العظمية تم دفنها بوضعيات مختلفة أهمها وضعية القرفصاء، حيث توضع الأيدي والأرجل فوق بعضها والوجه متجه باتجاهات مختلفة للغرب أو بوضعية الجنين حيث تكون الركبتان واليدان مثنيتان، أما الرأس فقد وضع على قطعة من اللبن، ربما كانت بمثابة الوسادة، وأحيطت بعض الهياكل بطبقة من الطين، وغطيت بعض القبور بجرار وكسر فخارية، ويلاحظ وجود نصال صوانية على بعض الجماجم وهذا ربما يدل على عقيدة معينة أو استخدمت كمرفقات جنائزية[487].

استمرت في السوية الثانية من التل والمؤرخة للألف الخامس ق.م عملية الدفن بوضعية القرفصاء، ولكن بجانب جدران الغرف السكنية، ووجد في أحد القبور هيكلين عظميين متجاورين لهما نفس

---

[484] سليمان، غادة، 2006: ص 13.

[485] دو كونتنسون، هنري، 1968: ص 58- 59.

[486] De Contenson, H. 1968: p. 58.

[487] حمود، محمود، 2010: ص 93- 94.

الوضعية ولكن الوجه كان نحو الشمال في الأول ونحو الجنوب في الثاني (الشكل 100)، كما عثر على هيكل عظمي لطفل صغير مدفون بوضعية الجنين.

في الألف الرابع ق.م استمرت عملية الدفن بوضعية الجنين، حيث على مجموعة من الهياكل التي تم دفنها تحت أرضيات السكن أو بالقرب من الجدران، كما في السويات السابقة. وكذلك تم العثور على بقايا هيكل عظمي حيواني (ربما خنزير) متفتت كثيراً، يتوضع بالقرب من هيكل عظمي إنساني تم دفنه تحت مصطبة محاذية لفرن يستخدم لشي الفخار، ركبتاه مثنيتان ويداه مضمومتان فوق بعضهما والوجه موجه نحو الجنوب وموضوع على وسادة من الطين[488].

وفي هذه الفترة ظهر أسلوب جديد في الدفن لم يكن معروف من قبل في منطقة حوضة دمشق، وهو استخدام الجرار الفخارية للدفن (الشكل 101)، إذ عثرنا على جرار مدفونة على عمق 2م من السطح، تحتوي على هياكل عظمية أغلبها لأطفال، وهي جرار متطاولة ذات فوهات واسعة، وقد دفن الطفل فيها بوضعية الجنين، كما وجد بقايا هيكل عظمي ضمن جرة جنائزية مغلقة بغطاء من الفخار، وعثر في بعض الجرار على بذار قمح ربما كنوع من المرفقات الجنائزية[489].

وعثر في أحد الجرار على هيكل عظمي محروق بشكل كبير، فهل هذا دليل على ممارسة عادة حرق الجثث التي كانت معروفة في بعض مواقع هذا العصر، ولكن يبقى الاحتمال الأرجح أنه محروق نتيجة تعرض هذه الطبقة في الموقع لحريق مدمر، كما ذكرنا سابقاً.

وبعد المقارنة نجد أن عادة دفن الموتى بالجرار، كانت منشرة في مواقع الثقافة الغسولية في المشرق الجنوبي مثل موقع تليلات الغسول وموقع شقيم في فلسطين[490].

كما عثر في الموقع خصوصاً في مراحل الاستيطان الأولى على جماجم إنسانية مفصولة عن الجسد ومدفونة بشكل مستقل تحت أرضيات البيوت، مما يدل على استمرار عادة فصل الجماجم عن الهياكل (الشكل 102)، لكن دون أن تتعرض لأي نوع من المعالجة.وهذه العادة عُرفت من العصر السابق في

[488] سليمان، غادة، 2011: ص 11- 12.
[489] سليمان، غادة، 2001: ص 6- 7.
[490] حمود، محمود، 2010: ص 97.

موقعي تل أسود وتل الرماد في حوضة دمشق، وتم الاستمرار بممارستها في عدد من مواقع العصر الحجري النحاسي أيضا مثل تل الصبي الأبيض وتل مشنقة[491].

ومن مميزات ممارسات الدفن تل البحارية، قيام الإنسان بدفن الهياكل أو الجماجم الحيوانية بشكل منفصل أو مجاور للهياكل البشرية. حيث عثر على جمجمة حيوانية يعتقد أنها تعود إلى خنزير مدفونة على أرضية من اللبن الخشن، وكانت محاطة بقطع من الفخار، وجمجمة أخرى دفنت في حفرة مليئة بالرماد. كما تم الكشف عن قرن لماعز كان قد دفن بعناية بالقرب من هيكل عظمي يعود لطفل. ومن سوية الألف الخامس ق.م وجدت جمجمة حيوانية أيضاً (خنزير) تم دفنها تحت أرضيات إحدى الغرف المتهدمة، وفي السوية الأحدث عثر على بقايا هيكل عظمي حيواني (ربما كلب) متفتت يتوضع بالقرب من هيكل إنسان دفن تحت مصطبة الفرن[492]. (الشكل 103)

وكان من أهم المرفقات الجنائزية في الموقع أدوات صوانية وعدد من الكرات الطينية والكسر الفخارية وأحياناً خرز من الطين وغيرها[493].

ويدلنا ما سبق أنه عثر على قبور في مختلف مراحل الاستيطان في تل البحارية، كان الدفن فرديا في الغالب، ودفنوا موتاهم تحت أرضيات السكن وأحياناً بالقرب من الجدران، بالتالي الدفن تم في المنطقة السكنية وليس خارجها.

اختلفت الوضعيات بين القرفصاء أو الجنين، ولم تأخذ الهياكل جهة محددة في الدفن. وقد أولى سكان البحارية الموتى عناية خاصة واهتموا بدفنهم، فوضعوا في بعض القبور وسادات تحت رؤوسهم من الطين أو اللبن. وفي الألف الرابع قاموا بدفن الهياكل العظمية في جرار فخارية وكانت المرة الأولى التي تُمارس فيها هذه العادة. كما زودوا القبور بمرفقات جنائزية كثيفة كالأدوات الصوانية والحلي وأحيانا بذار القمح ليستخدموها عند الحاجة في الحياة الأخرى. ومارسوا عادة فصل الجماجم عن الهياكل ودفنها بشكل مستقل لكن دون معالجة.

---

[491] حمود، محمود، 2010: ص 93- 94.

[492] سليمان، غادة، 2005: ص7- 8.

[493] سليمان، غادة، 2002: ص 3- 4.

كما تمتع إنسان البحارية بحس إنساني رفيع، فنلاحظ أنهم اعتنوا أيضاً بحيواناتهم وقاموا بدفنها، حيث عثر على عدد لا بأس به من الهياكل أو الجماجم الحيوانية المدفونة بجانب الهياكل البشرية أو بشكل مستقل. ولم يدفنوا نوع محدد فقط من الحيوانات لكن الحيوان الشائع كان الخنزير.

وفي محاولة لتفسير هذا الشيء نرى أنه ربما ينم عن شعور مركب انتاب إنسان البحارية تجاه هذه الحيوانات، وقد لا يتوقف الموضوع عند قداسة تلك الحيوانات وعبادتها، بل ربما تعدى ذلك إلى أسباب عاطفية لها علاقة بالرأفة بهذه الحيوانات أو أسباب طوطمية تجلب للميت حياة مريحة في أخرته، أو أسباب أخرى تحتاج للمزيد من التعمق والدراسة.

كانت ممارسات الدفن في تل البحارية متنوعة ومشابهة لطرق الدفن في أغلب مواقع العصر الحجري النحاسي، الصبي الأبيض وتل مشنقة في المشرق الشمالي، وتليلات الغسول في المشرق الجنوبي.

خاتمة الفصل:

وأخيراً نجد أنه مع انتهاء العصر الحجري الحديث دخلت حوضة دمشق مرحلة العصر الحجري النحاسي، حيث سكنت هذه المنطقة فيها بلا انقطاع، وتمثلت هذه المرحلة من خلال موقعي تل البحارية وتل الخزامي.

كانا موقعان متكاملين، عبارة عن مستوطنتين زراعيتين، انتشرت فيهما زراعة الحبوب والبقول والزيتون وبعض الأشجار المثمرة، وتربية الحيوانات المدجنة كالغنم والخنزير البري والماعز والبقر وغيرها. كما قدما معطيات حضارية مميزة على جميع الأصعدة سواء من الناحية المعمارية أو الفنية أو الروحية أو الاقتصادية، وكانت الأسس التي قامت عليها حضارات المدن الأولى اللاحقة.

لقد كان مركز الثقل الحضاري في العصر الحجري النحاسي في المناطق الشمالية، فكانت وتيرة التطور فيها أسرع من الجنوب، وبينما انتشرت الثقافات الحلفية والعبيدية والأوروكية في الشمال. ظهرت الحضارة الغسولية في الجنوب وكانت مواقع حوضة دمشق وبشكل خاص تل الخزامى تتبع الحضارة الغسولية كما المناطق الجنوبية.

تميز تل الخزامى بالتشابه الكبير بينه وبين مواقع الثقافة الغسولية، سواء من حيث الفخار ذو الطلاء الأحمر والآذان الحلقية والذي ظهر لأول مرة في شمال سورية في تل كردو ورأس شمرة، ثم انتقل إلى جبيل ووادي الأردن، أو من حيث تقنيات الصناعات الحجرية وطريقة البناء من ناحية شكل الأبنية ومادة بنائها، إن ثقافة تل الخزامى ثقافة مهمة لمرحلة متوسطة بين نهاية مرحلة تل الرماد وبداية عصر البرونز القديم عصر التمدن في منطقة حوضة دمشق، ويعتبر مرحلة مهمة في التطور الحضاري في سورية الجنوبية، كما قدمت أشكال البناء في هذا الموقع بعض الأضواء عن معاودة السكن في المنطقة خلال النصف الثاني من الألف الخامس ق.م.

وبالرغم من انتشار الثقافة الغسولية في الحوضة لاحظنا في موقع تل البحارية وجود تأثيرات واضحة من الثقافة الحلفية. ظهرت من عدة اكتشافات سواء في العمارة حيث ظهرت بيوت تولوس الدائرية الشكل التي انتشرت في عدة مواقع حلفية، أو لاحظناها في الدمى الطينية الأنثوية التي ارتدت ثوباً وكان هذا الثوب من مميزات الدمى الحلفية. إضافة إلى وجود آنية فخارية عليها زخارف حلفية أو أختام مسطحة ذات أشكال هندسية. كل المكتشفات السابقة تدل على وجود تأثيرات حلفية مميزة في الموقع، فهل امتدت الثقافة الحلفية إلى مناطق حوضة دمشق؟ ونحن نعلم أنها وصلت حتى منطقة العمق فقط. أو أنها ربما وصلت إلى الحوضة عن طريق طرق التجارة والتبادل بين المنطقتين؟ أو أنها كانت مستوردة من المناطق الشمالية؟ ومن المؤكد أن الأعمال المستقبلية في المنطقة ستوضح لنا هذا الغموض بشكل أكبر.

ومن مميزات تل البحارية أنه يمثل مرحلة استيطانية طويلة استمرت من الألف السادس حتى الألف الرابع ق.م، ومن المرجح أنه يعود أيضاً إلى مراحل زمنية أقدم ويحتوي سويات من العصر الحجري الحديث، حيث أنه لم يتم الوصول إلى الأرض البكر في الموقع خلال الأعمال التنقيبية.

وبذلك نجد أنه موقع واعد ستعطي تنقيباته في المستقبل نتائج مهمة، ربما تكشف عن استيطان مستمر من العصر الحجري الحديث حتى نهاية عصور ما قبل التاريخ. أما تل الخزامي يمثل مرحلة استيطانية واحدة في العصر الحجري النحاسي.

إن الدراسات الأولية للبقايا المعمارية والفنية والحجرية والفخارية وغيرها تعطينا معلومات عن التطور الكبير للإنسان القديم ولاسيما من الناحية المعمارية. حيث نجد عدة نماذج لبناء بيوت السكن في الموقع وهذا ما لا نجده في مواقع حوضة دمشق.

ونجد أن التطور المعماري انعكس على تطور صناعة الأواني الفخارية، حيث نجد تطوراً في هذه الصناعة من الناحية التقنية (في صنع وتلوين وتنفيذ الأواني الفخارية سيما الأواني التي نفذت عليها زخارف غائرة نافرة)، وكذلك في طريقة تنفيذ الزخارف، والنماذج المتعددة للأواني الفخارية سواء الصحون المقعرة أو الزبادي أو الأكواب الصغيرة التي كانت تستخدم في المعابد.

وعثر على العديد من الآنية الناقوسية التي استخدمت كمكيال للحبوب، والكرات الطينية التي استخدمت للعد أو لتحديد أعداد معينة من السلع بأرقام ورموز خاصة. كل هذا يعني وجود نظام قديم ومتطور للحساب والإدارة، بالتالي دليل أننا أمام تجارة مهمة ونظام اقتصادي متطور في الموقع.

ومن اللقى الهامة الأدوات الصوانية المصنوعة من الأوبسيديان المستورد، الذي يؤكد وجود علاقات تجارية، كانت تتم عبر الطرق التي تصل ما بين الشمال والجنوب. وبذلك كما في العصر السابق بقيت منطقة دمشق تلعب دور الوسيط للتبادل التجاري بين المنطقتين.

وبالتالي نستنتج أن الموقعين مشابهين للثقافات الجنوبية مع وجود تأثيرات كبيرة من الحضارات الشمالية في تل البحارية، وهو غير الفكرة التي كانت تقول بانعزال المناطق الجنوبية عن الركب الحضاري في العصر الحجري النحاسي، لكن قلة أعمال التنقيب والأبحاث الأثرية من جهة، واهتمام الباحثين بالمواقع الشمالية بشكل أكبر جعلتها غامضة.

الخاتمة

شهدت منطقة حوضة دمشق تحولات مهمة على درب التطور الحضاري في العصر الحجري الحديث والعصر الحجري النحاسي، لتشهد على ذلك آثارها المكتشفة في مختلف مواقعها الأثرية.

لقد وفرت الطبيعة والبيئة الغنية عوامل الاستقرار لمعيشة الإنسان منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ، فنشأ فيها أقدم أنواع الاستيطان البشري المعروف، وظهرت فيها أقدم قرى المزارعين الأوائل وصولاً نحو تحقيق أعظم الانجازات الحضارية.

وفي الحديث عن التسلسل الحضاري لثقافات ما قبل التاريخ المدروسة في البحث، نجد أن الحوضة قدمت وثائق استثنائية امتدت من الفترة النطوفية حتى نهاية العصر الحجري النحاسي، مروراً بالعصر الحجري الحديث. استقر السكان وسيطروا من خلال الزراعة وتدجين الحيوانات، وسكنوا في القرى التي انتظمت شيئاً فشيئاً، وقد أتاح هذا التطور الاجتماعي والفني والتقني والاقتصادي لهؤلاء الناس تحولاً جديداً نحو الطابع المدني، فما هي المستوطنات التي كانت في الحوضة خلال هذه المرحلة الطويلة وما الدور الذي لعبته في تلك الفترة التاريخية الطويلة؟

في الفترة النطوفية (12000- 10000 ق.م) استوطن السكان في الملجأ الثالث من يبرود، وكذلك عثر على عدة مواقع في ملاحة جيرود والتي كانت قرب بحيرة تحولت فيما بعد إلى سبخة، وكذلك في قرنة المغارة وموقعي قوس قزح وباز جبعدين وهما الأكثر توثيقاً. كانت هذه المستوطنات متجاورة ومتعاصرة، وأغلب أدواتها متشابهة فيما بينها ونلاحظ أنها كلها تتمركز في سلسلة جبال القلمون.

في فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ PPNA (10000- 8700 ق.م) ساد اعتقاد طويل أن المنطقة كانت مسكونة في تل أسود، وبوجود ثقافة معاصرة لثقافات هذا العصر (المريبطية – السلطانية) هي الثقافة الأسودية، لكن معاودة التنقيب في الموقع ودراسة الأدوات الصوانية عام 2001، قادت إلى استبعاد وجود الأسودي. بذلك نحن لا نملك أي موقع من فترة الـ PPNA في حوضة دمشق، وهذا لا يعني غياب هذه الفترة عن الحوضة بشكل كامل، فهناك إشارات تدل على عبور السكان منها كما في موقعي باز جبعدين وقرنة المغارة، آخذين بالحسبان أيضاً المواقع اللبنانية

المجاورة (موقع النشاريني)، مما يدل أنهم ترددوا على المنطقة بشكل متكرر لكنهم لم يستقروا فيها. هذا وإن التنقيبات المستقبلية ستكون كفيلة بكشف هذا الغموض لنا.

ابتداءً من فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب PPNB (8700- 7000 ق.م) انتقل الناس للسكن في القرب من البحيرات (بحيرة العتيبة)، واستقروا وشكّلوا قراهم الزراعية. وكانت أولى هذه القرى، تل أسود التي استمر الاستيطان فيه خلال كل فترة الـ PPNB بمراحلها الثلاثة (القديم – الوسيط – الحديث)، ويمكننا القول: إنه الموقع الأفضل دراسةً وتوثيقاً في الحوضة.

تأسس في نهاية الـ PPNB الوسيط وبداية الـ PPNB الحديث، موقع تل الغريفة بالقرب من بحيرة العتيبة أيضاً، وتعاصر مع تل أسود، استمر حتى فترة الـ PPNB الحديث الذي ظهر فيه موقعان مهمان تل الرماد وتل عطنة، وبذلك نجد أنها الفترة الأكثر ازدهاراً في الحوضة، حيث أنه تعايشت فيها أربعة مواقع مع بعضها، تأثرت فيما بينها وتشابهت في مكتشفاتها، لكن بقي لكل موقع مميزات خاصة به.

مع انتهاء العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب PPNB ودخول حوضة دمشق بالعصر الحجري الحديث الفخاري PN (7000- 5500ق.م)، اختفت المواقع السابقة وبقي الاستيطان مستمراً فقط في موقع تل الرماد III، فكان الظهور الأول للفخار في هذه المنطقة فيه. وهناك اكتشافات حديثة من موقع تل أسود تدل أنه استمر حتى هذه المرحلة، لكنها حتى الآن بسيطة وغير واضحة ولا يمكننا الاعتماد عليها. ومع نهاية العصر الحجري الحديث الفخاري تتلاشى كل المواقع السابقة، لا نعلم الأسباب ولكن من المحتمل حدوث تغير في الطقس بحيث أصبح أكثر جفافاً، مما دفعهم للانتقال لحياة الرعي وعدم الاستقرار.

مع ذلك بقيت الحياة مستمرة في حوضة دمشق في العصور اللاحقة على امتداد الألفين الخامس والرابع ق.م في العصر الحجري النحاسي (5500- 3500 ق.م)، تأسس موقعان متعاصران هما تل الخزامى وتل البحارية، اللذان تشابها بحضارتيهما ومكتشفاتيهما الأثرية، واختفى الاستيطان في تل الخزامى مع نهاية العصر الحجري النحاسي بينما استمر تل البحارية بالتطور حتى العصور اللاحقة.

نتائج دراسة العناصر الحضارية في العصر الحجري الحديث والنحاسي في حوضة دمشق:

من ناحية العمارة نجد أنه ظهرت دلائل معمارية في معظم مواقع الحوضة، كان أقدمها أرضية سكن مميزة من موقع باز جبعدين، تعد أحد أقدم وأفضل البيوت النطوفية حفظاً في سورية، وأحد النماذج القليلة المشابهة للعمارة النطوفية في المشرق الجنوبي. ومن ثم أتت عمارة تل أسود والتي تأتي أهميتها أنها سمحت لنا بتتبع خطوات تصنيع استعمال اللبن في البناء، لم تستخدم الحجارة أبداً في عمارتها، وكانت مخططات بيوتها معظمها دائرية وهذا مخالف لنمط البناء الذي كان سائداً في تلك الفترة، كما ظهر نمط جديد في البناء هو الفضاءات (المساحات) المشيدة والتي كانت مخصصة لممارسة الأعمال اليومية وتميزت بأنها دقيقة التصميم، وعثر أيضاً في أطراف القرية على مساحات للدفن (مقابر)، ونجد أن المواقع المشابهة لعمارة تل أسود قليلة جداً، باستثناء موقع البيضا I في المشرق الجنوبي. أما في تل الغريفة فقد اقتصرت العمارة على البيوت الدائرية والتي كانت مشابهة بشكل كبير لبيوت تل أسود. وبالنسبة لتل الرماد في البداية كانت البيوت بيضوية الشكل وفي المرحلة اللاحقة أصبحت مستطيلة الشكل وكبيرة الحجم.

تميزت العمارة في حوضة دمشق أنها لم تستخدم الحجارة نهائياً بل اعتمدت في كل بيوتها على اللبن، لم تتشابه فيما بينها إلا في تل الغريفة وتل أسود وتل الرماد I، ولم تلتزم بنمط معماري موحد، وكانت مشابهة لعمارة مواقع المشرق الجنوبي.

في العصر الحجري النحاسي عثر على بقايا معمارية من موقعي تل البحارية وتل الخزامى، كانت متشابهة فيما بينها بمخططاتها وتقنية تصنيعها. كانت الشواهد المعمارية في تل البحارية غنية ومتنوعة، تعود لفترات تاريخية مختلفة وبأنماط وأشكال متنوعة، على العكس من تل الخزامى الذي شهد مرحلة عمرانية واحدة فقط. وعند مقارنتها مع مواقع أخرى نجد أنها تحمل الصفات المعمارية لمواقع العصر الحجري النحاسي نفسها في المواقع الجنوبية والمواقع الشمالية (الصبي الأبيض – تل مشنقة).

أما بالنسبة للأدوات الحجرية، كانت حوضة دمشق غنية بالعديد من الأدوات الصوانية المتنوعة والمميزة والتي انتشرت خلال كامل الفترة الزمنية المدروسة، وفي كافة المواقع في الحوضة حتى التي لم تنقب بشكل كافي، ابتداءاً من الأدوات الميكروليتية في المواقع الأقدم إلى النصال الصوانية التي انتشرت بكثافة وهي دليل على ممارسة الزراعة، إضافة إلى رؤوس السهام المتنوعة بمختلف أشكالها من البيضوية إلى رؤوس سهام جبيل وأريحا والعمق وحتى المحلية مثل الأسودية، والتي دلتنا على صيد الحيوانات بكثرة.

أما في العصر الحجري النحاسي قلت الأدوات الصوانية في الحوضة، أغلبها نصال مناجل ويوجد مكاشط ورؤوس سهام ولكن بشكل أقل، فكانت الأدوات الزراعية هي المسيطرة مما يدل على ممارستها بحرفية، إضافة لأدوات صناعة الجلود، بينما قلت أدوات الصيد (رؤوس السهام) مما يدل على انتشار التدجين وتربية الحيوانات.

كما لم تخل الحوضة من أدوات الطحن والجرش، وعثر على أدوات أوبسيديانية تقريباً بكافة المواقع، والتي كان يتم استيرادها من بلاد الأناضول، وإن حوضة دمشق لعبت دور الوسيط بين المشرق الشمالي والمشرق الجنوبي، فكانت تسلك الطريق من بلاد الأناضول إلى الفرات الأوسط والصحراء العربية ومنها إلى حوضة دمشق (المشرق المركزي) وبعدها إلى مواقع المشرق الجنوبي، وهذا ربما يفسر لنا غزارة الأدوات الأوبسيديانية في مواقع الحوضة.

أما الأدوات العظمية اقتصرت على بعض الملاعق والإبر والسكاكين والمخارز، تميزت بأنها قليلة جداً ومتشابهة في كل مواقع الحوضة في العصرين الحجري الحديث والحجري النحاسي، وقد مثلت أفضل تمثيل في موقع تل الغريفة من حيث الجودة والصناعة.

وقبل الحديث عن الفخار لابد لنا من ذكر الآنية البيضاء التي لم يعثر عليها إلا في تل الرماد ابتداءً من الرماد II واستمرت حتى الرماد III، واعتبرت كأنها تمثل مرحلة انتقالية نحو استعمال الفخار، ونسبة الأواني البيضاء المرتفعة في الرماد III دلت أنها بقيت مستمرة حتى بعد اكتشاف الفخار، كانت مشابهة لمواقع اللبوة II في البقاع اللبناني، ومواقع الساحل المتوسطي (رأس شمرة، تبة الحمام، جبيل) والكوم وبقرص وكلها تعود لنفس الفترة الزمنية.

كان أول ظهور للفخار في حوضة دمشق من موقع الرماد III، والذي يعود لفترة العصر الحجري الحديث الفخاري وكلها كانت يدوية الصنع، كانت مشابهة في زخرفتها وتقنية تصنيعها لفخار تبة الحمام ورأس شمرة IV-A, B ومرسين XVIII- XVII.

استمر بعد ذلك تصنيع الفخار في المراحل اللاحقة وظهر بكثافة في موقعي تل البحارية وتل الخزامى، وكان له أهمية في تأريخ طبقاتهما أو مقارنتهما مع مواقع أخرى معاصرة. تشابه فخار الموقعين من حيث الزخرفة والأشكال وهو مماثل لفخار العمق D وموقع رأس شمرة C III وجبيل وأريحا

VIII. كانت البقايا الفخارية في تل البحارية هامة جداً فيها دلائل تطور مع الوقت، حيث أصبح مصقول مصنع بتقنيات عالية جداً، زخارفه جميلة فيها تأثيرات من المناطق الشمالية والجنوبية، مثل الآنية المشابهة لفخار حلف أو الآنية المصقولة المصنعة بتقنية عالية الجودة والمعروفة باسم فخار العمق. وعثر فيه على الآنية الناقوسية وهي الوحيدة المكتشفة من هذه المنطقة، والتي تميزت بها مواقع مناطق بلاد الرافدين وتعود لأواخر العصر الحجري النحاسي، ودلتنا على وجود نظام اقتصادي متطور في الموقع.

وبالنسبة للفنون، ظهرت في جميع مواقع العصر الحجري الحديث والنحاسي في الحوضة، كانت كثيفة العدد في أغلب المواقع، وتنوعت بين دمى واقعية بشرية أنثوية وذكرية ولكن بأعداد قليلة جداً، أومختزلة بأشكال كروية ومخروطية واسطوانية، وهذه الدمى مثلت لنا استمرار عقيدة الآلهة الأم، إضافة إلى الدمى الحيوانية لحيوانات رباعية القوائم، وخصوصاً الغزال والثور، أو رؤوس حيوانات وقرون مفصولة عن الدمى، وربما تدل على عادة تقديس الثور. ومن المكتشفات المهمة التماثيل البشرية التي عثر عليها فقط في تل الرماد، وكانت مترافقة مع الجماجم المقولبة، ويظن أنها استخدمت كقاعدة لها أو ربما تمثل آلهة مرتبطة بطقس جنائزي لحماية الموتى، وهي مطابقة لتماثيل أريحا وعين غزال في المشرق الجنوبي. وعثر في تل البحارية على العديد من رؤوس الطيور مصنوعة من الطين والتي استخدمت كتمائم أو حجابات، علاوة على الكرات والحصى الطينية التي يعتقد أنها استخدمت في عمليات الحساب والتي تعد من الابتكارات الحضارية التي مهدت لظهور الكتابة، ووضعت حد لعصور ما قبل التاريخ.

كما لم تخل مواقع الحوضة كلها من الحلي بمختلف أنواعه، إما من العظم أو الحجر أو الطين أو أصداف، وكانت عبارة عن خرز أو قلادات أو غير ذلك.

أما من ناحية ممارسات الدفن فقد اقتصرت الأدلة فقط على موقعي تل الأسود وتل الرماد من العصر الحجري الحديث وتل البحارية من العصر الحجري النحاسي، ولكن بالرغم من ذلك كانت دلائل مهمة جداً ساهمت بإغناء الدراسات فيها.

سنلاحظ في العصر الحجري الحديث أنهم دفنوا موتاهم تحت أرضيات البيوت بقبور أولية وثانوية، وبوضعيات متعددة أهمها الثني. كما ظهرت القبور الفردية والجماعية في الموقعين، لكن تميز تل أسود أنه حصل فيه تغيير جذري بأساليب ومكان الدفن مع نهاية الـ PPNB الوسيط وبداية الـ

PPNB الحديث، حيث لم يعودوا يدفنوا الموتى في بيوتهم، بل تم جمعهم في مساحات (فضاءات) جنائزية تقع على أطراف المنطقة السكنية، وكأنها مقابر ذات تنظيم حديث، ومن أهم المكتشفات في الموقعين ما عرف بالجماجمالمقولبة، كانت من أفضل الجماجم حفظاً وتشكيلاً بين كل المواقع. حتى أنها تبدو لنا كتحفة فنية تعطي الحياة لوجه الإنسان، وضعت في حفر أو مستودعات تخرج منها وقت الحاجة لها أو لاستخدامها في طقس جنائزي معين. كما اختلفت التفسيرات حول سبب تشكيلها منهم من رأى أنها مرتبطة بتقديس الأسلاف، أو بعبادة الخصب، أو ربما كانت محاولة لتقديم الاحترام للموتى.

في تل البحارية تعددت أنماط الدفن وأساليبه وتنوعت القبور بين فردية وجماعية، واستمرت عادة فصل الجماجم عن الهياكل، كما قام السكان بدفن الحيوانات إما بشكل منفصل، أو مجاور للهياكل البشرية، وخاصة الجماجم الحيوانية. ومع نهاية العصر الحجري النحاسي ظهرت طريقة جديدة وهي دفن الموتى في جرار متطاولة ذات فوهات واسعة، وهذه العادة كانت منتشرة في الثقافة الغسولية بعدد من مواقع المشرق الجنوبي.

وأخيراً يمكننا القول: إن مواقع حوضة دمشق أثبتت لنا أنها منطقة متكاملة، عثر فيها على كامل المقومات الحضارية، متشابهة مع مواقع المشرق الشمالي والجنوبي، لكنها تأثرت بشكل أكبر بالمناطق الجنوبية، فهي شكلت الشمال بالنسبة لها وأصبحت صلة الوصل بينها وبين المشرق الشمالي، لعبت دور مهم في نقل المواد والصناعات والعادات والتقاليد أيضاً، ولابد لنا من انتظار الأبحاث المستقبلية التي ربما ستزودنا بمعلومات أوسع عن هجرات البشر بين هذه المناطق، ونقل معرفتهم.

المراجع العربية

ـ أبو نقطة، فلاح، 2008، البيئة في مدينة دمشق وواحتها، **الخصائص الطبيعية لواحة دمشق،** (إعداد) جمعية أصدقاء دمشق، مطبعة الداودي، دمشق، ص ص 347 – 398.

– اليسياف، نيكيتا، 2011، **دمشق سيرة موجزة،** ترجمة غادة الحسين، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

-باقر، طه، 1973، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،** الجزء الأول الوجيز في تأريخ حضارة وادي الرافدين، مطبعة الحوادث، بغداد.

-بغدو، عبد المسيح، 2009، **مائة وخمسون عاما من البحث الأثري في الجزيرة السورية – محافظة الحسكة**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

-تموم، جمال، 2011، **الجذور ما قبل التاريخية للحضارات التاريخية الباكرة في المشرق العربي القديم**، وزارة الثقافة، دمشق.

-حمود، محمود، 2010، **شعائر الدفن وطقوسه القديمة في منطقة دمشق والجنوب السوري** (**منذ العصور الحجرية وحتى العصر الآرامي**)، مطبعة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

– الحموي، ياقوت، 1957، **معجم البلدان،** المجلد الخامس، بيروت.

– خشّان، مطر وأحمد فرزة طرقجي، 2003، **السّبل في مدينة دمشق،** قدم له هاني المبارك، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق.

– خليل، عماد الدين، 2008، مناخ واحة دمشق، **الخصائص الطبيعية لواحة دمشق،** (إعداد) جمعية أصدقاء دمشق، مطبعة الداودي، دمشق، ص ص: 167- 225.

– خير، صفوح، 1966، **غوطة دمشق، دراسة في الجغرافية الزراعية،** وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

1969، **دمشق، دراسة في جغرافية المدن،** وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

2008، جغرافية مدينة دمشق، **دمشق الشام عاصمة الثقافة العربية،** متابعة ومراجعة نبيل الحفار، مطابع هيئة الموسوعة العربية، دمشق، ص ص 9- 104.

- الدمشقي، محمد حسين العطار، 1984، **علم المياه الجارية في مدينة دمشق أو رسالة علم المياه**، تقديم أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق.

- دو كونتنسون، هنري، 1966، موقع من عصر ما قبل التاريخ في قرنة المغارة قرب صيدنايا، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 16، الجزء 2، ترجمة بشير الزهدي، ص ص: 77- .78

1968، تقرير أولي عن حفريات تل الخزامى عام 1967، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 18، الجزءان 1-2، تعريب وتلخيص رباح نفاخ، ص ص: 183- .187

1969 (آ)، تقرير أولي عن تنقيبات الموسم السادس في تل الرماد عام1969، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 19، الجزءان 1-2، تعريب وتلخيص رباح نفاخ، ص ص: 139- .141

1969 (ب)، الموسمان الرابع والخامس في تل الرماد، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 19، الجزءان 1-2، تعريب وتلخيص رباح نفاخ، ص ص: 135- 138.

1972، التنقيبات في تل أسود عام 1971 في غوطة دمشق، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 22، الجزء 1-2، تعريب رباح نفاخ، ص ص: 187- .189

1975، التنقيبات من تل الغريفة عام 1974، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 25، الجزاءان 1- 2، ترجمة رباح نفاخ، ص ص: 205 – 207.

1985، دمشق في العصر الحجري الحديث ، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 35، تعريب وتلخيص بشير زهدي، ص ص: 101-110.

1989، **المساهمة الفرنسية في دراسة الآثار السورية، 1969-1989**، المعهد الفرنسي لآثار الشرق، دمشق.

- دو كونتنسون هنري وفان لير، 1963، مذكرة عن خمسة مواقع من أول الدور العصر الحجري الحديث في سورية الداخلية، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 13، ص ص: 272- 276.

1966، الموسم الثاني للحفريات في تل الرماد – 1965، تقرير أولي، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 16، الجزء 2، تعريب وتلخيص بشير زهدي، ص ص: 60-.63.

1967، تقرير أولي عن الموسم الثالث للتنقيب في تل الرماد، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 17، الجزء 1-2، ترجمة سليمان المقداد، ص ص: 60- 63.

- آل رشي، هلا، 2008، **حلي من موقع تل أسود جداول وصفية مع صور**، Archeorient (UMR 5133) Maison de l' orient, universite Lyon 2 , PP. 1- 25.

- روست، ألفرد، 1988، **مكتشفات مغاور يبرود**، دمشق، ترجمة محمد قدور، تدقيق وتقديم سلطان محيسن، تعليق رالف سوليكي، إعداد نور الدين عقيل، دمشق.

- الزيات، حبيب، 1985، نهر ابانا وفرفار بدمشق الخزانة الشرقية، **دمشق مقالات مجموعة**، أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ص ص: 53- 62.

- سبانو، أحمد غسان، 1990، **دمشق في كتابات أحمد وصفي زكريا**، دار قتيبة، دمشق.

1998،**مكتشفات مثيرة تغيّر تاريخ دمشق**، دار قتيبة، دمشق.

-سليمان، غادة، 1996، تقرير أولي عن حفريات تل البحارية ريف دمشق موسم صيف 1996، المديرية العامة للآثار والمتاحف، ص ص: 1- 3.

2001، في تل البحارية، لعام 2001، المديرية العامة للآثار والمتاحف، ص ص: 1- 8.

2002، نتائج أعمال التنقيب لتل البحارية لعام 2002، المديرية العامة للآثار والمتاحف، ص ص: 1-16.

2003، في تل البحارية، موسم 2003، المديرية العامة للآثار والمتاحف، ص ص: 1- 10.

2004، تقرير موجز عن أهم أعمال التنقيب في تل البحارية لموسم 2004، المديرية العامة للآثار والمتاحف، ص ص: 1- 6.

2005، التقرير العلمي لتل البحارية، نتائج التنقيب في تل البحارية لموسم 2005، المديرية العامة للآثار والمتاحف، ص ص: 1-.8

2006، التقرير العلمي لتنائج التنقيب في تل البحارية لموسم 2006م، المديرية العامة للآثار والمتاحف، ص ص: 1- .18

2010، أعمال التنقيب 2007- 2008 في تل البحارية (ريف دمشق)، مجلة الوقائع الأثرية في سورية، العدد الرابع، 2010، ص-ص: 23- 29.

2008 التقرير العلمي لتل البحارية، لموسم 2008، المديرية العامة للآثار والمتاحف، ص ص: 1- 11.

2011، نتائج أعمال التنقيب في تل البحارية لموسم 2009، مجلة الوقائع الأثرية في سورية، العدد الخامس، 2011، ص ص: 11- 18.

2012، تل البحارية، مجلة الوقائع الأثرية في سورية، العدد السادس، 2012، ص ص: 15- 21.

- سوليكي، رالف وروز سوليكي، 1966، دلائل جديدة من يبرود تقرير عن التحريات الأثرية لجامعة كولومبيا، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 16، الجزء 2، ترجمة عدنان البني، ص ص: 43- 52.

-سيتون، لويد، 1993، **آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي،** ترجمة محمد طلب، دار دمشق، الطبعة الأولى، دمشق.

-الصفدي، هشام، 1982، **علم الآثار الشرقية،** جامعة دمشق، مطبعة طربين، دمشق.

- الصفدي، محمد شفيق، 2008، مصادر المياه في واحة دمشق المنشآت المائية –استعمالات المياه والمستقبل، **الخصائص الطبيعية لواحة دمشق،** (إعداد) جمعية أصدقاء دمشق، مطبعة الداودي، دمشق، ص ص: 227 -300.

- طالبي عادل، 1999، **النيوليتي ما قبل الفخار في منطقة دمشق،** دمشق.

- طرقجي، أحمد فرزة، 2005، **دمشق وغوطتها في النصف الأول من الألف الثاني ق.م،** (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2005).

2008، حوض دمشق بين الأمس واليوم دراسة جغرافية، بيئية، اجتماعية، مجلة مهد الحضارات، العدد الخامس، 2008، ص ص: 128- 143.

- عبد الرحمن، عمار، 2009، **معتقدات وفنون المزارعين الأوائل في المشرق العربي القديم "الإلهة الأم"**، دار إنانا للطباعة والنشر، دمشق.

_ عبد السلام، عادل، 1982، **جغرافية سورية الإقليمية،** القسم الثاني، جامعة دمشق، المطبعة التعاونية، دمشق.

1986، حوض بردى والأعوج من الناحية الجغرافية، **الندوة العلمية تلوث نهر بردى وغوطة دمشق،** دمشق.

1990، **الأقاليم الجغرافية السورية،** جامعة دمشق، دمشق.

2008، المعالم الجغرافية الطبيعية لأرض دمشق وواحتها، **الخصائص الطبيعية لواحة دمشق،** (إعداد) جمعية أصدقاء دمشق، مطبعة الداودي، دمشق، ص ص: 67 -141.

-عبد الله، فيصل، 1994 -1995، **تاريخ الوطن العربي القديم – بلاد الرافدين،** جامعة دمشق، دمشق.

- أبو عساف، علي، 1988، **آثار الممالك القديمة في سورية 8500 ق.م إلى 535 ق.م**، مطابع وزارة الثقافة، دمشق.

2011، **آثار الممالك القديمة بالجزيرة السورية وطور عابدين**، مطابع وزارة الثقافة، دمشق.

- العظمة، عبد العزيز، 2002، **مرآة الشام تاريخ دمشق وأهلها**، دار دمشق، دمشق.

- علي، محمد كرد، 1949، **غوطة دمشق**،مطابع وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق.

- عوض، محمد نظير، 2002، **العصر الحجري النحاسي في الجزء الشمالي من بلاد الشام – سورية**، (رسالة ماجستير، غير منشورة)، دمشق.

2007- 2008، العصر الحجري النحاسي في الجزء الجنوبي من سورية، وقائع الندوة الدولية تاريخ الجولان وآثاره، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، ص ص: 61- 68.

- غنيم، عبد الرحمن، 2008، **نجمة دمشق، الصفحات الأولى في تاريخ دمشق ومحيطها**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

- أبو غنيمة، خالد، 2000، بواكير القرى الأولى وبداية الاستقرار في بلاد الشام، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 71 -72، ص ص:9 -23.

2001، أساليب الدفن وعاداته خلال العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، مجلة دراسات تاريخية، العدد 75- 76، أيلول- كانون أول، ص ص: 13- 48.

2004، عناصر العمارة في العصر الحجري ما قبل الفخاري ب في سورية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 20، العدد (1-2)، ص ص: 209- 230.

-غولايف، فاليري، 1989، **المدن الأولى "مابين النهرين مهد الحضارة البشرية"**، ترجمة طارق معصراني، دار التقدم، موسكو.

-فرانك برايمير و وسيم شعراني، 2012، قراصة 2010 تقرير موسمي بحملة التنقيب بين (20\5 – 24\6- 2010)، مجلة الوقائع الأثرية في سورية، العدد السادس، 2012، ص ص: 327- 332.
-قابلو، جباغ، 1998- 1999، **تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي،** جامعة دمشق، دمشق.
- كفافي، زيدان، 2005، **أصل الحضارات الأولى،** دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض
- كوفان، جاك، 1972، سبر في تل أسود – الجزيرة- سورية، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مجلد 22، الجزءان 1- 2، تعريب وترجمة رباح نفاخ، ص ص: 189- 192.
1984، **الوحدة الحضارية في بلاد الشام بين الألفين التاسع والثامن قبل الميلاد،** تقديم بريدوود، تعريب قاسم طوير، مطبعة سورية، دمشق.
1988، **ديانات العصر الحجري الحديث،** ترجمة سلطان محيسن، دار دمشق، دمشق.
1995، **القرى الأولى في بلاد الشام من الألف التاسع حتى الألف السابق ق.م،** ترجمة الياس مرقص، دار الحصاد، دمشق.
1999، **الإلوهية والزراعة ثورة الرموز في العصر النيوليتي،** مراجعة وتقديم سلطان محيسن، ترجمة موسى ديب الخوري، مطابع وزارة الثقافة، دمشق.
- الماحي، علي التجاني، 2001، استئناس الحيوان والتحولات الإحيائية البيئية والاقتصادية الثقافية: فلسفة الدليل والاستنتاج، أدماتو، العدد الرابع، ص ص: 27- 53.
-محيسن، سلطان، 1982، آثار ما قبل التاريخ في منطقة جيرود، تقرير أولي، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 32، ص ص: 211- 213.
1987، سورية في عصور ما قبل التاريخ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 25\26، ص ص: 131- 165.
1988، **آثار الوطن العربي القديم، الآثار الشرقية،** جامعة دمشق، دمشق،

1994، **بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ المزارعون الأوائل**، مطابع ألف باء الأديب، دمشق.

1997، آثار عصور ما قبل التاريخ في سورية الجنوبية (محافظتا السويداء ودرعا)، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد 41، ص ص: 43- 46.

2005، **عصور ما قبل التاريخ**، جامعة دمشق، دمشق.

2006، ما قبل دمشق، الندوة الدولية دمشق في التاريخ، الجزء الأول، جامعة دمشق، دمشق، ص ص: 1- 23.

-مرعي، عيد، 1991، **تاريخ بلاد الرافدين منذ أقدم العصور حتى 535 ق.م**، الأبجدية للنشر، دمشق.

-مورتغارت، انطون، 1967، **تاريخ الشرق الأدنى القديم**، تعريب علي أبو عساف وقاسم طوير وتوفيق سليمان، مطبعة الإنشاء، دمشق.

- ميلارت، جيمس، 1990، **أقدم الحضارات في الشرق الأدنى**، تدقيق وتقديم سلطان محيسن، ترجمة محمد طلب، دار دمشق، دمشق.

المراجع الأجنبية

-Akkermans, P. 1981, The Neolithic of The Balikh Valley Northern Syria, a First Assessment, in Cauvin, J. Sanlavill, P.(edit.), **Prehistoire du Levant**, CNRS, Paris, PP. 440 – 453.

1987, A Late Neolithic and Early Village at Sabi Abyad, Northern Syria, Paleorient, Vol. 13/ 1,PP. 23- 40.

1989, **Excavation at Tell Sabi Abyad Prehistoric Investigations in the Balikh Valley, Northern Syria**, BAR International Series N 468, Oxford, PP. 86- 95.

1993, Villages in the Steppe Later Neolithic Settlement and Subsistence in the Balikh Valley, Northern Syria, international Monographs in Prehistory, Archaeological Series 5, Ann Arbor Michigan PP. 269 – 325.

-Akkermans, P. & Schwartz, G. 2003, **The Archaeology of Syria: from Complex Hunter-Gatherers to Early Urban Societies (ca. 16000- 300 BC)**, Cambridge University Press.

-Alarashi H. 2010: "Shell Beads in the Pre Pottery Neolithic B in Central Levant: Note About the Cypraeidae of Tell Aswad (Damascus, Syria)". In Alvarez Fernandez E & Carvajal Contreras D.R. (eidt.): **Not Only Food: Marine, Terrestrial and Freshwater Molluscs in Archaeological Sites** (Proceedings of the 2nd ICAZ Archaeomalacology Working group, Santander, 2008), Munibe Suplemento 31.

-Albukaai, D.E. 2012, Les Foyers de Tell Aswad et Leur Modes de Cuisson Possibles, Essai de Reconstitution des Pratiques Domestiques et Sociales, in Borrell, F. & Garcia, M. (edit.), **Broadening Horizons 3, Conference of Young Researchers Working in the Ancient Near East**, Barcelona, PP. 101- 112.

-Alon, D. L. 1989, The Archaeology of Cult and the Chalcolithic Sanctuary at Gilal , Journal of Mediterranean Archaeology, Vol. 2/2, PP. 163- 221.

-Anderson. P, 1993, Interpretation of Agriculture Activities, Colloque International de Liege Editions ERAUL, Vol. 50, PP. 327-330.

1994, Experimental Cultivation, Harvest and Threshing of Wild Cereals and Their Relevance for Interpreting The Use of Epipalaeolithic and Neolithic Artefacts, CNRS, Paris, PP. 179- 209.

-Anfruns, J. 2002, **Nouvelles Apportations a l' Anthropologie du Site de Tell Ramad (Syrie),** Barcelone, 2002.

-Aurenche, O. & Kaziowski, K. 1999, **La Naissance du Neolithique au Proche Orient**, Edition Errance Paris.

-Aurenche. O, Galet. P, Regagnon- Caroline. E and Evin. J, 2001, Proto- Neolithic and Neolithic Cultures in the Middle East- the Birth of agriculture, Livestock Raising and Ceramics: a Calibrated C14 Chronology 12,500- 5,500 Cal B.C, Archaeology and Environment, Radiocarbon, Vol. 43, N. 3, PP. 1191- 1202.

-Ayobi, R. a.2013, Humaines ou animales ? Des figurines ambiguës à Tell Aswad, ArchéOrient-Le Blog (Hypotheses.org), 4 octobre 2013. http://archeorient.hypotheses.org/1727

b.2013, **Objets en Terre du Neolithique Preceramique au Proche – Orient, Terre Crue ou Cuite? "Les Objets en Terre Cuite Avant L'Invention de la Poterie**, These de doctorat soutenuea l' Universite Lumiere lyon 2.

2014, Les Objets en Terre du Levant Neolithique avant L' Invention de la Ceramique: Cuisson Intentionnelle ou Accidentelle?, Syria, Vol. 91, PP. 1-3.

-Balkan, N. 1990, **L'Industrie lithique de Cauvin J. 1968, Les Outillages Neolithiques de Byblos et du Liltoral Libanais Beirut**, Universite de Paris.

-Banning, E. B. 1998, The Neolitic Period, the triumphs of Architecture, Agriculture and Art, Near Eastern Archaeology 61:4, PP. 188- 237.

-Bar – yosef, O. 2003, **Early Neolithic Stone Masks, From Village to Cities Matbaasi**, Istanbul, 2003.

-Bar- Yosef, O. and Cohen, A.B, 2000, Early Sedentism in the Near East a Bumpy Ride to Village Life, in Ian Kuijt (edit.), **Life in Neolthic Farming Communities Social Organization, Identity, and Differentiation**, Plenum Publishers, New York, PP. 19 -37.

-Bellwood. P, 2005, **First Farmers The Origins of Agriculture Societies**, Blackwell Publishing, Oxford.

-Besancon. J & Geyer. B, 1995, La Curvette du Rug (Syrie du Nord), Les Condition Naturelles et Les Etapes de la Mise en Valeur, Syria, LXXII 3-4, PP. 307 – 355.

-Bienkowski. P, & Millard. A, 2000, **Dictionary of The Ancient Near East**, London.

-Biennert, H. D. 1991, Skull Cult in the Prehistoric Near East, Journal of Prehistoric Religion 5: 20, PP. 9- 23.

-Biennert, H. D. and Gebel, H. G. 2004, Summary on Ba'ja 1997, and Insights from Later Seasons, in Studies in Early Eastern Production, in Bienert H. G, Gebel, H. G and Neef, R. (edit.), **Central Settlements in Neolithic Jordan**, Berlin, PP, 119- 144.

-Bonogofsky, M. 2002, Reassessing "Dental Evulsion" in Neolithic Plastered Skulls From the Levant Through the Use of Computed Tomography, Direct Observation and photographs, Journal of Archaeology Science, Vol. 29, P.P 959 – 964.

2003, Neolithic Plastered Skulls and Railroading Epistemologies, BASOR, Vol. 331, PP. 1-9.

2006, Culture and Ritual Evidence in the Archaeological Record: Modeled Skulls from the Ancient Near East, in Georgidis, M. & Gallou, C. (edit.), **the Archaeology Cult and Death**, Archaeolingua, Budapest, PP. 45 – 69.

-Bottema, S. 1980, Palynological Evidence for The Climatic History of The Near East 50000- 6000 BP, in Cauvin J, & Sanlaville P. (edit), **Prehistoire du Levant**, CNRS, Paris, PP. 111-132.

1989, **Notes on The Prehistoric Environment of The Syrian Djezireh to The Euphrates and Beyond**, Paris.

-Braidwood, R. J. 1960, **Prehistoric Investigation in Iraq Kurdisten**, Chigago.

- Braemer, F et al. 2004, **Khirbet al Umbashi**, IFPO.BAH, Beyrouth.

-Braemer, F. & Nicolle, C. 2008, Atlas archaeologique des sites pre- et proto historiques de Syrie du Sud, Chronique Archeologique en Syrie, Vol. III, 2008, PP. 87- 101.

-Breamer, F. & Arranz, A. 2011, Archaeological charcoal: natural or human impact on the vegetation: Anthracological analysis of an early PPNB roof from tell Qarassa North (South Syria), Sagvntvm Extra: 11, PP. 125- 126.

-Brenquet, C. 1990, **La disparition de la culture Halaf ou les origins de la culture Obeid dans le Nord de la Mesopotamie**, ADPF, Paris.

-Cauvin, J. 1981, **Mureybet et Cheikh Hassan le Moyen Euphrate, Zone de Contacts et d' Echanges**, Strasburg, Universite des Sciences Humaines.

1998, L' Homme et Son Environnement au Levant Nord Entre 30000 et 7500 BP, Paleorient, Vol. 23/2, PP 51- 69.

-Cauvin, M.C. 1975, Outillage Lithique et Chronologie de Tell Ghorife C (Damascene- Syrie), Paleorient, Vol. 3, PP. 295- 304.

1982, Prospection Prehistorique a Mallaha- Jayroud (Qalamoun, Syrie), AAAS, Vol. 32, PP. 273- 281.

1990, L'Obsidienne au Levant Prehistorique: Provenance et Fonction, Cahiers de L' Euphrate, N. 5, PP. 1- 12.

1991, Du Natoufien au Levant Nord? Jayroud et Mureybet (Syrie), in Bar- Yosef, O. & Francois, R. (edit.), **The Natufian Culture in The Levant**, Valla, PP. 295 -314.

-Conard, N.J. 2006, **An Overview of The Recent Excavation at Baaz Rockshelter**, Damascus Province, Syria, Tubingen- Damascus Excavation and Survey Project, مشروع توبنغن- دمشق للتنقيب والمسح الأثريين, 1999- 2005, Tubingen University.

-Coqueugniot. E, 1982, Tell Aatne, un Nouveau Site Neolithique Pre-Ceramique en Syrie, paleorient, Vol. 8\2, PP. 91- 94.

a.1999, **Dja'de et Mughara, Neolithique pre-ceramique B anciene, le pratique funeraire**s, Expositiom du siege du CNRS, Paris.

b.1999, **Neolithique Pre-Creamique Outillage et Representations Symbolques, Pecoreties Archaeologiques dans la Vallee de l'Euphrate en Syrie**, CNRS, Paris.

2003, Figurines et Representation Animals les Villages Neolithiques du Proche Orient, Anthropozoologica, N. 38, PP. 35- 48.

-De Contenson, H. a.1966, La Station Prehistorique de Qornet Rharra Pres de Seidnaya, AAAS, Vol. 16\ 2, PP. 197- 199.

b.1966, Second Champagne a Tell Ramad 1965, Rapport Preliminaire, AAAS, Vol. 16\2, PP 167-172.

1967, Troisieme Campagnes a Tell Ramad, 1966 Rapport Preliminaire, AAAS, Vol. 17/1-2, PP. 17-24.

1968, Rapport Preliminaire sur Les Fouilles a Tell Al Khazzami en 1967, AAAS, Vol.18\1-2, 1968, pp. 55- 62.

1969, Quatrieme et Cinquime Campagnes a Tell Ramad, 1967- 1968 Rapport Preliminaire, AAAS, Vol.19\1-2, PP. 25- 30.

1974, Huiteme Campagne de Fouilles a Tell Ramad en 1973 Rapport preliminaire, AAAS, Vol. 24\1-2, PP. 17- 21.

1975, Les Fouilles a Ghoraife en 1974, AAAS, Vol. 25\1-2, PP. 17- 26.

1985, La Region de Damas au Neolithique, AAAS, Vol. 35, PP.10- 29.

1992, Les coutumes Funeraires dans le neolithique syrie, Bulletin de la Society Prehistorique francais, N. 6, PP 184 – 191.

1995, **Aswad et Ghoraife Sites Neolithiques en Damascene (Syrie) Au XIXeme et VIII eme millenaires avant l' ere chretienne**, IFAPO, Beyrouth.

2000, **Ramad Site neolithique en Damascene (Syrie) Aux VIII et VII Millenaires Avant L' ere Chrestienne**, IFAPO, Beyrouth.

-Delerue, S. 2007, **L' Obsidienne dans le Processus de Neolithisation du Proche- Orient (12000- 6500 B.C),** PHD, Universite Michel de Montaigne, Bordeux 3.

-Ducos, P. & Helmer, D. 1980, Le Point Actuel sur L' Apparition de La Domestication dans Le Levant, in Cauvin, J. & Sanlaville, P. (edit.), **Prehistoire du Levant**, CNRS, Paris, PP. 523- 528.

-Ferembach, D. 1969, Etude Anthropologique des Ossements Humains Neolithique de Tell Ramad (Syrie), AAAS, Vol. 19, PP. 49 – 70.

1978, "Etude Anthropologique", dans M. Lechevallier ed. Abu Gosh et Beisamoun, Deux gisements du VII millenaire avant L'Ere Chretienne, Association, Paleorient, Vol. 13/ 1, PP. 149- 181.

-Ferembach, D. et Lechevallier, M. 1973, "Decouverte de crane surmodeles dans une habitation du VII millenaire a Beisamoun", Paleorient, Vol. 1, PP. 223 -240.

-Gameron, M. 1981, **The Ghassulian Wall Paintings**, Kengon Deam, LTD, London.

-Gibson, M. et al, 2002, Hamoukar: A Summary of Three Season of Excavation, Akkadica, Vol. 123, PP. 11- 34.

-Gilead, I. 1988, The Chalcolithic in The Levant, Journal of World Prehistory, Vol. 2\4, PP. 397- 443.

-Gopher, A. 1994, Arrowheads of the Neolithic Levant, ASOR, Dissertation Series 10, Winona Lake, In: Eisenbrauns, PP.151- 215.

-Gopher, A. Bar- Yosef, O. and Nadel, D. 1991, Early Neolithic Arrowhead Types in The Southern Levant a Typological Suggestion, Paleorient, Vol. 17\ 1, PP. 109- 119.

-Helmer, D. 1992, La **Domestication des Animaux par Les Hommes Prehistoriques**, Paris.

-Hijjara, I, 1997, The Halaf Period in Northern Meseopotamia, Nabu, PP. 5- 124.

-Hillgruber, K. F. 2010, **The Last Hunter- Gatherers: The Epi Palaeolithic in Southwestern Syria,** Hamburg.

-Hole, F. 1984, A Reassessment of The Neolithic Revolution, Paleorient, Vol. 10/2, PP. 49 – 61.

1991, The Ecology of Seasonal Stress and The Origins of Agriculture in The Near East, American Anthropologist ,Vol. 93\1, PP. 46- 69.

1994, The Environmental Instabilities and Urban Origins, Monographs in World Archaeology, No. 18, PP 121 -151.

1998, Paleoenvironment and Human in The Jezireh of Northern Mesopotamia 20000 – 6000 BP, Paleorient, Vol 32/2, PP. 139 – 148.

-Hole, F. & Johanson, G.A. 1988, Umm Qseir, Syria Rapport Preliminaire, DGAM, PP. 1- 16.

-Hooijer, D.A. 1966, Preliminary Notes on The Animal Remains Found at Bouqras and Ramad in 1965, AAAS, Vol. 16/2, 1966, PP. 193- 196.

-Hope, M. & Bar- Yosef, O. 1987, Plant Remains from HayuNim Western, Paleorient, Vol. 13/1, PP. 117- 121.

-Hours, F. 1994, **Atlas des Sites du Proch Orient (14000- 5700 BP),** Maison de l' Orient Mediterraneen, Lyon.

-Hout, J. L. 1994, Les Premires Villageoies de Mesopotamia, in ARMAND Colin (edit.), **Village a la Ville**, Paris, PP. 132- 141.

-Kandel, A.W. 2010, The Settlement of Southwestern Syria: Results From The Tubingen- Damascus Excavation and Survey Project (1999-

2008), The History and Antiquities of Al Golan, Printed in the Press of the Ministry of Culture (Damascus - Syria), PP. 57- 70.

-Kenyon, K. 1957, **Digging up Jericho**, New York.

1985, **Excavation at 1957**, PEQ 89.

1981, Excavation at Jericho, The Architecture and Stratigraphy of the Tell, British of Archaeology in the Jerusalem, Vol. II, PP. 25- 40.

-Khawam, R. 2014, **L'homme et la mort au PPNB en Syrie : l'exemple de Tell Aswad**, These de doctorat soutenuea l' Universite Lumiere lyon 2.

2015. Les pratiques funéraires de l'horizon PPNB ancien à Tell Aswad (Syrie), ArchéOrient – Le Blog (Hypotheses.org), 12 juin 2015, http://archeorient.hypotheses.org/4247.

-Kirkbrid, D. 1967, An Interim Report Palestine Exploration Quarterly 99, library of Congress, PP. 5- 13.

-Kuijt, I. 2000, **Life in Neolithic Farming Communities social Organization, Identity and differentiation**, Plenum Publisher, NewYork.

-Leroi- Gourhan, A. & Darmon, F. 1991, Analyses Polliniques de Stations Natofiennes au Proche – Orient, in Bar- Yosef, O. & Valla, F. (edit.), **The Natufian Culture in The Levant**, International Monographs in Prehistory, Michigan, PP 19 – 37.

-Lichter, C. 2004, How Did Farming Reach Europe? Anatolia European Relations from The Second Half of The 7 Th Through The First Half of The 6Th Millennium B.C, Proceedings of The International Workshop, Istanbul, PP. 1- 11.

-Lyonnet, B. 2000, Prospection Archeologique Haut Khabure Occidental (Syrie Nord-Est), Vol. 1, Bibliotheque Archeologique et historique, IFAPO, Beyrouth.

-Marby, J. 2003, The Birth of Ancestor: The meaning of Human Figurines in Near Eastern Villages, in Beth Alpert Nakhai (edit.), The Near East in The Southweat Essays in Honor of William Gever, ASOR 5, PP. 85 – 113.

-Matsutani, T. 1991, **The Excavations at Tell Kashkashok**, N. 2, Tokyo.

-Matthews, R. 1996, Excavation at Tell Brak, Iraq, Vol. 58, PP. 65 -77.

1998, Tell Brak 1996, Chronique Archeologique en Syrie, Vol. II, PP. 77-79.

-Mazzoni, S. 1999, Tell Afis its Regin in The Late Chalcolithic Period, AAAS, Vol. 43, PP 97- 117.

-Mellaart, J. 1975, **The Neolithic of the Near East**, London.

-Molist, M. 1993, Tell Halula (Syria) Un poblatica de los primeros agnicultors: Ramadars del VII Mtl a Ta Valle de l' Eufrates, Trilbuna Arcqeologeam Barcelona, 1993.

1998, Tell Halula 1997, Chronique Archeologique en Syrie, Vol. II, PP. 134- 135

-Monchambert, J . Y. 1989, **"Le Moyen Khabure", in Contribution Francaise a L' Archeology Syrenne 1969 – 1989**, IFAPO, Damas, PP. 73 – 77.

-Moore, A.M.T. 1978, **The Neolithic of The Levant**, Oxford University.

-Moore, A.M.T. & Hillman, G.C. 1992, The Pleistocene To Holocene Asia: The Impact of The Yonger Dryas, American Antiquity, vol. 57/3, PP. 484 – 494.

-Morris – Nigel, G. 2000, The Quick and the Dead, The Social Context of Aceramic Neolithic Mortuary Practices as Seen From Kfar- Hahoresh, in Ian Kuijt. (edit.), **Life in Neolthic Farming Communities Social Organization Identity and Differentiation**, Plenum Publisher, New York, PP. 103- 136.

2005, Life, Death and the Emergence of Differential Status in the Near Eastern Neolithic: Evidence from Kfar HarHorsh, lower Galilee, in Clarke (edit.), **Achaeological Perspetives on the Transformation of Culture in Eastern Mediterranean**, Oxbow books, Levant Series 2, Londres, PP. 89- 105.

-Morsch, M. 2002, Magic Figuriens? Somemarks about the Caly Objects of Nevali Cori: in **Magic Practices and Ritual in the Near Eastern Neolithic Studies in Early Near Eastern Production Subsistence and Environments 8.**

-Muhesen, S. 1992, Bilan Sur La Prehistoire de La Syrie, Syria, Tome LXIX, PP. 247- 303.

-Napierala, H.A. 2011, **The Palaeolithic Background of Early Food Producing Societies in The Fertile Crescent Faunal Analysis**, Tubingen.

-Nasralla, J. 1956, **Le Ghassoulien de Der a (Hauran)**, Extrait du Bulletin de la S.P.E.L.

-Noy, T. 1977, **Nahal Oren**, EAEHL.

-Orange, M. Carter, T. et Bourdonnec, F. 2013, Sourcing Obsidian from Tell Aswad and Qdeir 1 (Syria) by sem –EDS and EDXRF: Methodological implications, Paleorient, vol. 12, PP. 173 – 180.

-Oates, J. 1966, Ur and Eridu, The prehistory, Iraq, Vol. 22, PP. 32- 50.

-Ohnuma, K. 1997, Chronology of the Proto- Neolithic of Iraq and Syria a Hypothetical View, Al Rafidan, Vol. XVIII, PP. 45- 58.

-Pierre, M. J. 1991, **De Couverte du Metal Ouvrage**, CNRS, Paris.

-Quintero, L.A. and Wilk, P. J. 1995, Evolution and Economic Significance of Naviform Core and Blade Technology in the Southern Levant, Paleorient, Vol. 21, PP.16- 28.

-Redmann, C.L. 1978, **The Rise of Civilization from Early Farmers to Urban Society in Ancient Near East**, San Francisco.

-Renfrew, C. & Bahn, P. 2000, **Archaeology Theories Methods and Practice,** London.

-Rollefson G. 1983, Ritual and Ceremony at Neolithic Ain Ghazal (Jordan), Paleorient, Vol. 9/2, PP. 29- 38

1999, A Decorated Skull From MPPNB Ain Ghazal, Paleorient , Vol. 26, PP. 99- 104.

-Rollefson. G & Simmons. F, 1986, The Neolithic Village of "Ain Ghazal", Jordan, Preliminary Report on The 1984 Season, Bulletin of American

Schools of Oriental Research – Supplement 24, PP. 147 – 164.

1987, The Neolithic village of Ain Ghazal Preliminary Report on the 1985 season, Bulletin of American School of Oriental Research 25, PP. 93- 106.

1990, Neolithic Culture at Ain Ghazal Jordan, Journal Field of Archaeology, Vol. 19 (4), PP. 443- 470.

-Sanlaville. P, 1997, Les Changements Dans L'Environnemen au Moyen– Orient de 20000 BP a 6000 BP, Paleorient, vol 23/2, PP 249 -262.

1999, Changements Climatiques et Evolution des Societes Humaines dans La Region Levantine Entre 17000 et 7000 BP (18000 – 6000 Avant Notre Ere), AAAS, Vol. 43, PP. 23 -36.

-Schmandt – Besserat, D. 1998, Ain Ghazal Monemental Figures a Stytistic Analysis, the Bulletin of American school of Oriental Research, Vol. 310, PP. 1 – 38.

-Schmidt, K. 2003, The 2003 Campaign at Gobekli Tepe (Southeastern Turkey), Neo – lithics, Vol. 2/3, PP. 1 – 33.

-Simmons, F. 1990, Plastered Human Skull From Neolithic, Ain Ghazal, Jordan, Journal of field Archaeology, Vol. 17, PP. 107- 110.

-Strodeur, D. 2003, Des Cranes Surmodeles a Tell Aswad de Damascene (PPNB - Syrie), Paleorient, Vol. 29\2, PP. 109 – 116.

2010, Le PPNB de Syrie du Sud a travvers les Decouvertes Recentes a Tell Aswad, Huran V, PP. 1- 15.

-Stordeur, D. et Jamous, B. 1981, Fouille Franco- Syrienne de Jerf el-Ahmar, Rapport Scientifique, PP. 1-16.

2002, Tell Aswad, Deuxeme champagne de fouille, Rapport Scientifique, PP. 1 – 26.

2003, Tell Aswad Troiseme Campagne de Fouille, Rapport Scientifique, PP. 1-31.

2005, Tell Aswad cinquième Campagne de Fouille, Rapport Scientifique, PP. 1-33.

2006, Tell Tell Aswad sixieme Campagne de Fouille, Rapport Scientifique, PP. 1-28.

2007, Tell Aswad, Rapport scientifique2007, Verifications et Finalization sur le Terrain Campagne d' etude de Material (Tell Aswad et Jerf el Ahmar), P-P 1- 38.

2008- 2009, La Damacene et La Revolution Neolithique, AAAS, Vol. 51-52, PP. 7- 16.

-Stordeur, D. et Khawam, R. a. 2006, L' aire Funeraire de Tell Aswad (PPNB), Syria, Vol. 83, PP. 1 -24.

b. 2006, Une Place pour Les morts dans les maisons de Tell Aswad (Syrie), Horizon PPNB ancient et PPPNB Moyen, Fifth International Congress on Archaeology for the Ancient Near East, (Madrid,3- 8 Avril 2006) (5 ICAANE) work shop "Houses for the living and a place for dead.

2007, Les Cranes Surmodeles de Tell Aswad (PPNB - Syrie), Premier Regard sur L' Ensemble, Premieres Reflexions, Syria, Vol. 84, PP. 5 – 32.

-Strouhal, E. 1973, Five Plastered Skulls From Pre- Pottery Neolithic B Jericho, Anthropological study, Paleorient, Vol. 1\2, PP. 231- 247.

-Sulaiman, G. 2012, Tell al- Baharia: an Important Site in the Damascus Basin, in Borrell, F. & Garcia, M. (edit.), **Broadening Horizons 3, Conference of Young Researchers Working in the Ancient Near East**, Barcelona, PP. 113-114.

-Tsuneki, A. 2012, Tell el- Kerkh as a Neolithic Mega Site, Orient, Vol. XLVII, PP. 29- 66.

-Van Zeist, W. & Bakker-Heeres, J.A.H.

1979, Some Economic and Ecological Aspects of the Plant Husbandry of Tell Aswad, paleorient, Vol 5, PP. 161- 169.

1982, Archaeobotanical Studiesin the Levant 1, Neolitic Sites in the Damascus Basin: Aswad, Ghoraife, Ramad, Palaeohistoria, Vol. 24, PP. 165-256.

-Van Zeist, W. & Bottema, S. 1966, Palaeobotanical investigations at Ramad, AAAS, Vol. 16/2, PP. 179- 180.

-Verhoeven, M. 2004, Beyond Boundaries: Nature, culture and a Holistic Approach to Domestication in The Levant, Journal of World Prehistory, Vol. 18, N. 3, PP. 179 – 282.

-Weiss, H. 1991, Archaeology in Syria, American Journal Archaeology, Vol. 95, N. 4, PP. 683- 740.

-Willcox, G. 1991, La Culture Invevtee, La Domestication Inconsciente: Le Debut de L'Agriculture au Proche Orient, **Rites et Rythmes agraires**, Vol. 20, Lyon, PP. 9 – 29.

-Wright, K. 1993, Early Holocene Ground Stone Assemblages, Levant 25, PP.93- 111.

قائمة المختصرات الواردة في النص

- AAAS : Les Annales Archaelogiques Arabes Syriennes.
- ASOR :American Schools of Oriental.
- BASOR: Bunlletin of the American Schools of Oriental Research.
- CNRS: Centre National de Le Recherche Scientifique.
- DGAM : Direction General des Antiquites et des Musees.
- IFAPO: L' Institut Francais d' Archaelogie du Proche Orient.

فهرس الجداول

فهرس الأشكال والصور

ملحق الجداول

الفترة الزمنية	التأريخ
الثقافة النطوفية	12000 – 10000 ق.م
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ	10000 – 8700 ق.م
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب القديم	8700 – 8200 ق.م
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب الوسيط	8200 – 7500 ق.م
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب الحديث	7500 – 7000 ق.م
العصر الحجري الحديث الفخاري	7000 – 5500 ق.م
العصر الحجري النحاسي ثقافة حلف	5500 – 4500 ق.م
ثقافة العبيد	4500 – 3500 ق.م
حضارة أوروك	3500 – 3000 ق.م

جدول **1**: تأريخات الفترات الزمنية المدروسة..

الفترة الزمنية / اسم الموقع	ملاحة جيرود	باز جبعدين	قوس قزح	قرنة المغارة	يبرود III	تل أسود	تل الغريفة	تل عطنة	تل الرماد	تل البحارية	تل الخزامى
الثقافة النطوفية	×	×	×	×	×						
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار آ PPNA											
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب القديم PPNB						×					
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب الوسيط						×	×				
العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب الحديث						×	×	×	×		
العصر الحجري الحديث الفخاري									×		
العصر الحجري النحاسي										×	×

جدول**2** : توزع مواقع حوضة دمشق على الفترات الزمنية المدروسة.

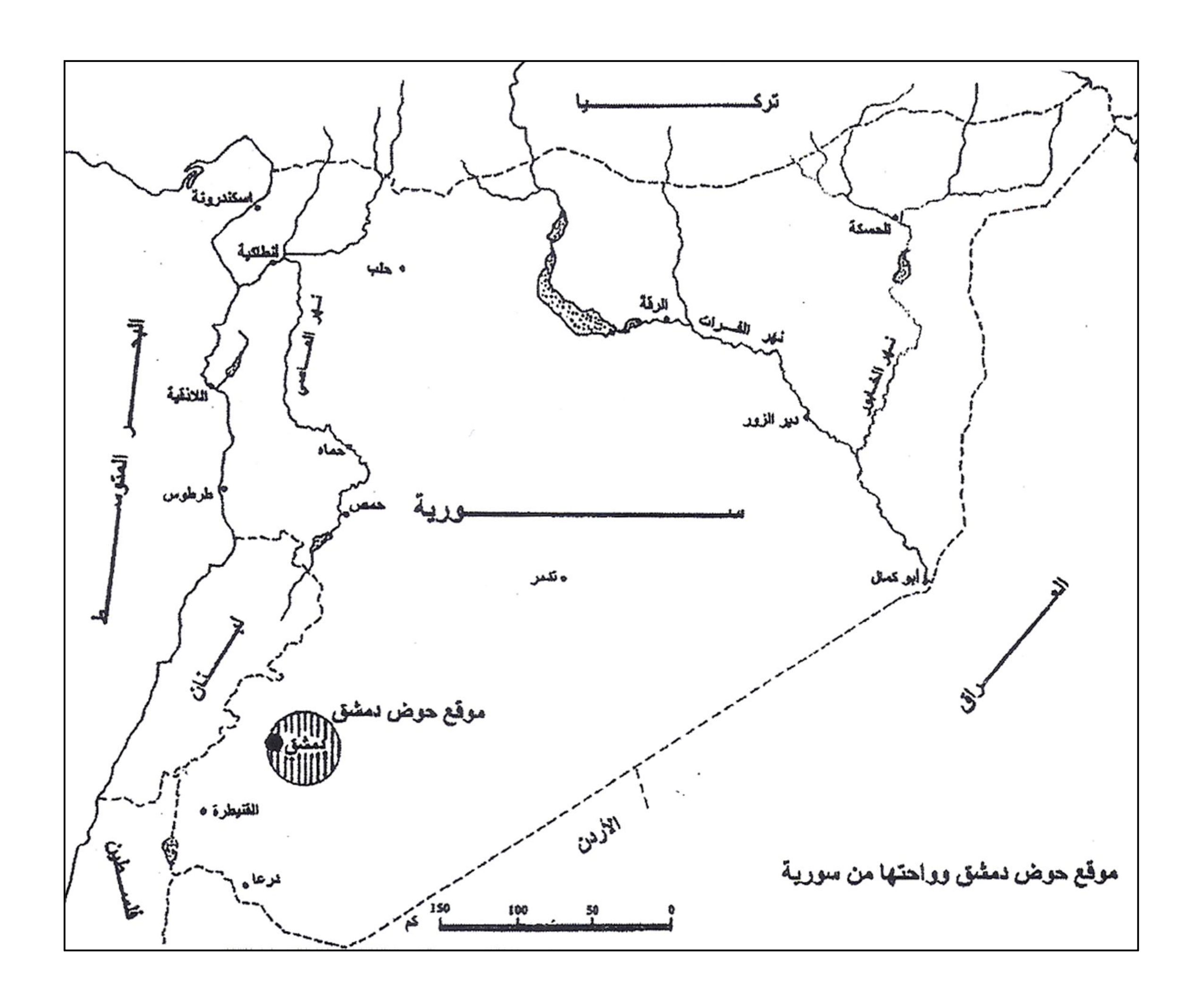
اسم الموقع / العناصر الحضارية	ملاحة جيرود	باز جبعدين	قوس قزح	قرنة المغارة	يبرود III	تل أسود	تل الغريفة	تل عطنة	تل الرماد	تل البحارية	تل الخزامى
العمارة		×				×	×	×	×	×	×
الأدوات الحجرية	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×	×
الأدوات العظمية						×	×	×	×	×	×
الفخار									×	×	×
الفنون						×	×		×	×	×
الحلي		×	×			×	×		×	×	×
ممارسات الدفن						×			×	×	

جدول **3**: توزع العناصر الحضارية المدروسة في مواقع حوضة دمشق.

مواقع المشرق الشمالي	
كهف الديدرية	يقع كهف الديدرية في وادي الديدرية في جبل سمعان، الذي يبعد عن حلب حوالي 65كيلومتراً شمالاً ويطل على منطقة وادي عفرين.
المريبط	يقع في الجزيرة السورية، على الضفة اليسرى للفرات الأوسط، نحو 100كم غرب مدينة الرقة.
أبو هريرة	نع على الفرات الأوسط، تماماً عند الانعطاف الأول لنهر الفرات، شرقاً باتجاه العراق، وجنوب موقع المريبط
الكوم	يقع على بعد 80كم شمال غرب تدمر، وسط حوض عرضه 25، وطوله 8كم.
الشيخ حسن	يقع 15كم شمال موقع المريبط، على نفس الضفة من نهر الفرات.
الجرف الأحمر	يقع على بعد 17كم شمال شرق منبج، على الشاطئ اليمن للفرات.
حالولة	يقع على ضفة الفرات الأوسط اليمنى، وعلى مسافة 700م من السرير الحالي للنهر.
جعدة المغارة	يقع شمال موقع قره قوزاق في الشمال الغربي من حلب، على الضفة اليسرى للفرات الأوسط.
بقرص	يقع بالقرب من قرية بقرص على الطرف الجنوبي من الفرات، مقابل مصب الخابور في منطقة جافة.
أسود البليخ	يقع في الجزيرة السورية على بعد 80كم شمال الرقة، و20كم جنوب تل الصبي الأبيض
قميناس	يقع على منحدر طبيعي في الطرف الغربي من قرية قميناس الحديثة، على وادي أريحا، ويبعد 6كم جنوب شرق مدينة إدلب، وحوالي 500م عن تل دينيت.
تل مشنقة	يقع جنوب الحسكة حوالي 30كم، وسط منطقة الخابور.
تل براك	يقع على بعد 40كم شرق الحسكة بالقرب من وادي جغجغ، في سهول الخابور العليا.
أم قصير	يقع عل الضفة اليسرى لنهر الخابور جنوب الحسكة ب 30كم تقريبا.
تل صبي أبيض	يقع في الجزء الشمالي من وادي البليخ في الجزيرة السورية.
تل عقاب	يقع في الجزيرة السورية، أعالي نهر الخابور العليا.
مواقع المشرق الجنوبي	
عين ملاحة	يقع في فلسطين، إلى الشمال من بحيرة طبرية، على الضفة اليمنى من وادي نهر الأردن.
نحال أورين	يقع في الجهة الغربية من منحدرات جبال الكرمل، على بعد 10كم جنوب حيفا.
عين غزال	يقع في الشمال الشرقي من مدينة عمان.
تليلات الغسول	يقع شمال شرق البحر الميت.
أبو مطر	يقع شمال صحراء النقب
أبو حامد	يقع بين طبريا شمالا والبحر الميت جنوباً، وهو على مسافة أقل من كيلومتر عم الضفة الغربية لنهر الأردن

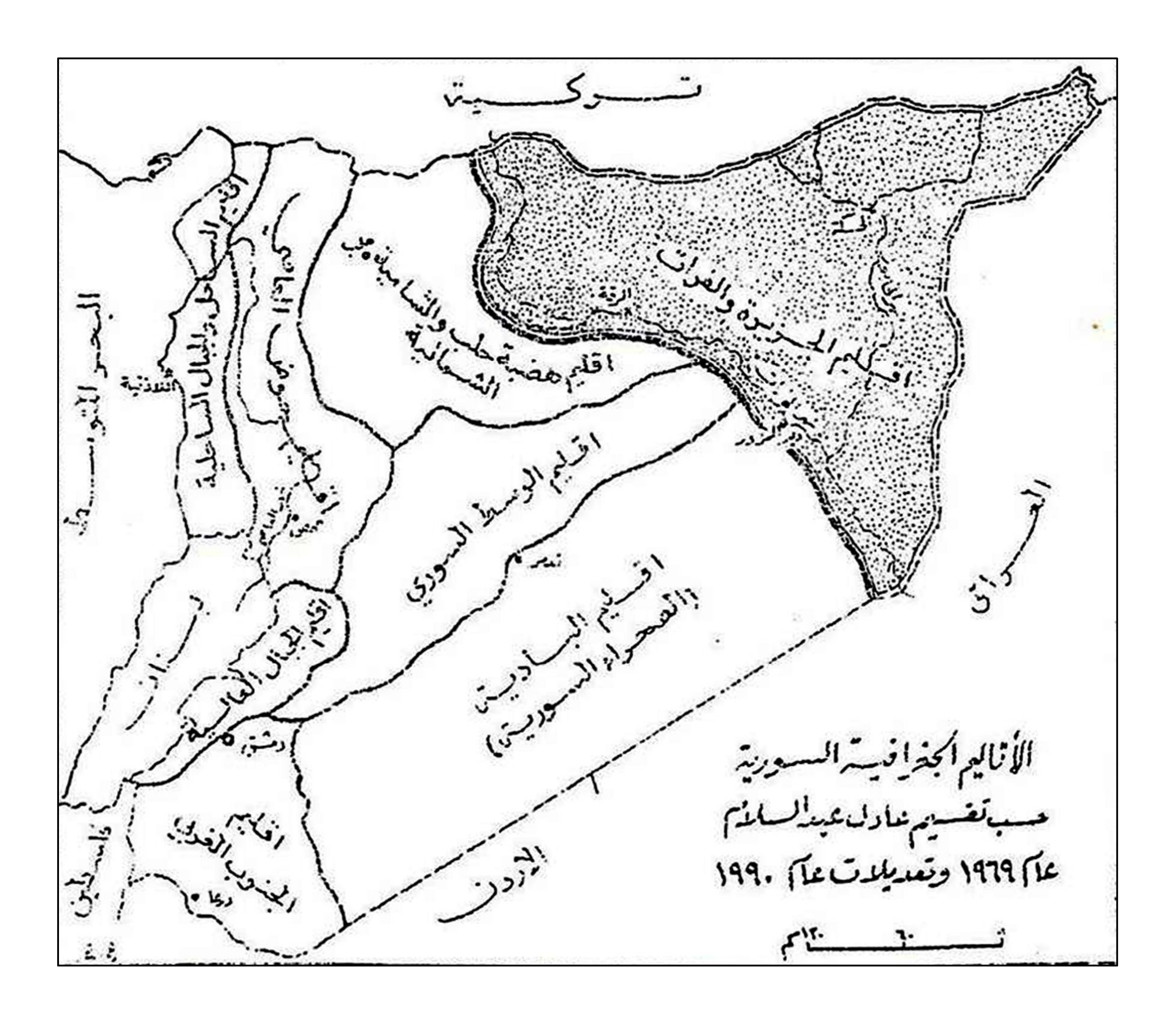
جدول **4**: مواقع من المشرق الشمالي والمشرق الجنوبي، تم المقارنة معها.

ملحق الأشكال والصور



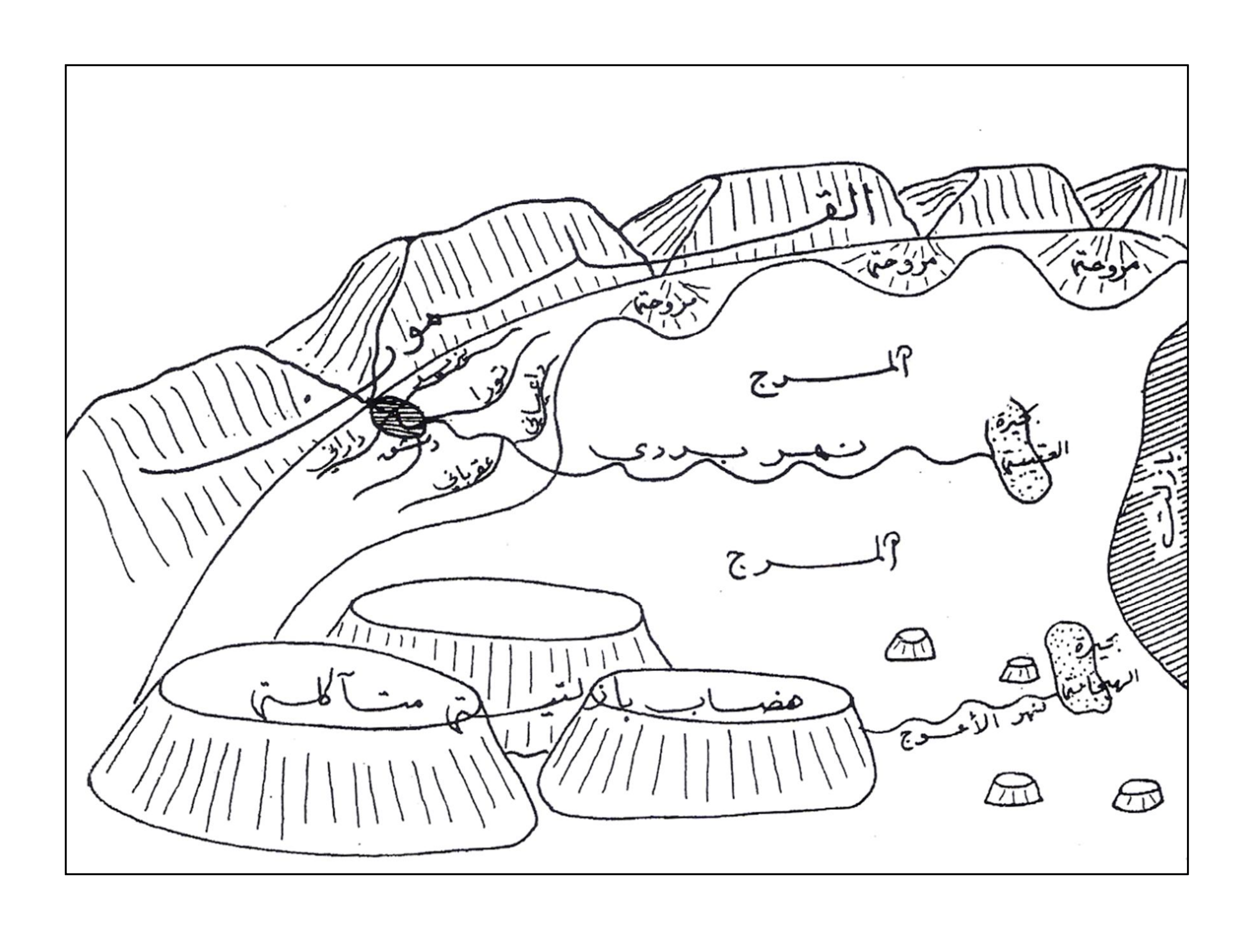
الشكل رقم 1: موقع حوضة دمشق في الجمهورية العربية السورية.

(عبد السلام، عادل، 2008: الشكل 1، ص 72)



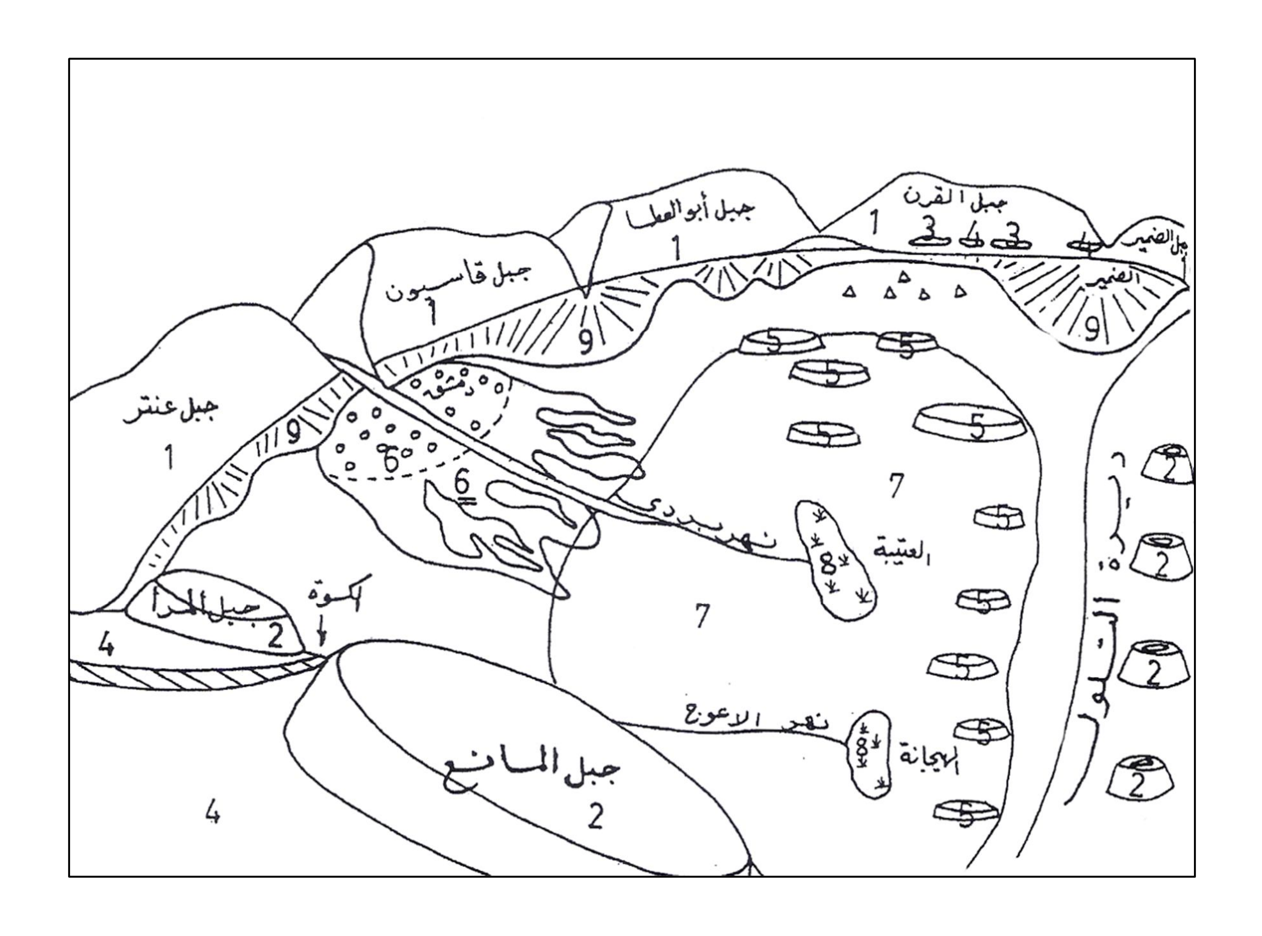
الشكل رقم 2: موقع الإقليم الجنوب الغربي مع الأقاليم الأخرى في سورية، وهو الإقليم الذي تقع فيه حوضة دمشق.

(عبد السلام، عادل، 2008: الشكل 2، ص 73)



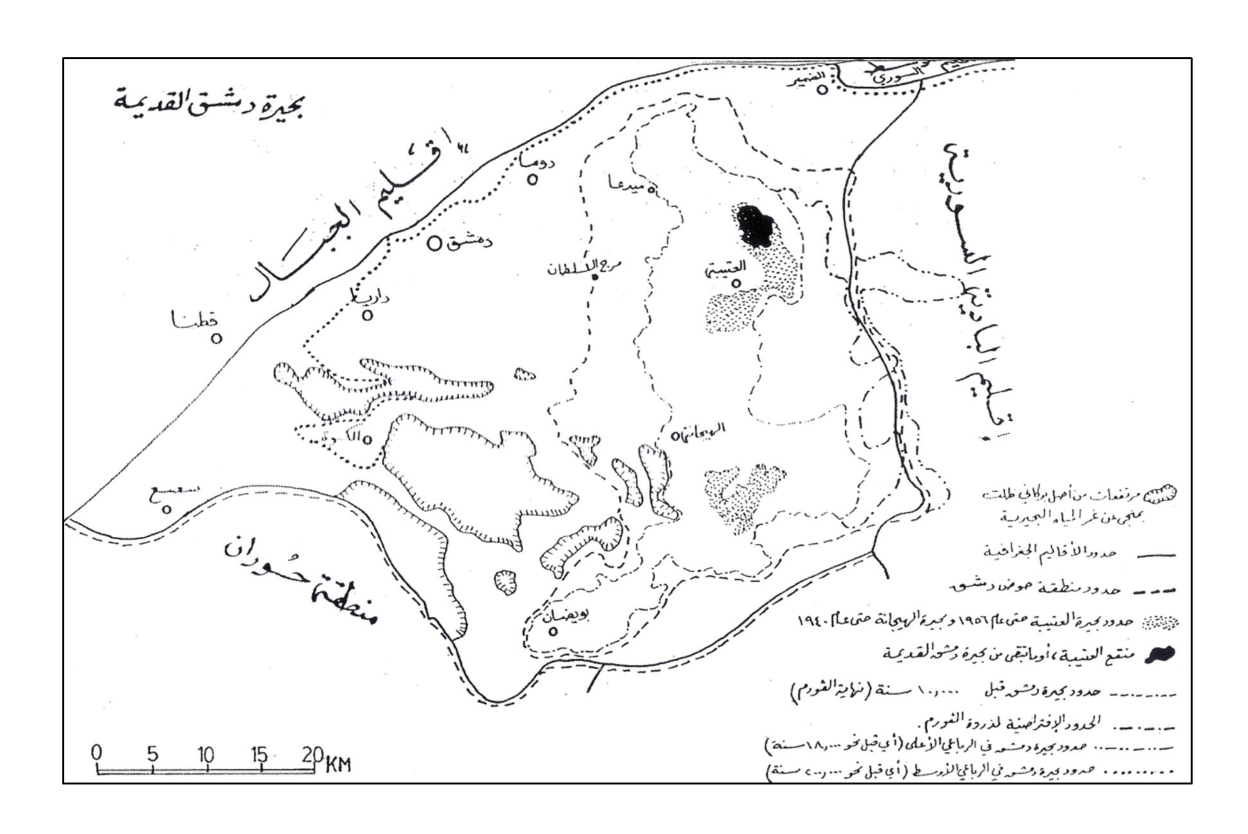
الشكل رقم 3: رسم منظر مجسم لحوضة دمشق، يوضح الأجزاء الشمالية الغربية للحوضة وأبعادها المثلثية، ونهراها بردى والأعوج.

(خير، صفوح، 1966: الشكل 3، ص 36)



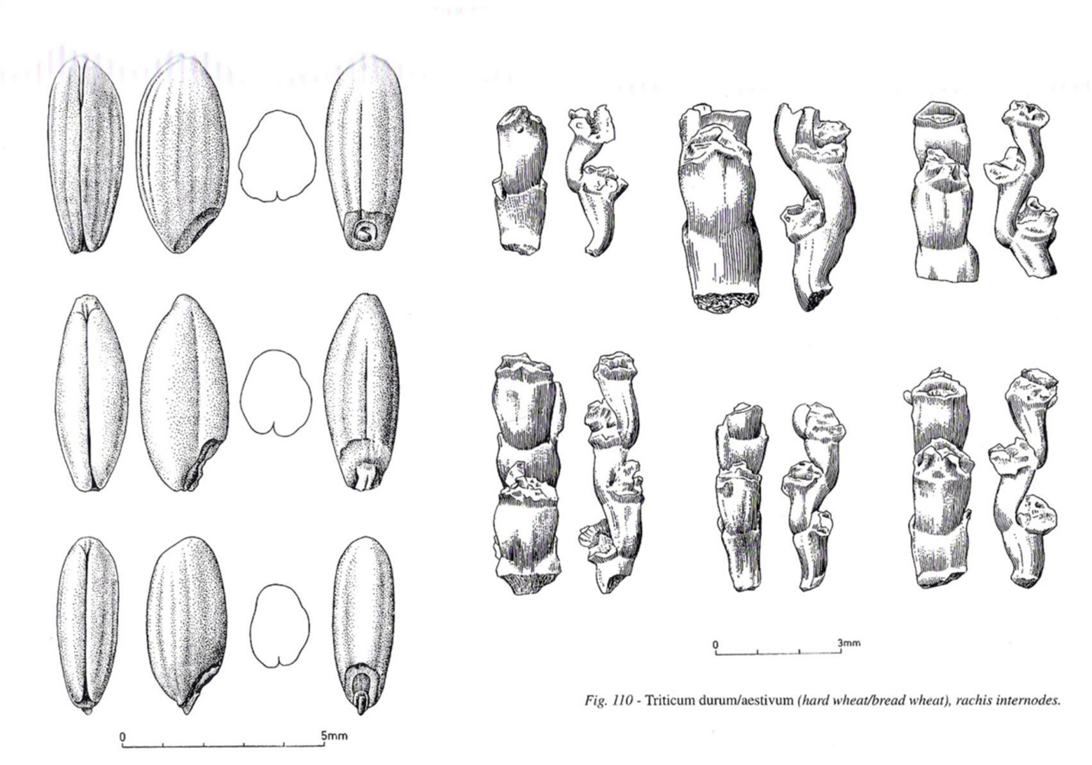
الشكل رقم 4: رسم منظر مجسم لحوضة دمشق، يوضح الأجزاء الشرقية والجنوبية الشرقية للحوضة.

(خير، صفوح، 1966: الشكل 6، ص 43)



الشكل رقم **5**: توضح تطور حدود بحيرة دمشق خلال الحقب الجيولوجي الرابع، حدود البحيرة في الرباعي الأوسط والرباعي الأعلى، وحدودها قبل **10** آلاف سنة (نهاية الفورم)، إضافة إلى حدود بحيرة العتيبة أو ما تبقى من بحيرة دمشق القديمة.

(عبد السلام، عادل، 2008: الشكل 7، ص 105)



الشكل رقم 6: صورة تظهر أشكال النباتات المزروعة في تل الرماد، حبوب من القمح ثنائي الحبة، وسيقان قمح النشوي.

(De Contenson, H. 2000 Fig. 110, P. 267)

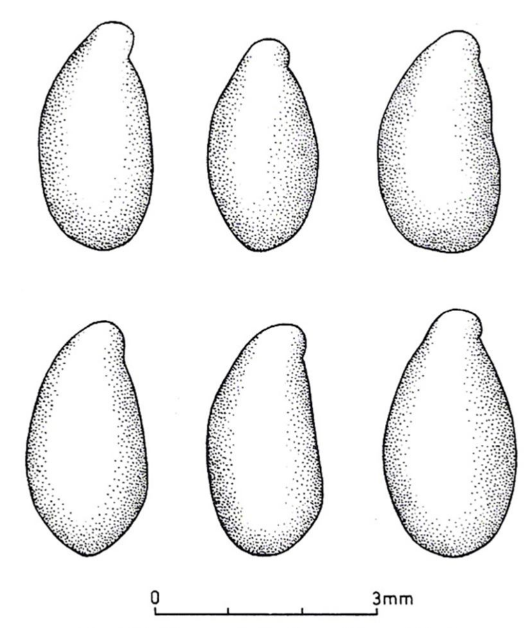


Fig. 114 - Linum usitatissimum *(linseed/flax).*

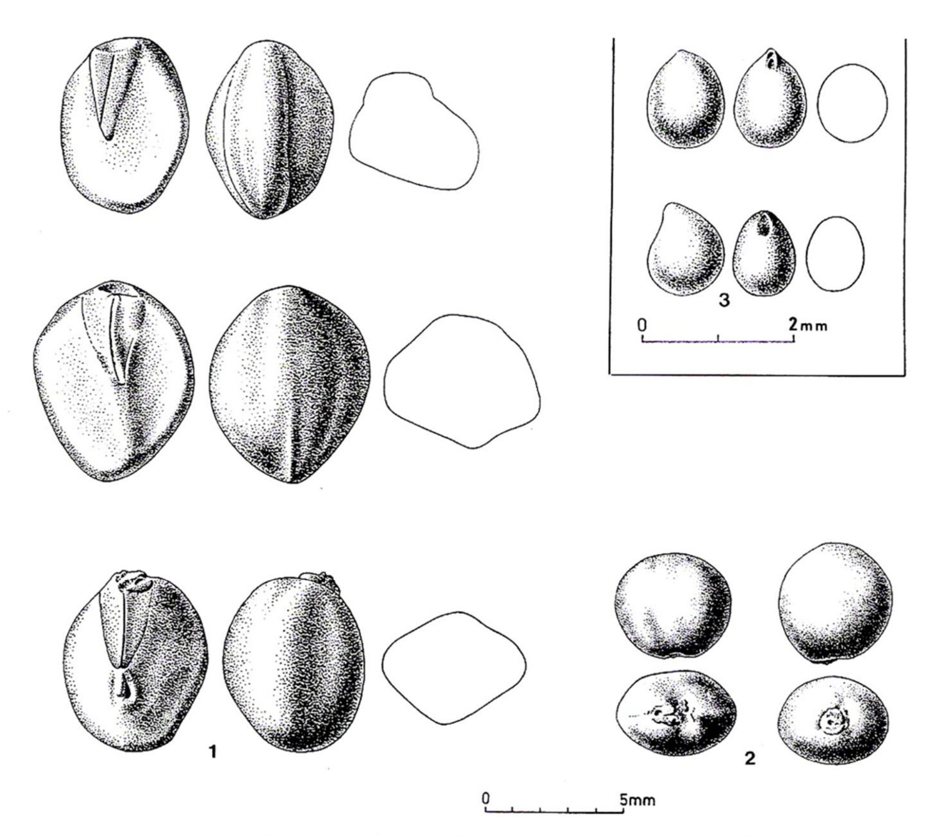
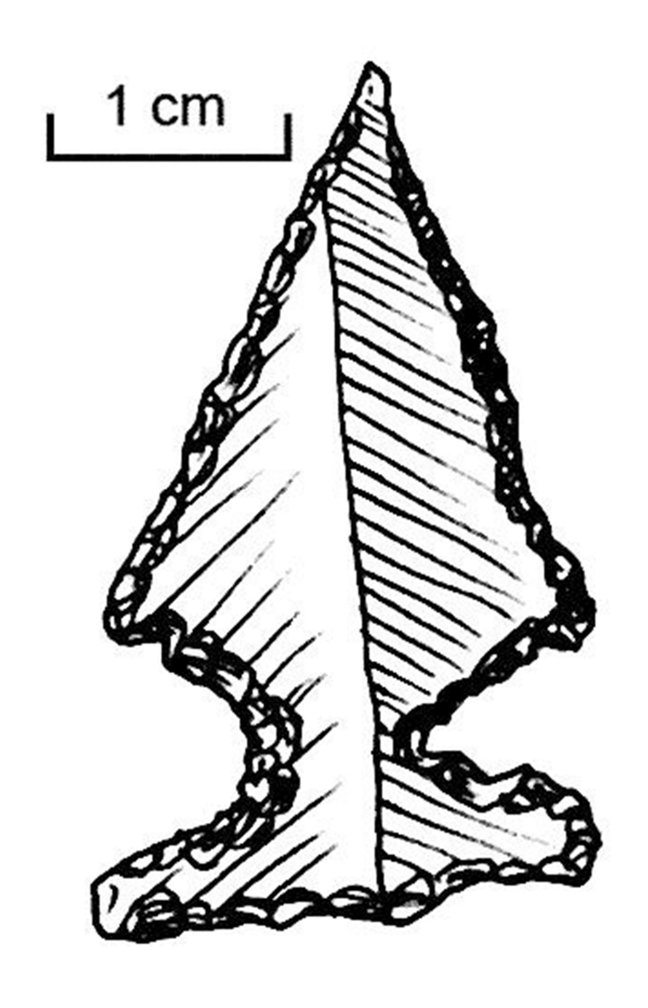


Fig. 115 - 1. Crataegus *(hawthorn); 2.* Pistacia *(pistachio); 3.* Ficus *(fig).*

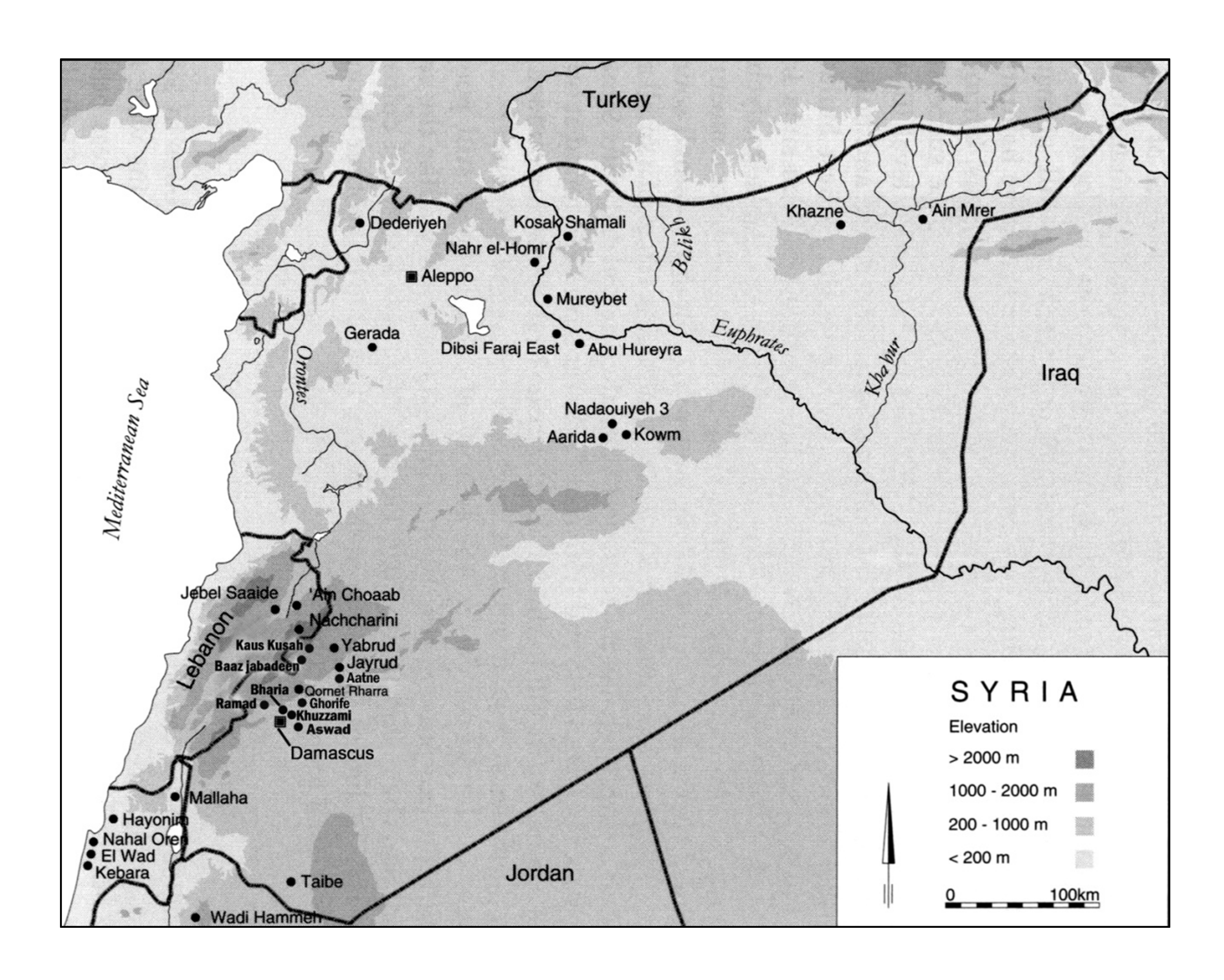
الشكل رقم **7**: يوضح أشكال بذار من تل الرماد مزروعة تعود إلى الكتان، أو ثمار تم جنيها من الموقع وهي فستق.

(De Contenson, H. 2000 Fig. 115, P. 270)



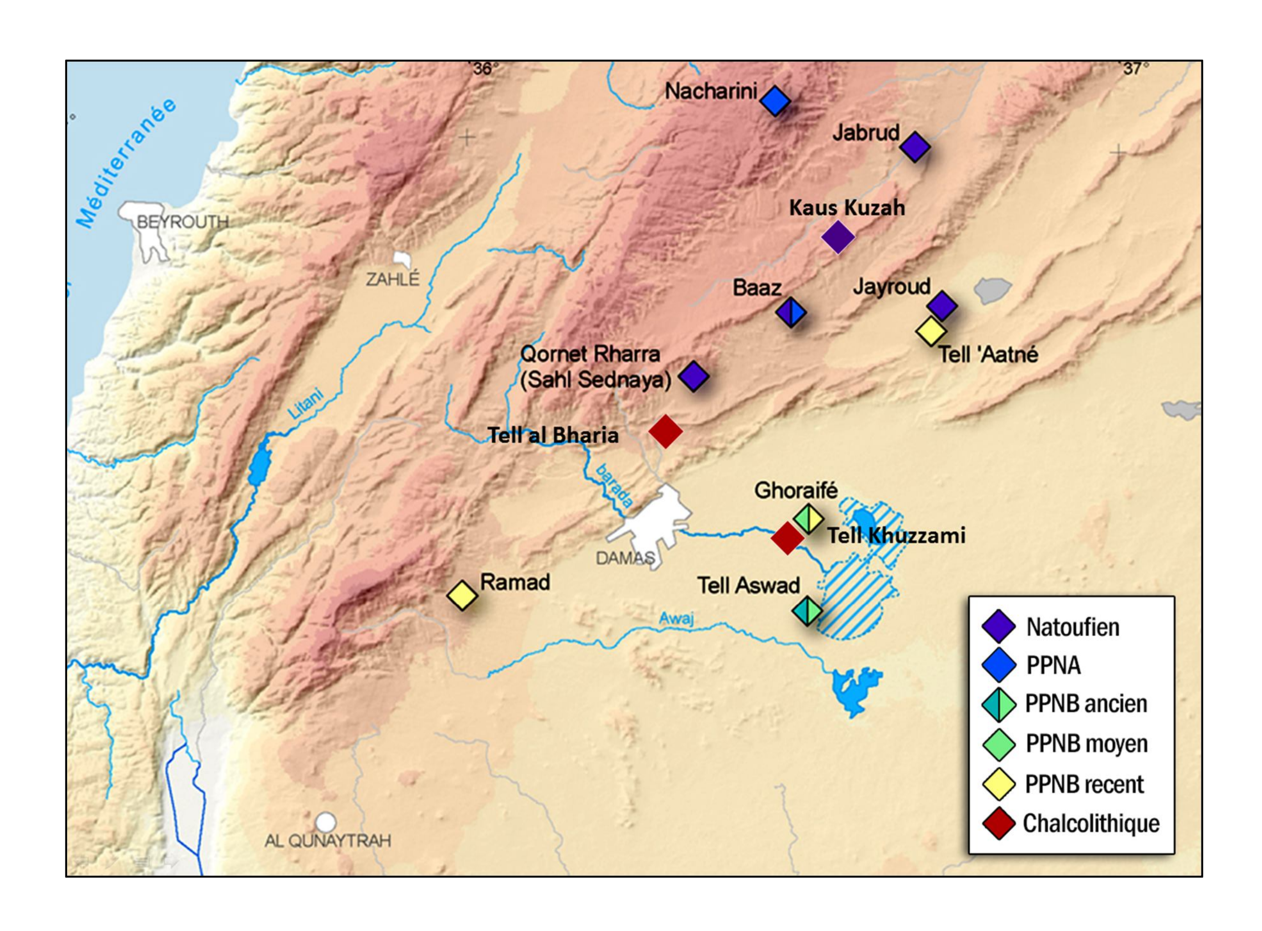
الشكل رقم 8: رسم يوضح شكل الحراب الخيامية، المصنعة على نصال صغيرة ولها عند قاعدتها فرضتان متقابلتان وليس لها ساق، بل نهاية مشذبة ومقعرة.

(Bellwood, P, 2005: Fig. 21, P. 55)



الشكل رقم (1: **9**) توضح توزع مواقع العصر الحجري الحديث والنحاسي في سورية.
(Akkermans,p.2003,fig:26,p.24)

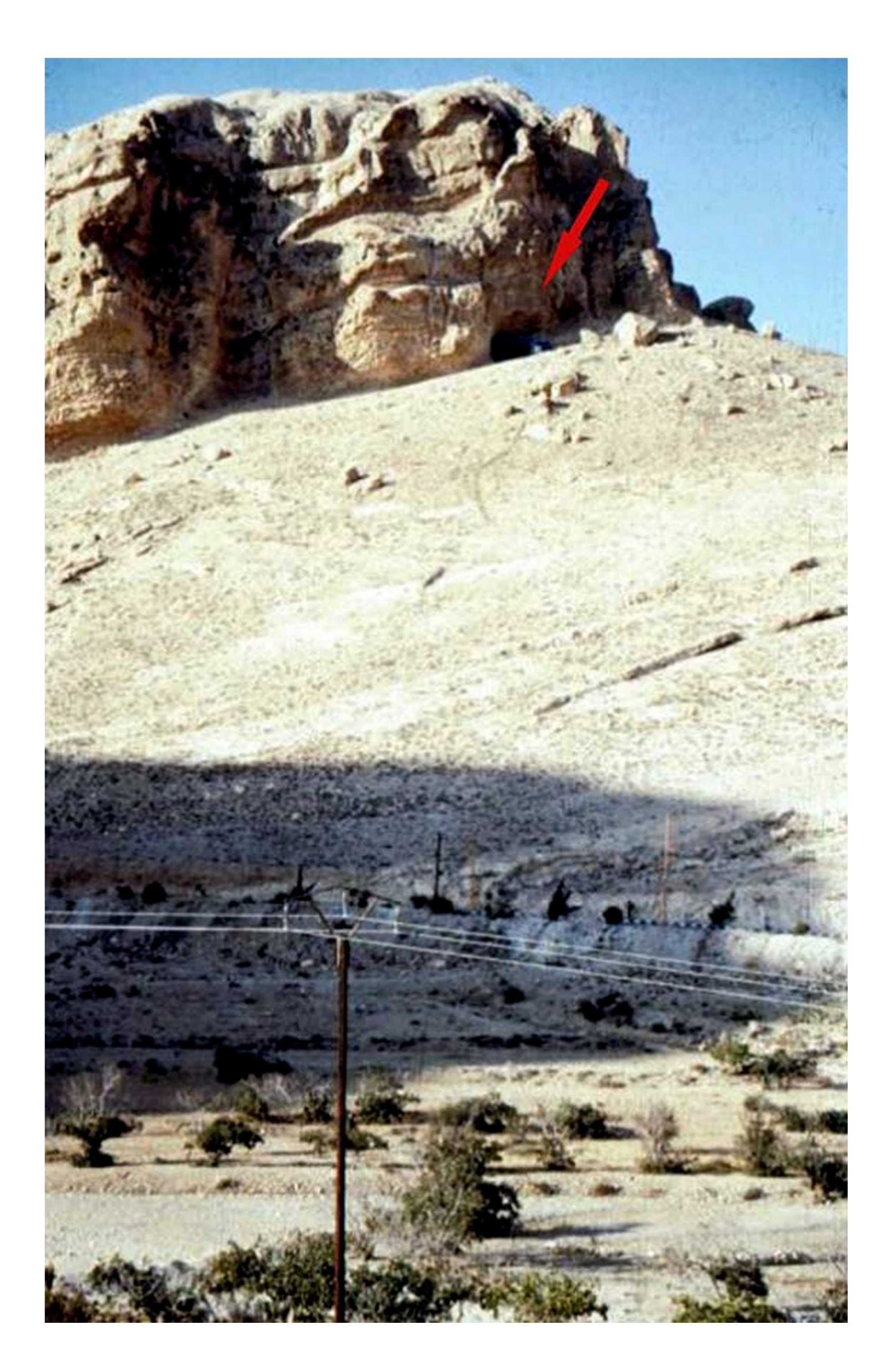
(بتصرف الطالبة)



الشكل رقم (9:2): خارطة تظهر الفترات الزمنية في حوضة دمشق.

(Storeur,D.2010,fig.2,p.11)

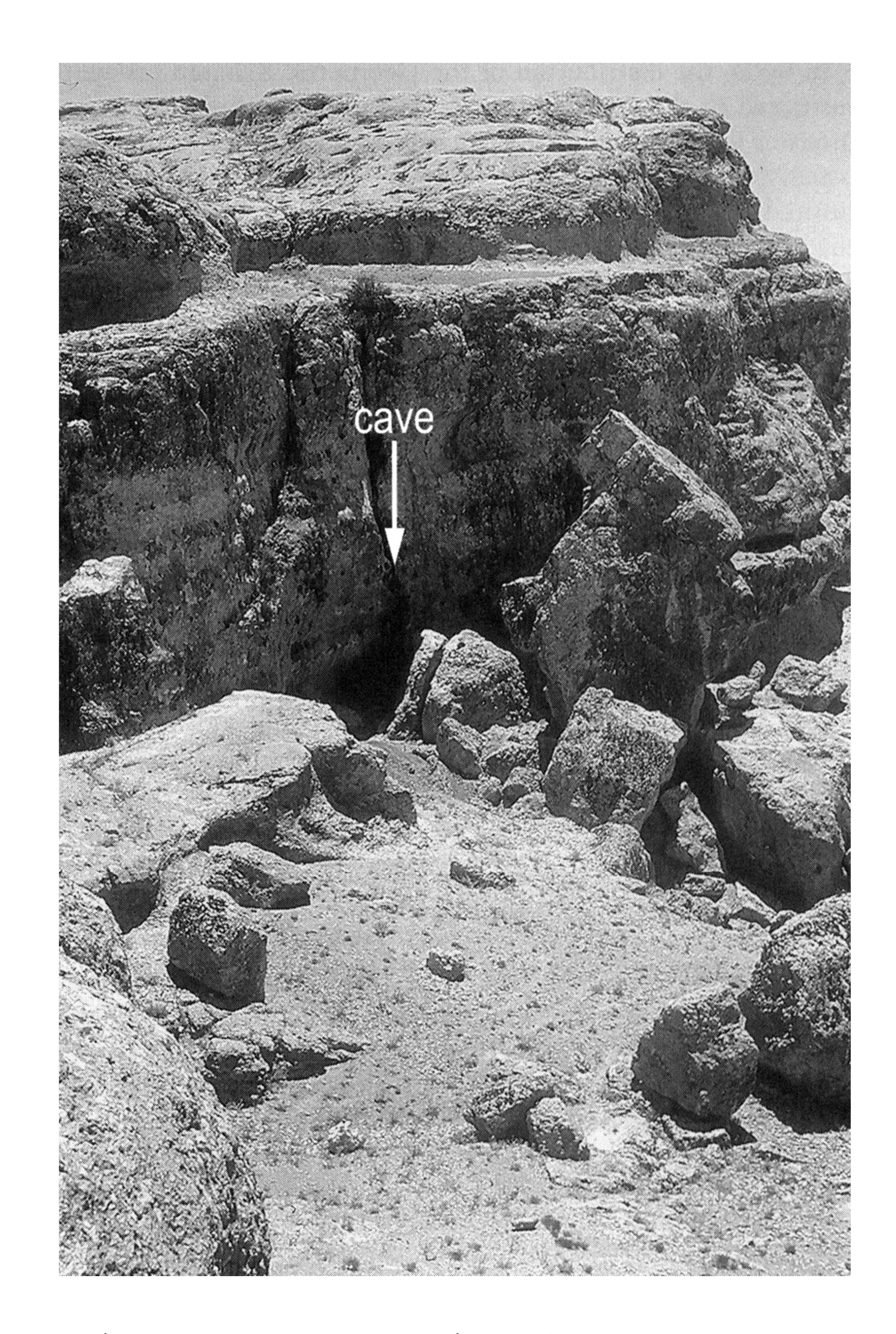
(بتصرف الطالبة)



الشكل رقم 10: صورة تظهر المنظر العام لكهف باز جبعدين.
(Kandel, A.W.2010: Fig. 2, P 60)



الشكل رقم 11: صورة تظهر الشكل العام لكهف قوس قزح.
(Kandel, A.W.2010: Fig. 7, P 62)

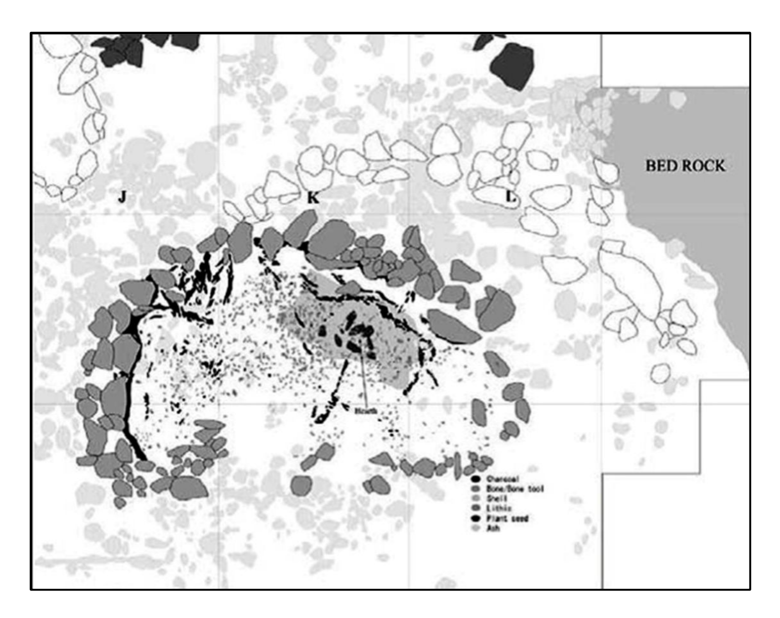


الشكل رقم 12: صورة تظهر شكل الملجأ الثالث من يبرود، وكيف توضعت أمامه كتل صخرية متهدمة.
(Conard, N. J, 2006: Fig. 2, P. 6)



الشكل رقم 13: صورة تظهر أرضية سكن من موقع باز جبعدين، مُيّزت بجدار دائري بني من قطع حجرية كلسية، وعثر داخلها على موقد نار حجري وشماله يوجد جرن حجري (هاون) مغروس في الأرض.

(Kandel, A.W.2010: Fig. 4, P 61)



الشكل رقم 14: صورة توضح أرضية سكن من موقع كهف الديدرية، مشابهة لأرضية سكن باز جبعدين.

(Napierala, H.A 2010: Fig.17, P. 135)



الشكل رقم **15**: يظهر آثار سرير القصب في تل أسود.
(Stordeur, D. et Jamous, B.2006: Fig. 11)



الشكل رقم **16**: جدار من اللبن المقولب، استخدم في البناء في تل أسود.
(Stordeur, D. et Jamous, B.2006: Fig. 12)



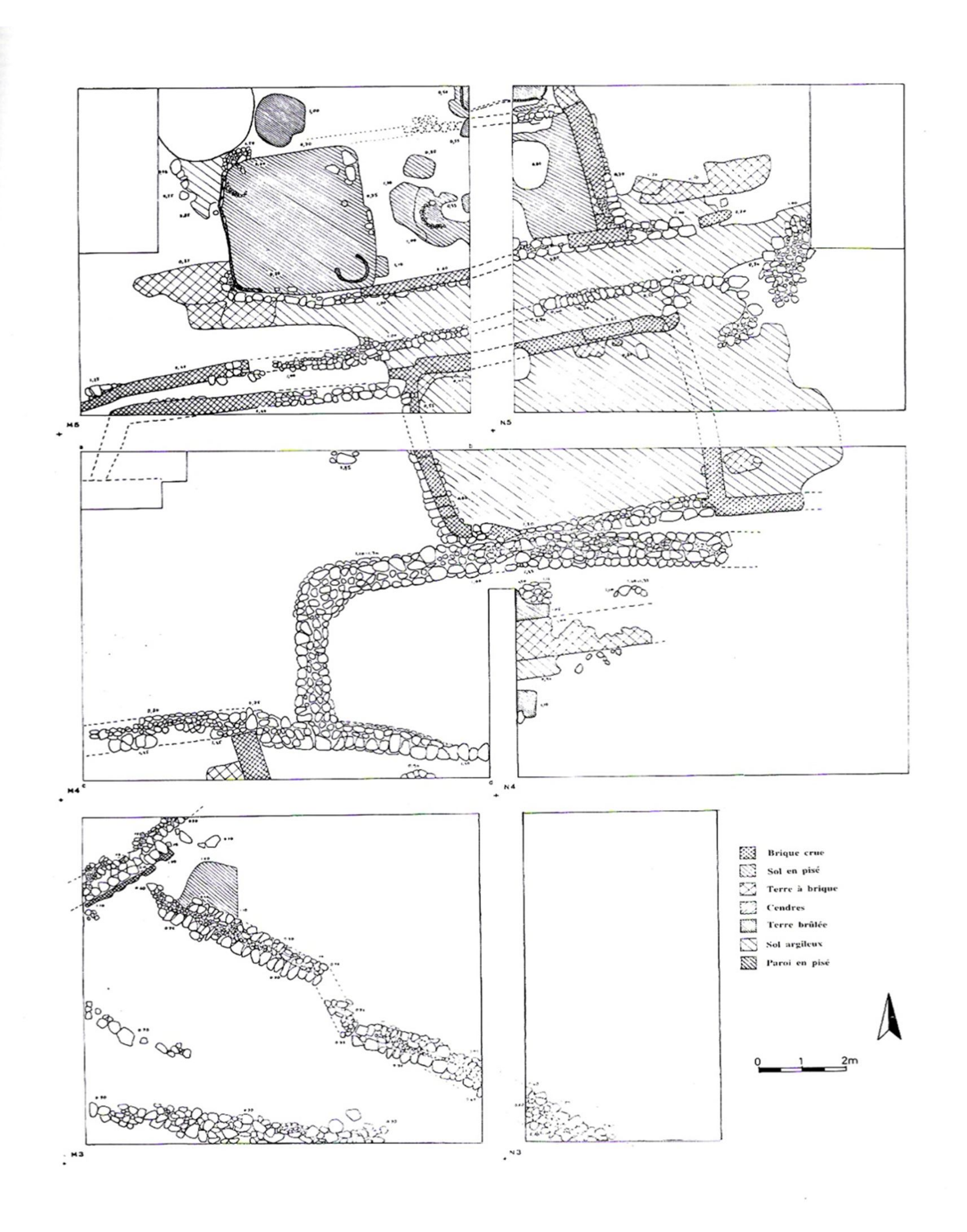
الشكل رقم **17**: العمارة الدائرية في تل أسود.

(Stordeur, D. et Jamous, B.2007: Fig. 7)



الشكل رقم **18**: التقسيمات الداخلية داخل البيوت ووجود مواقد، وحفر تخزين.

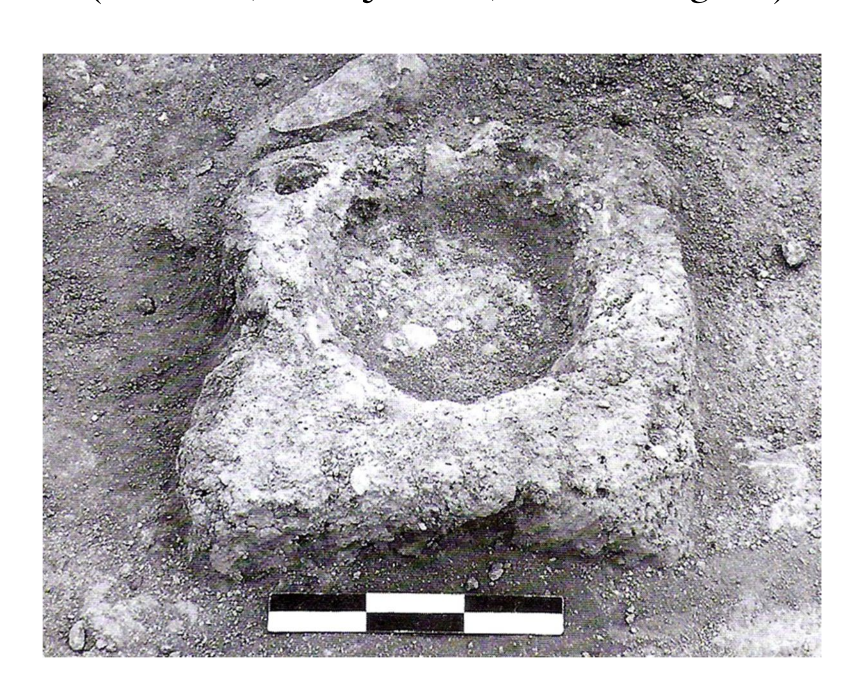
(Stordeur, D. et Jamous, B.2006: Fig. 10)



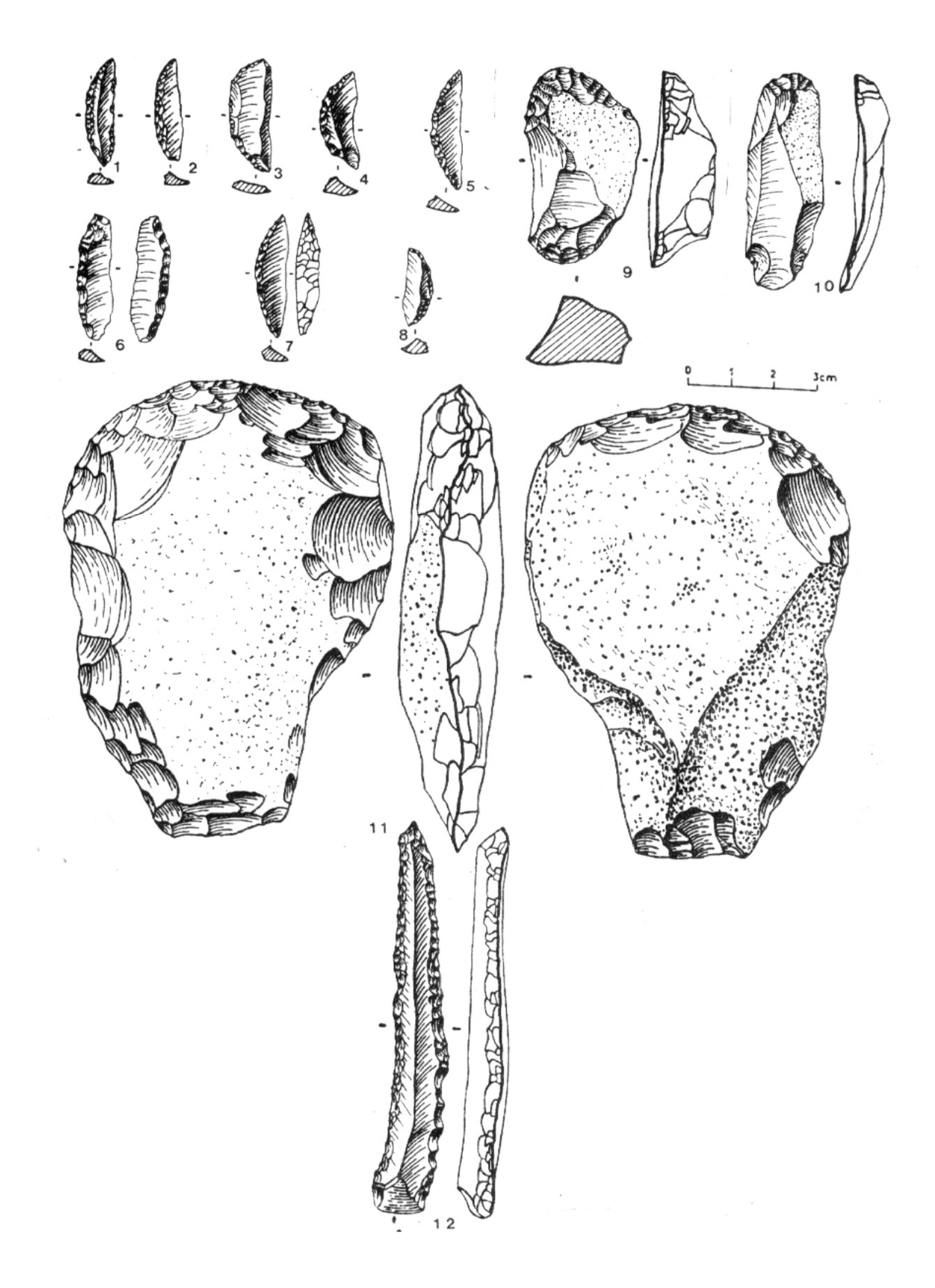
الشكل رقم 19: يوضح العمارة ذات المخطط المستطيل في موقع تل الرماد **II**.
(Mellaart,J. 1975: Fig. 25, P. 60)



الشكل رقم (**20**: **1**) موقد رئيسي من موقع تل أسود.
(Stordeur, D. et Jamous, B.2006: Fig. 14)

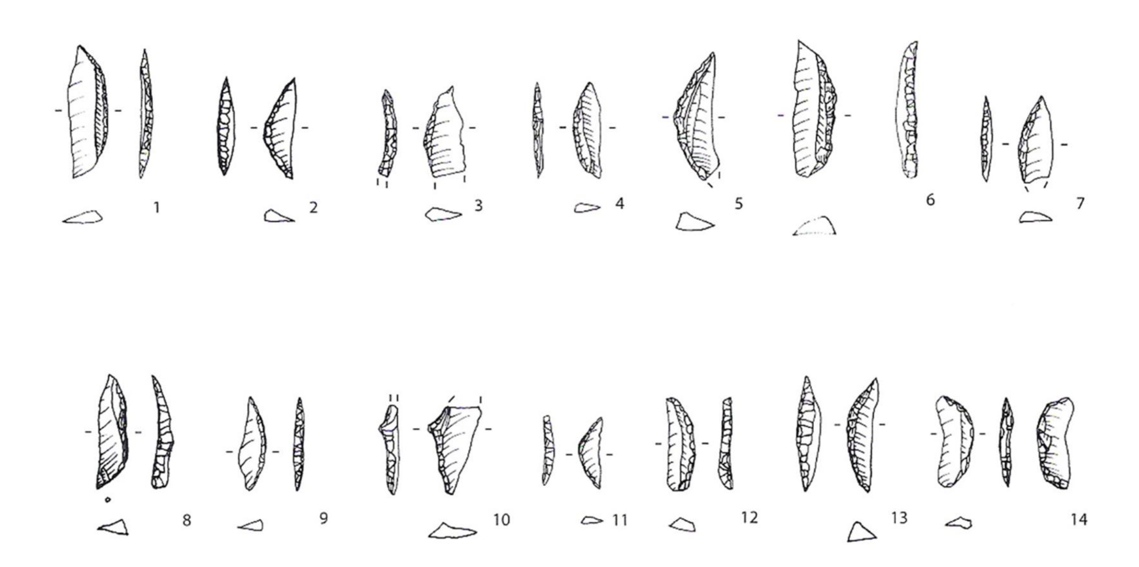


الشكل رقم (**20**: **2**): موقد من موقع تل الرماد.
(De Contenson, H. 2000: pl. IX,P.311)

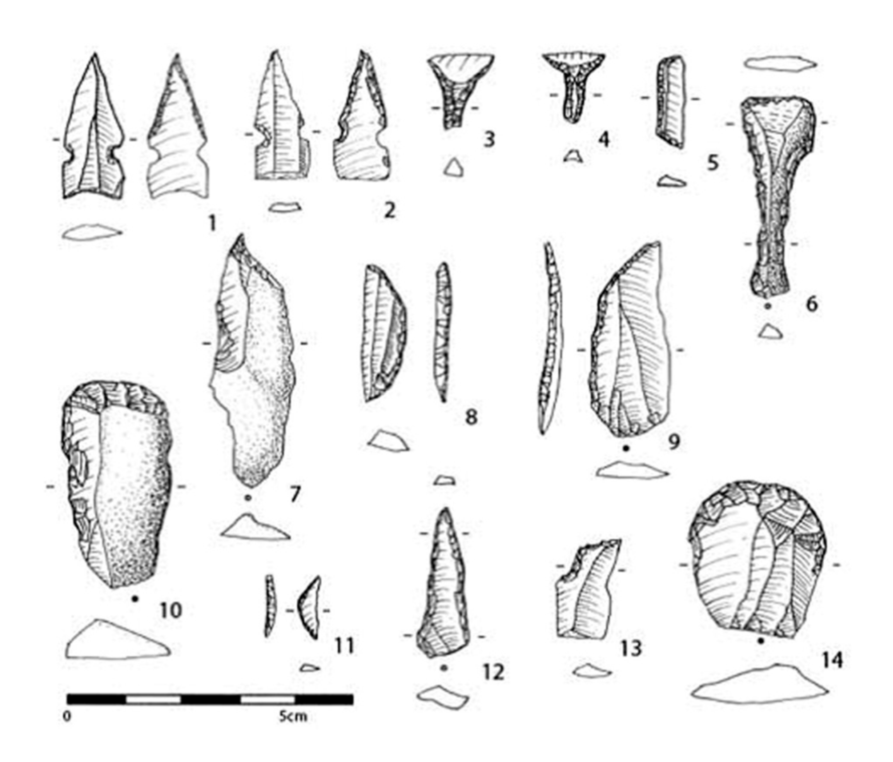


الشكل رقم **21**: أدوات حجرية من موقع جيرود 3، يضم أدوات ميكروليتية على شكل هلال، وهلال بتشذيب حلوان ومكاشط.

(Cauvin, M.C. 1982: Pl. I, P. 280)



الشكل رقم **22**: يظهر أدوات ميكروليتية من موقع باز جبعدين.
(Conard, N.J. 2006: Fig. 4, P. 37)



الشكل رقم **23**: يظهر الحراب الخيامية من موقع باز جبعدين.
(Hillgruber, K. F. 2010: Fig. 19, P. 100)



هاون من الحجر الكلسي

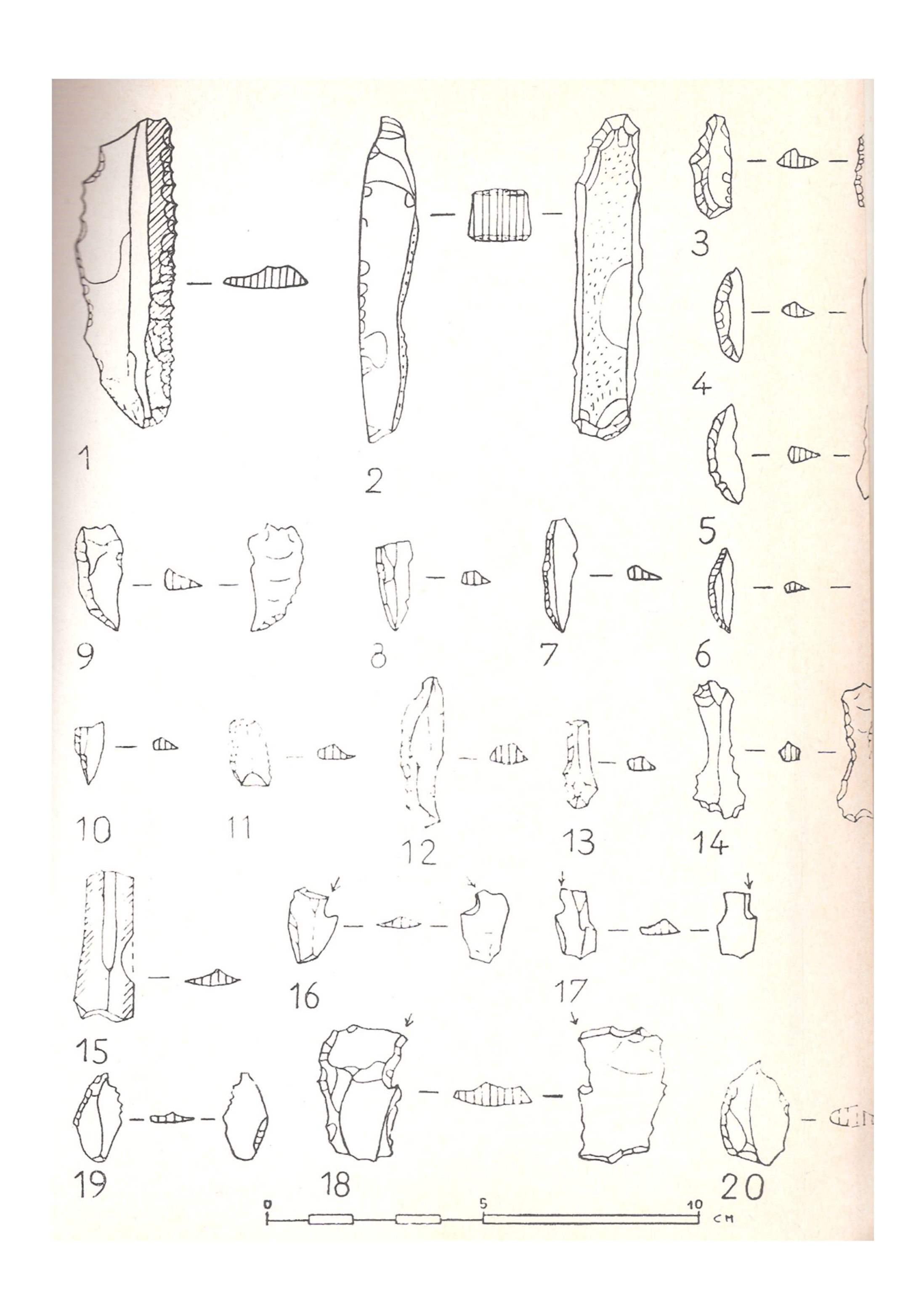


مدقة بازلتية عليها آثار مغرة حمراء



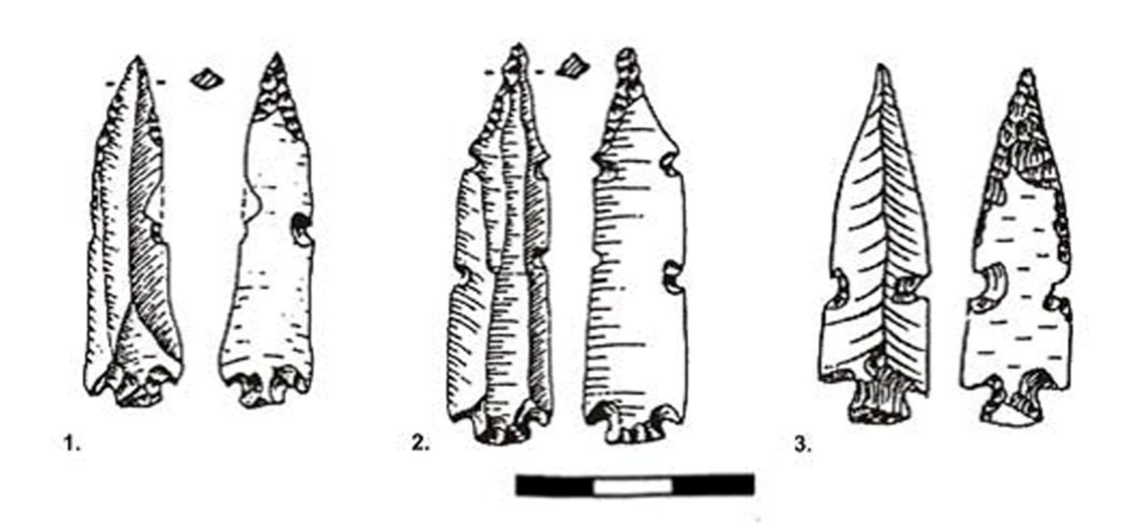
مدقة بازلتية

الشكل رقم **24**: هاون من الحجر الكلسي، ومدقتان بازلتيان من موقع باز جبعدين.
(Hillgruber, K. F. 2010: Fig. 25, P. 105)



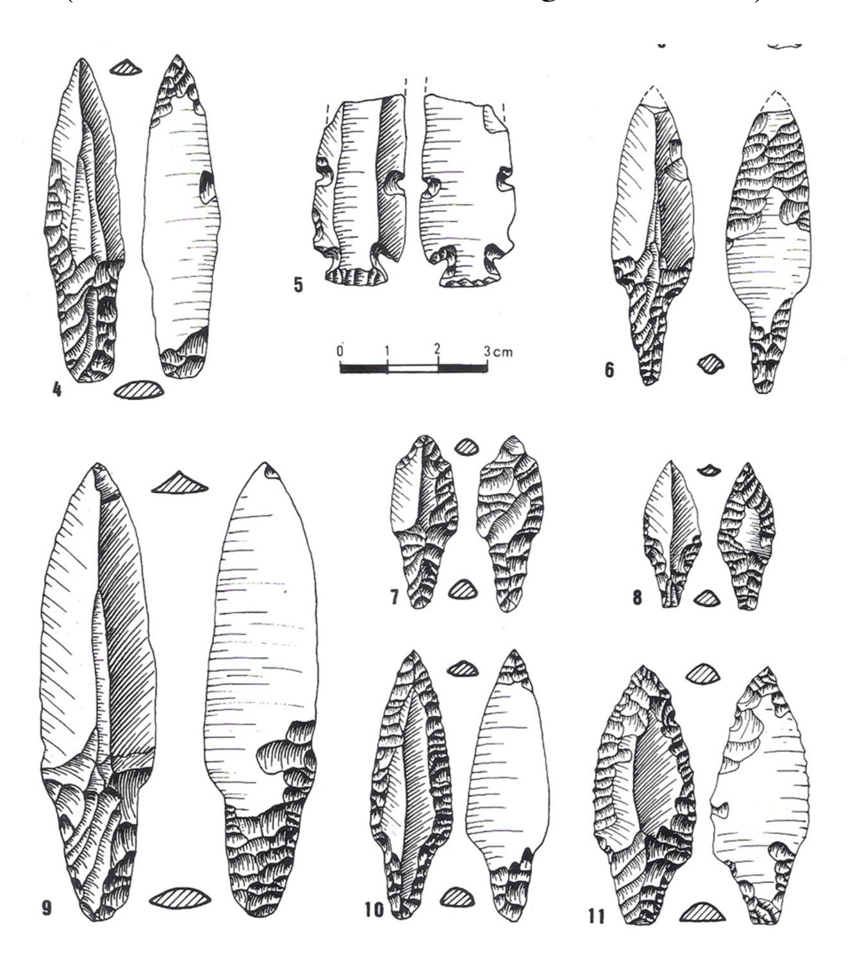
الشكل رقم **25**: أدوات حجرية من موقع قرنة المغارة، نصال صوانية ومكاشط صغيرة ونصال مظهرة.

(De Contenson, H. 1966.a : Pl, I)



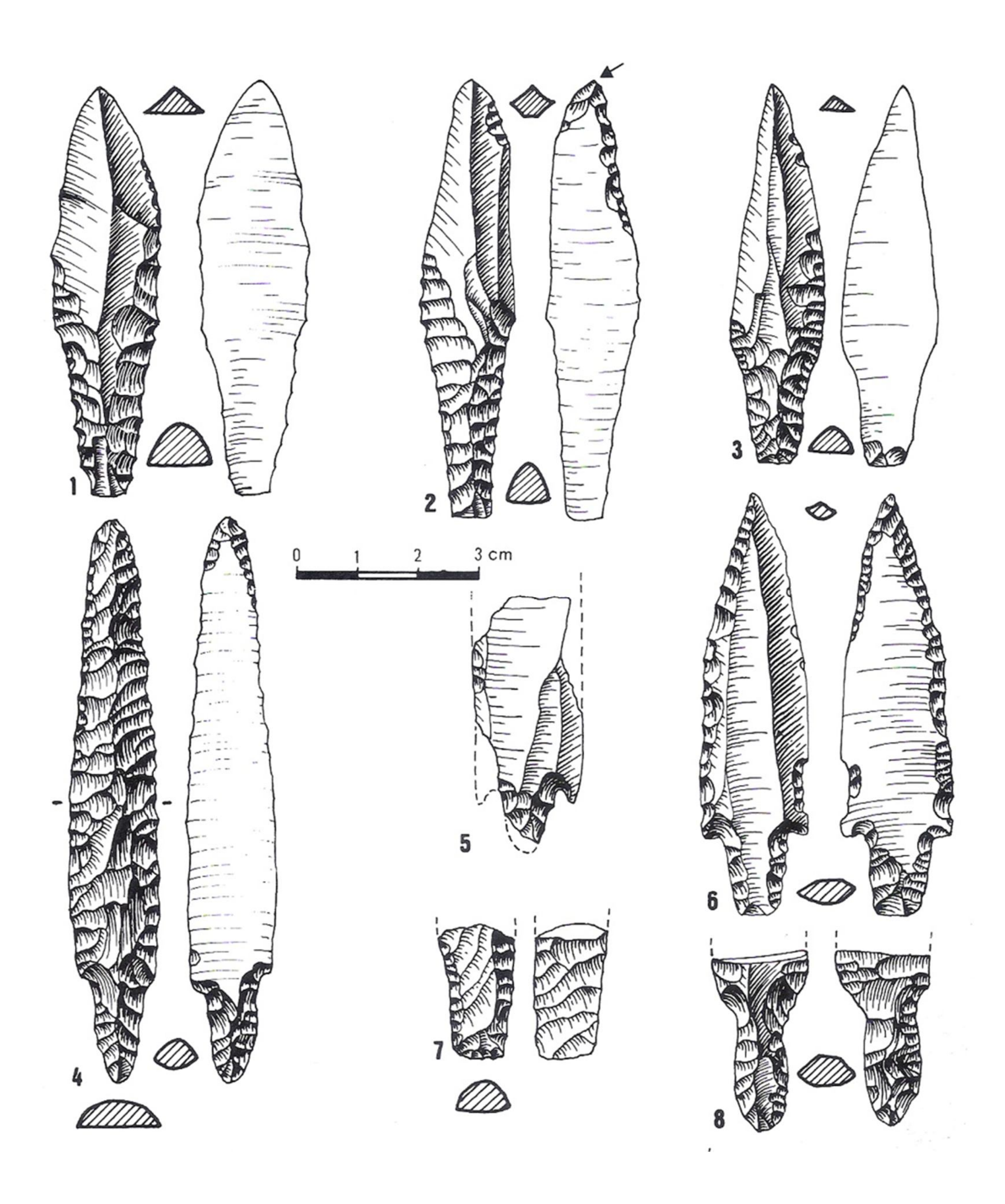
الشكل رقم **26**: رؤوس السهام الأسودية.

(De Contenson, H. 1995: Fig. 93, P. 104)

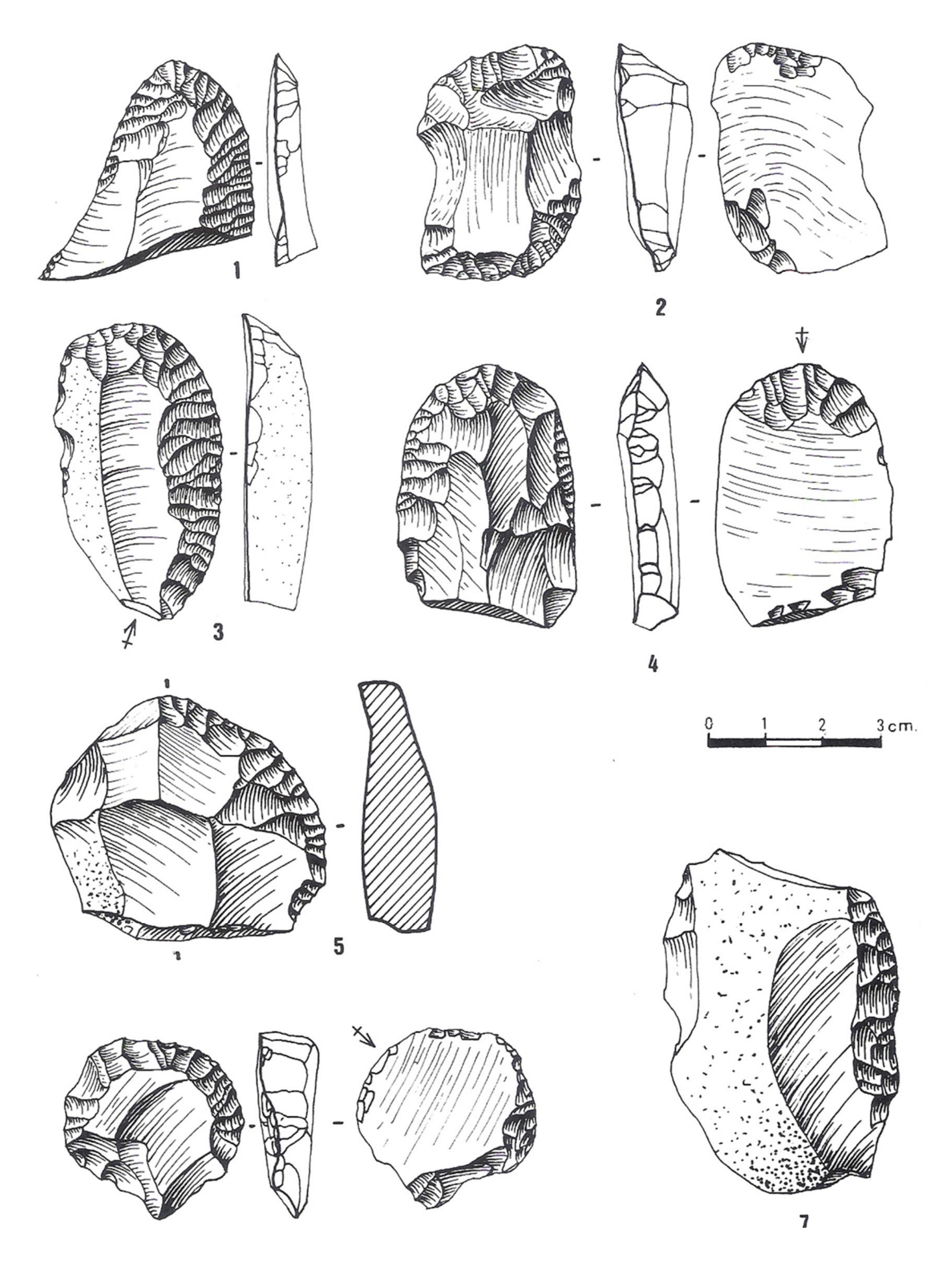


الشكل رقم **27**: مجموعة من رؤوس سهام جبيل ، موقع تل أسود.

(De Contenson, H. 1995: Fig. 99, P. 115)

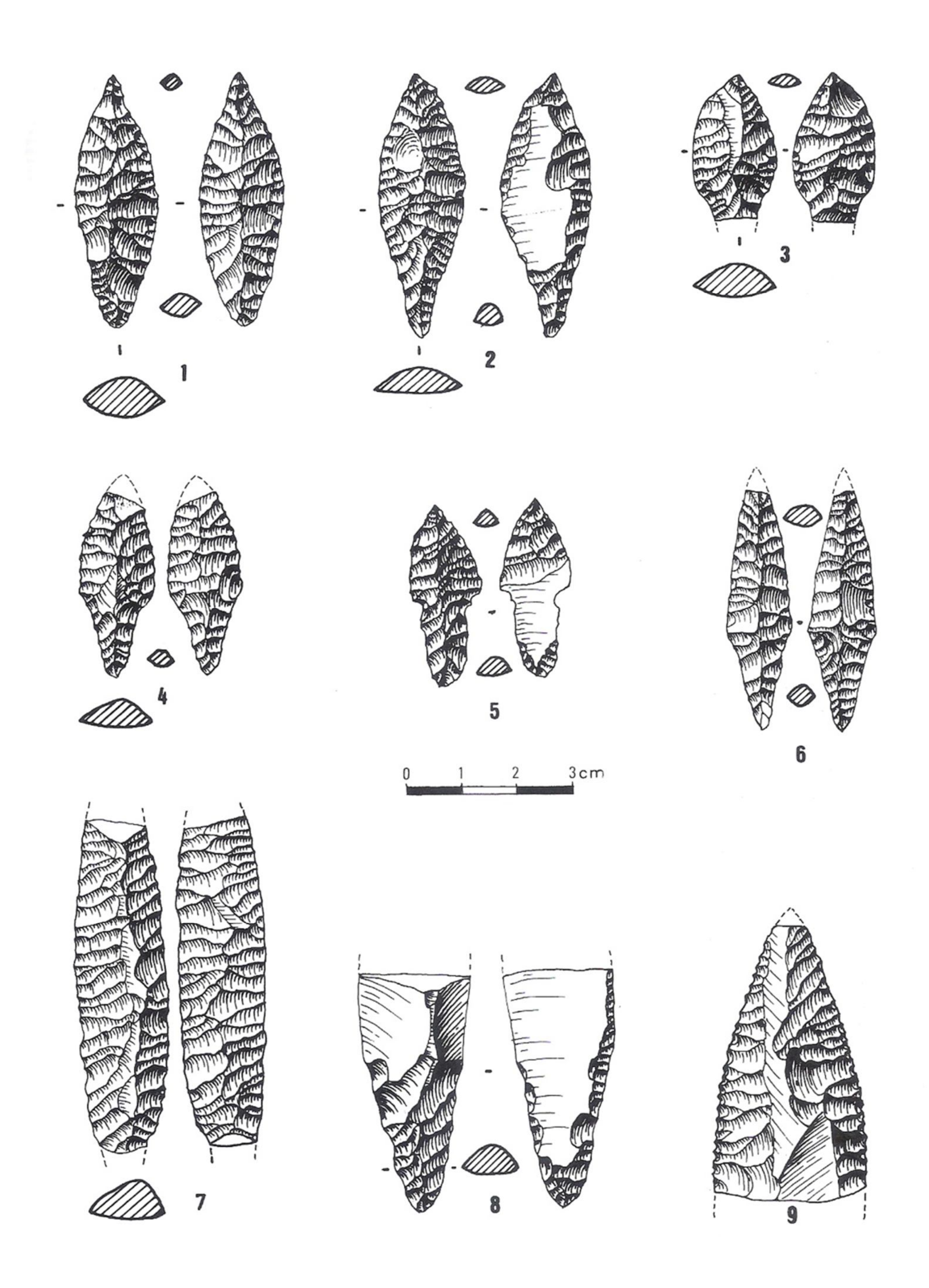


الشكل رقم **28**: رؤوس سهام مصنعة بتقنية أريحا، موقع تل أسود.
(De Contenson, H. 1995: Fig. 102, P. 113)



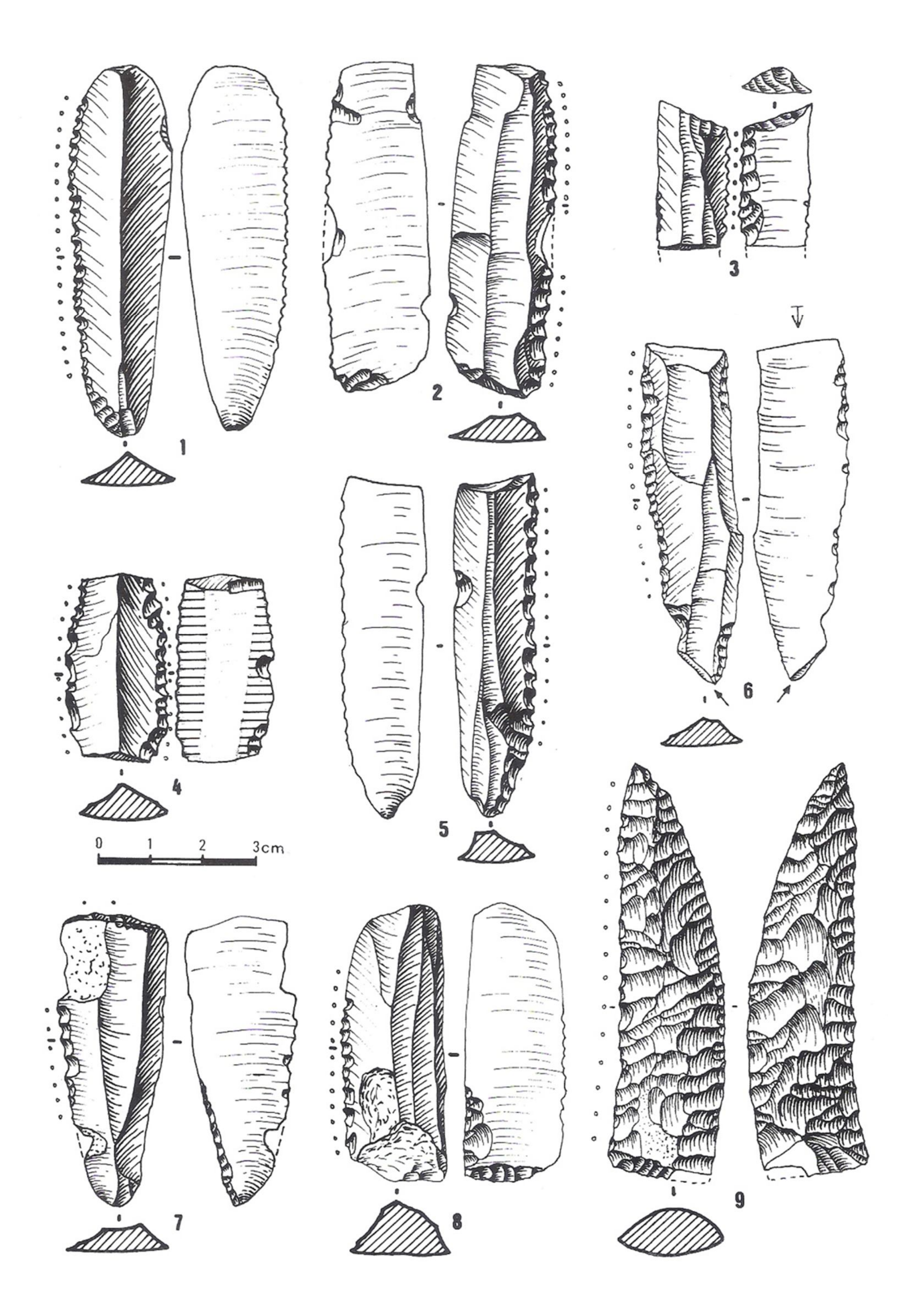
الشكل رقم **29**: مجموعة من المقاحف والمكاشط ، موقع الغريفة **I**.

(De Contenson, H. 1995: Fig. 195, P. 310)



الشكل رقم **30**: مجموعة من رؤوس سهام نوع جبيل، ويظهر ساق الأداة بلمسات شبه خشنة، بتقنية موقع أبو غوش أو موقع رأس شمرة. ورؤوس سهام بيضوية الشكل الجزء السفلي مشذب لكن دون نتوء يفصل بينهما. موقع الغريفة **II**.

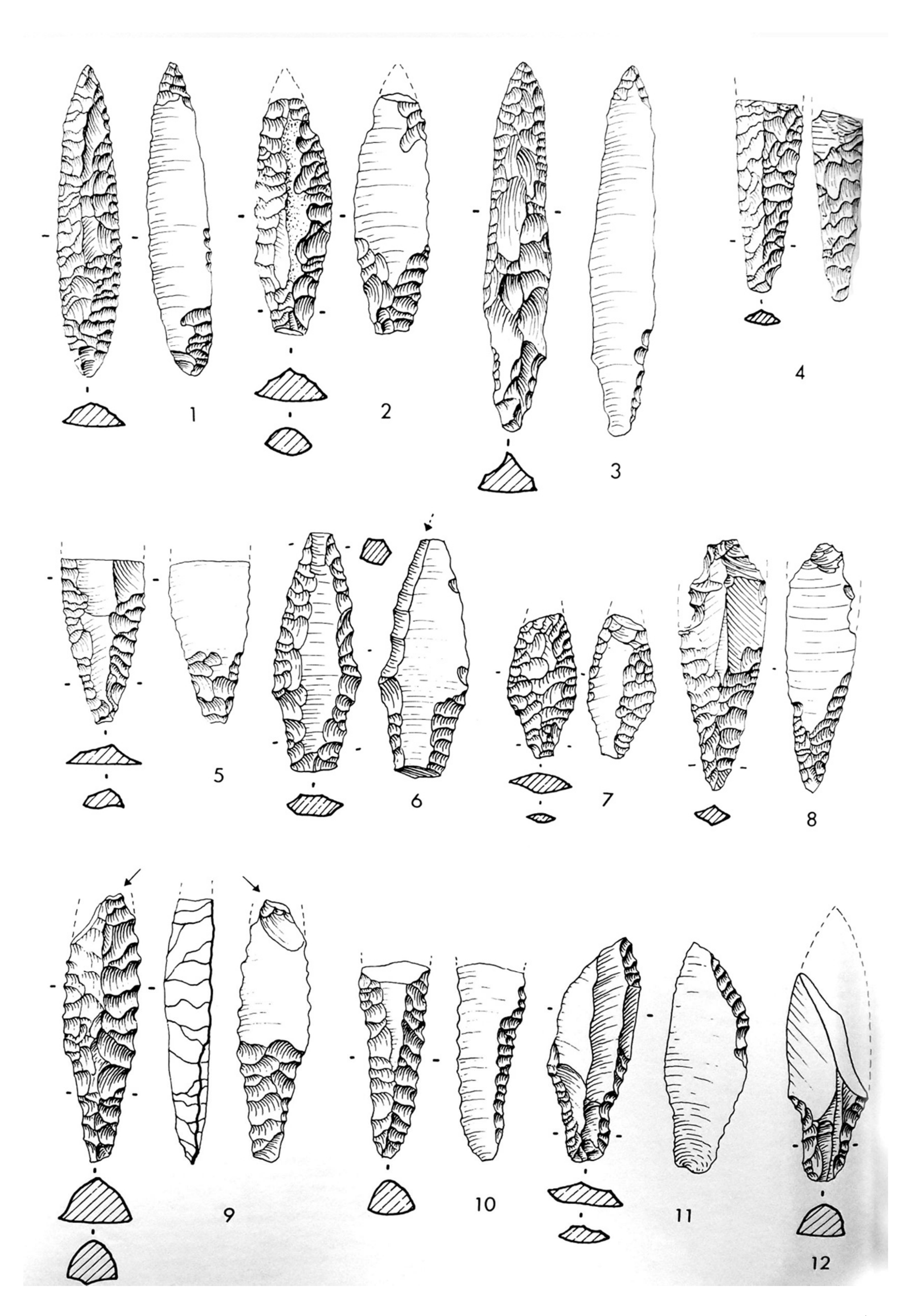
(De Contenson, H. 1995: Fig. 192, P. 307)



الشكل رقم **31**: مجموعة من النصال الصوانية ونصال طويلة للمناجل كانت ذات أسنان دقيقة.

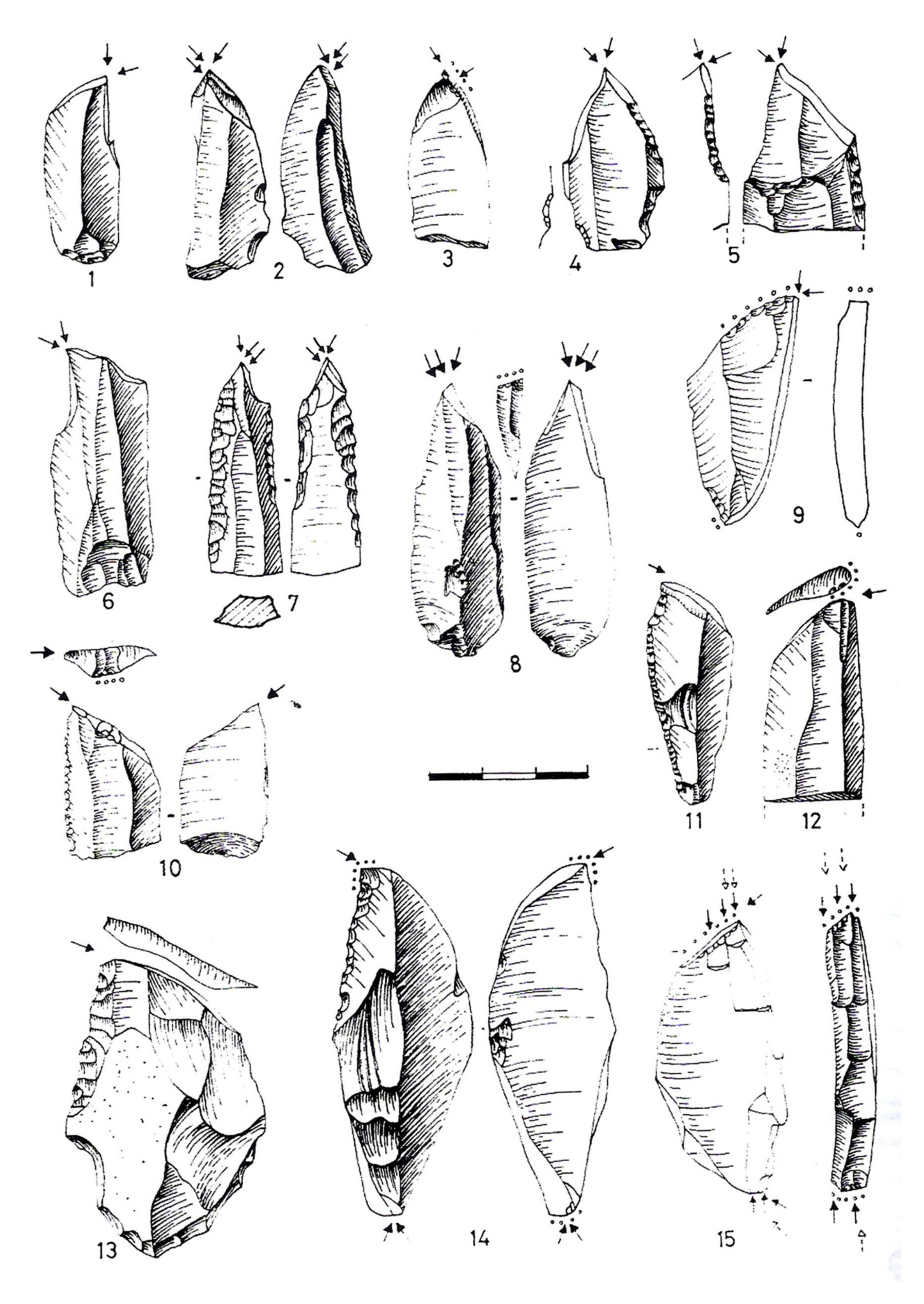
موقع الغريفة **II**.

(De Contenson, H. 1995: Fig. 193, P. 308)



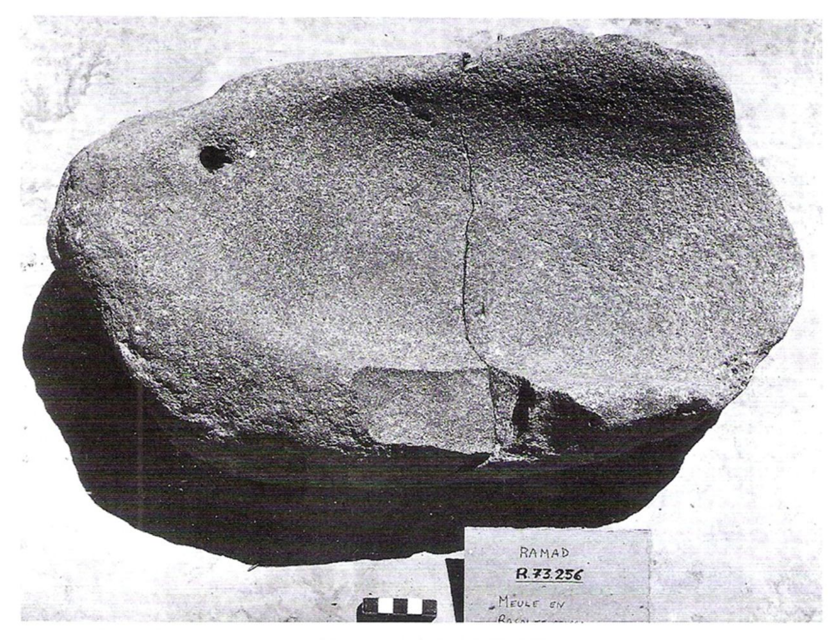
الشكل رقم 32: مجموعة من رؤوس سهام بيضوية و رؤوس سهام العمق وجبيل. موقع تل عطنة.

(Coqueugniot. E. 1982: Fig. 4, P. 96)



الشكل رقم **33**: رسم يوضح الأزاميل والمثاقب ذات الساق، من موقع الرماد **I**.

(De Contenson, H. 2000: Fig. 83, P. 96)



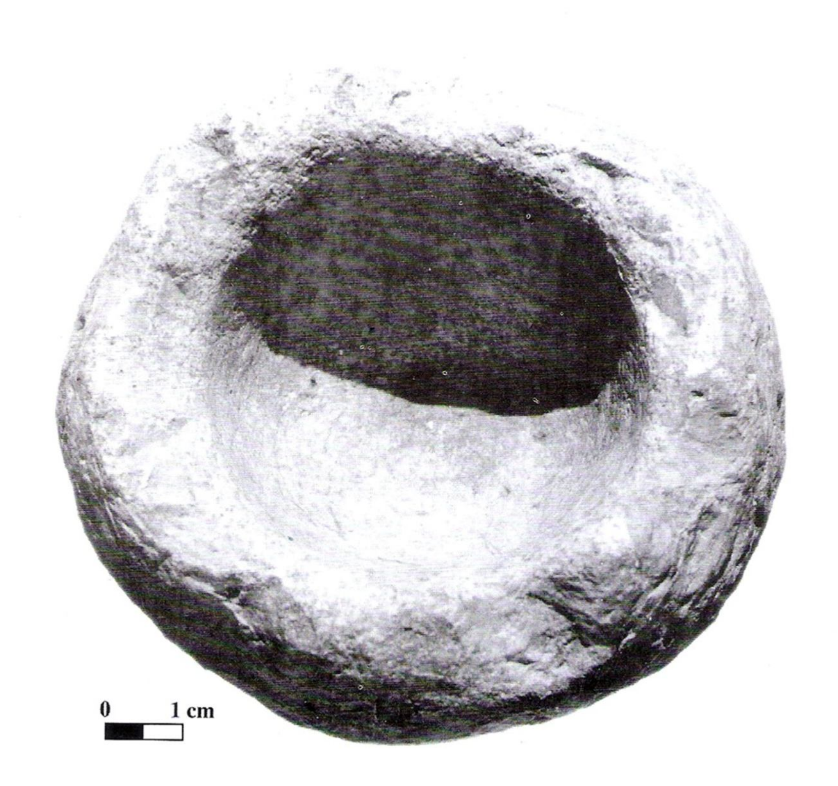
1 - Meule en basalte (R.73.256).



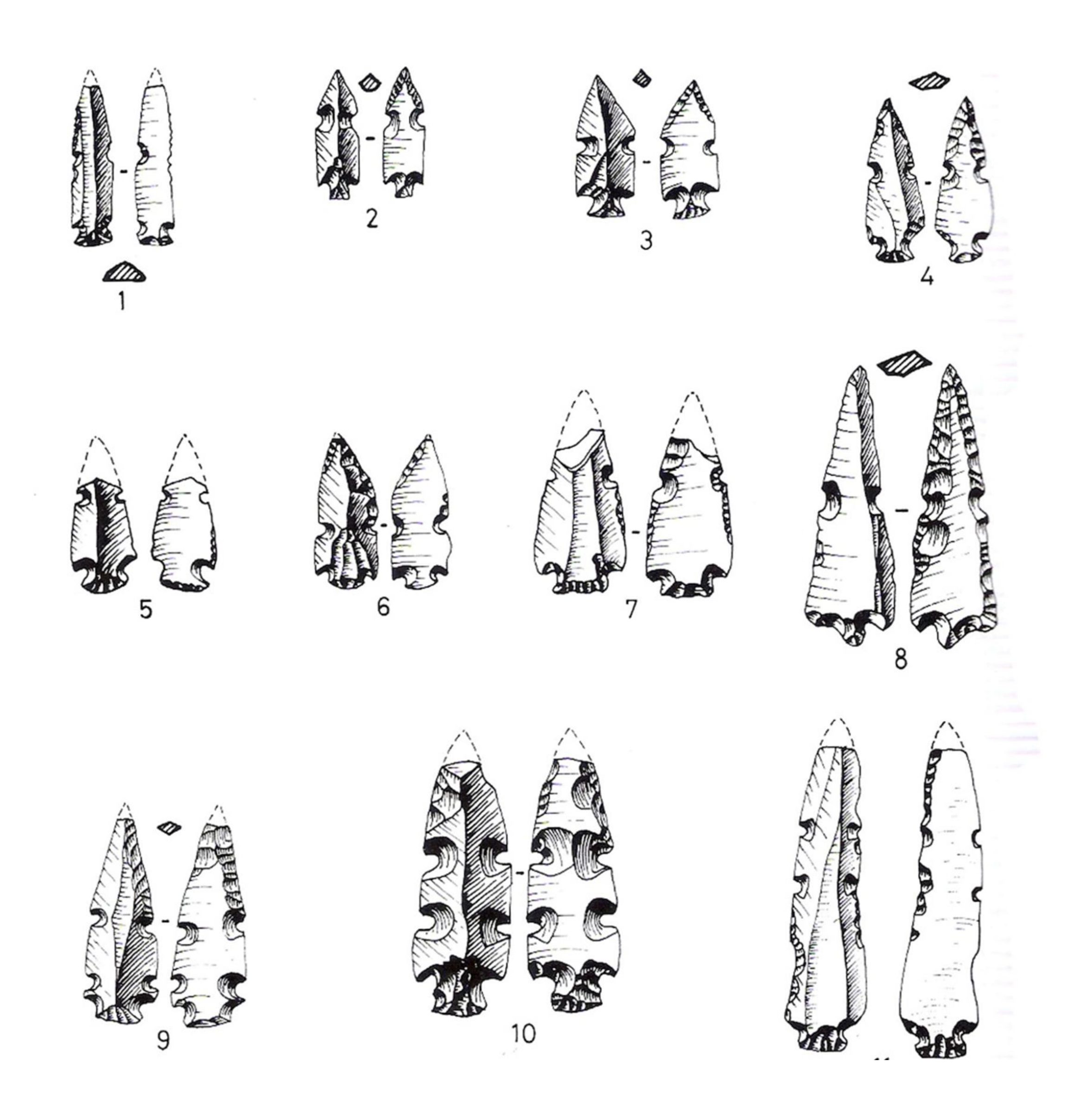
الشكل رقم **34**: رحى وأجران من حجر البازلت، من موقع الرماد **I**.
(De Contenson, H. 2000: pl. XII,P.314)



1 - Bol en albâtre (R.67.37).

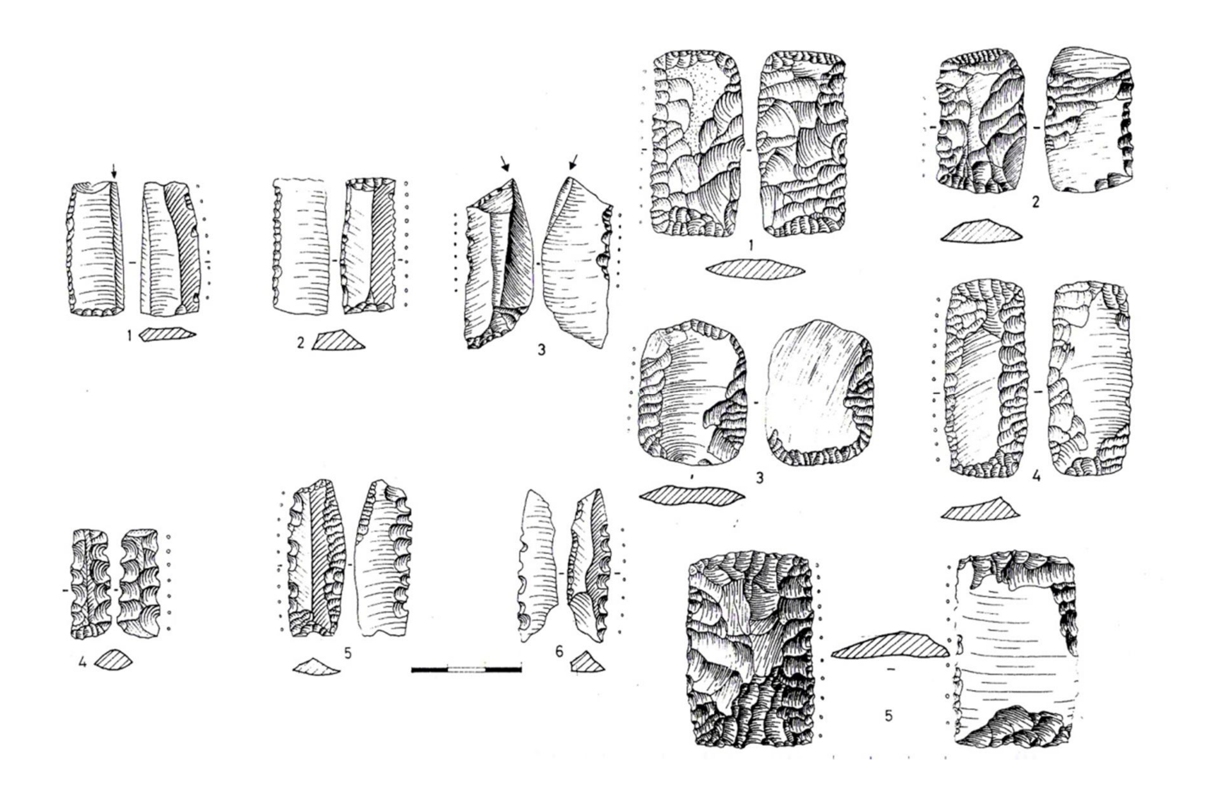


الشكل رقم **35**: طاسات من الحجر الجيري والألباتر، من موقع الرماد **I**.
(De Contenson, H. 2000: pl. XVI,P.318)



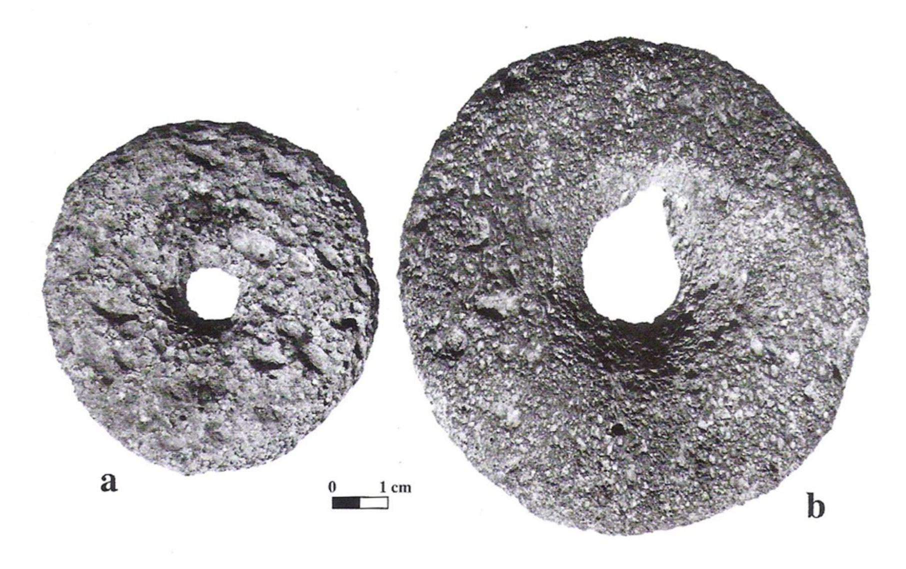
الشكل رقم **36**: تظهر مجموعة من رؤوس السهام المفرضة لها ذيل قصير. وتقع الفرضات على القاعدة أو على الجوانب وهذا النوع شبيه برؤوس سهام تل أسود ومتطور عنه وهو الأغلب واجداً ، من موقع الرماد **II**.

(De Contenson, H. 2000: Fig. 56, P. 72)

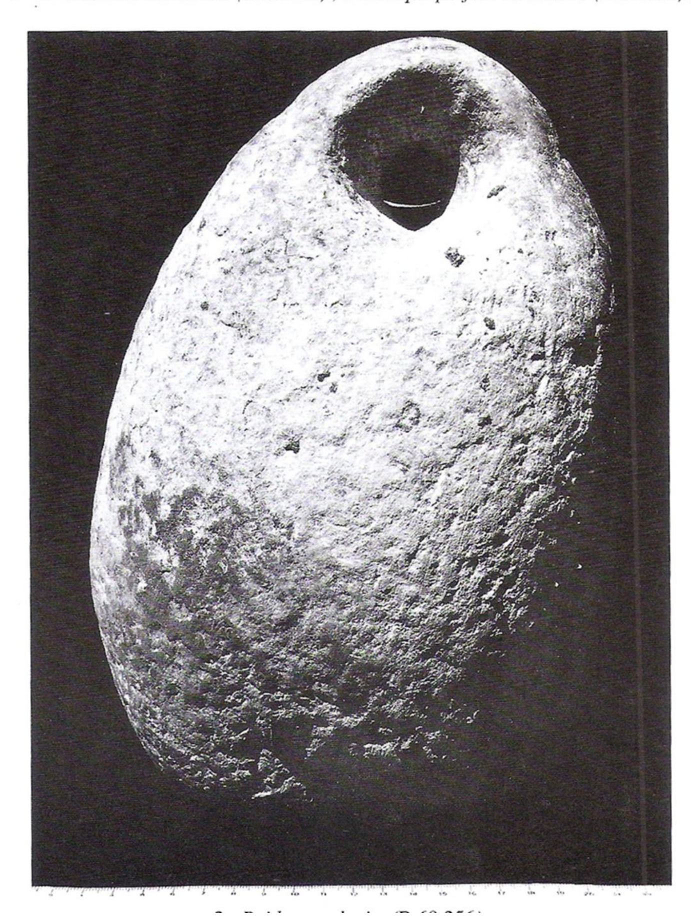


الشكل رقم 37: شكل يوضح نصال المناجل ذات الأسنان الصغيرة انتشرت في الرماد I، والفرق بينها وبين النصال ذات الأسنان الضخمة المتباعدة التي حلت محلها في الرماد II.

(De Contenson, H. 2000 Fig. 68, P. 82)



1 - a : Fusaïole en basalte (R.69.215) *; b : Disque perforé en basalte* (R.69.128)*.*



الشكل رقم **38**: شكل يحتوي صورتان، الصورة الأولى تظهر قرصان مغزليان من حجر البازلت، والصورة الثانية فيها وزنة من الحجر الكلسي، وفي أعلاها حلقة للتعليق، موقع الرماد **II**.

(De Contenson, H. 2000: pl. XV,P.317)



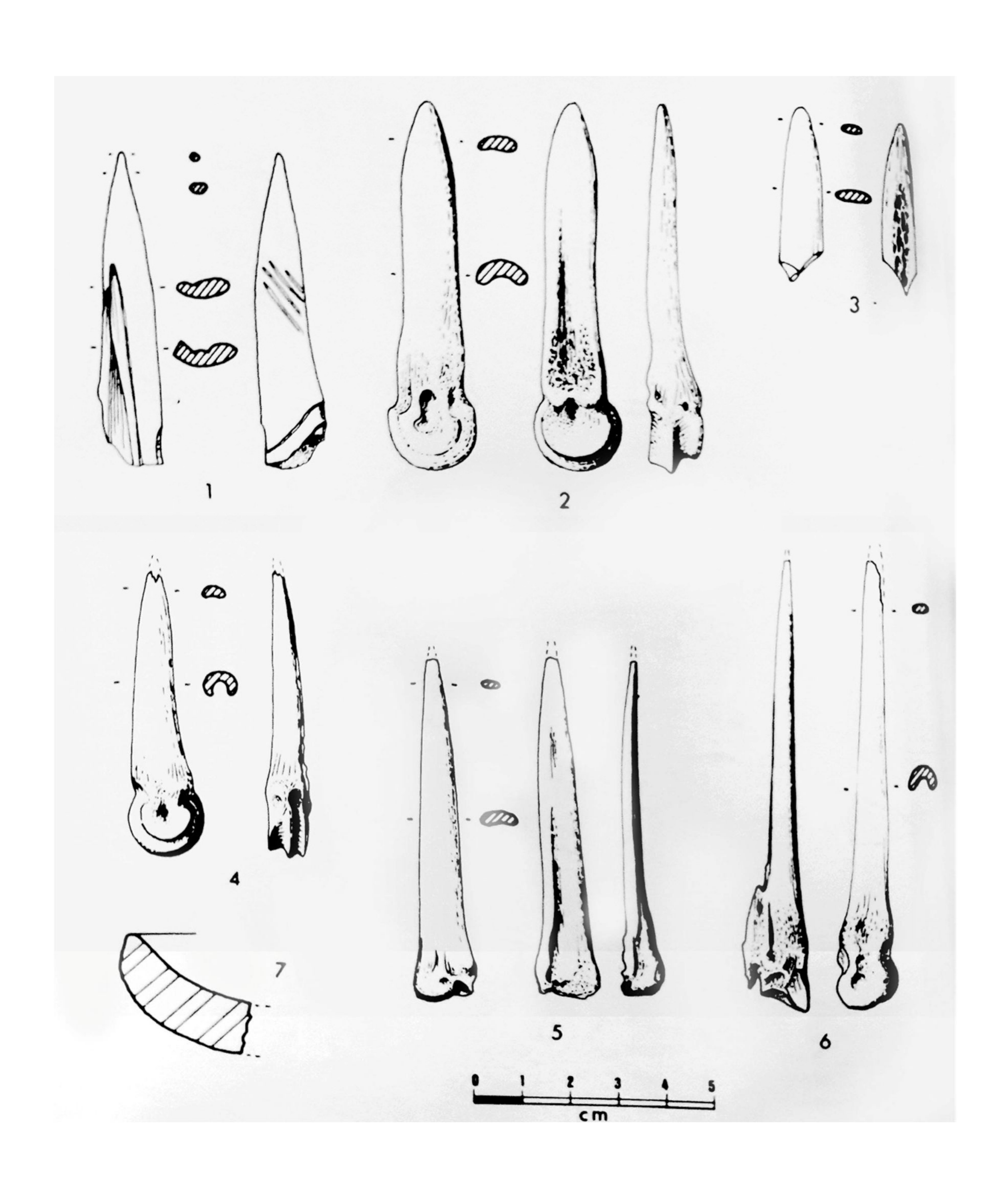
ابر عظمية ، موقع تل أسود



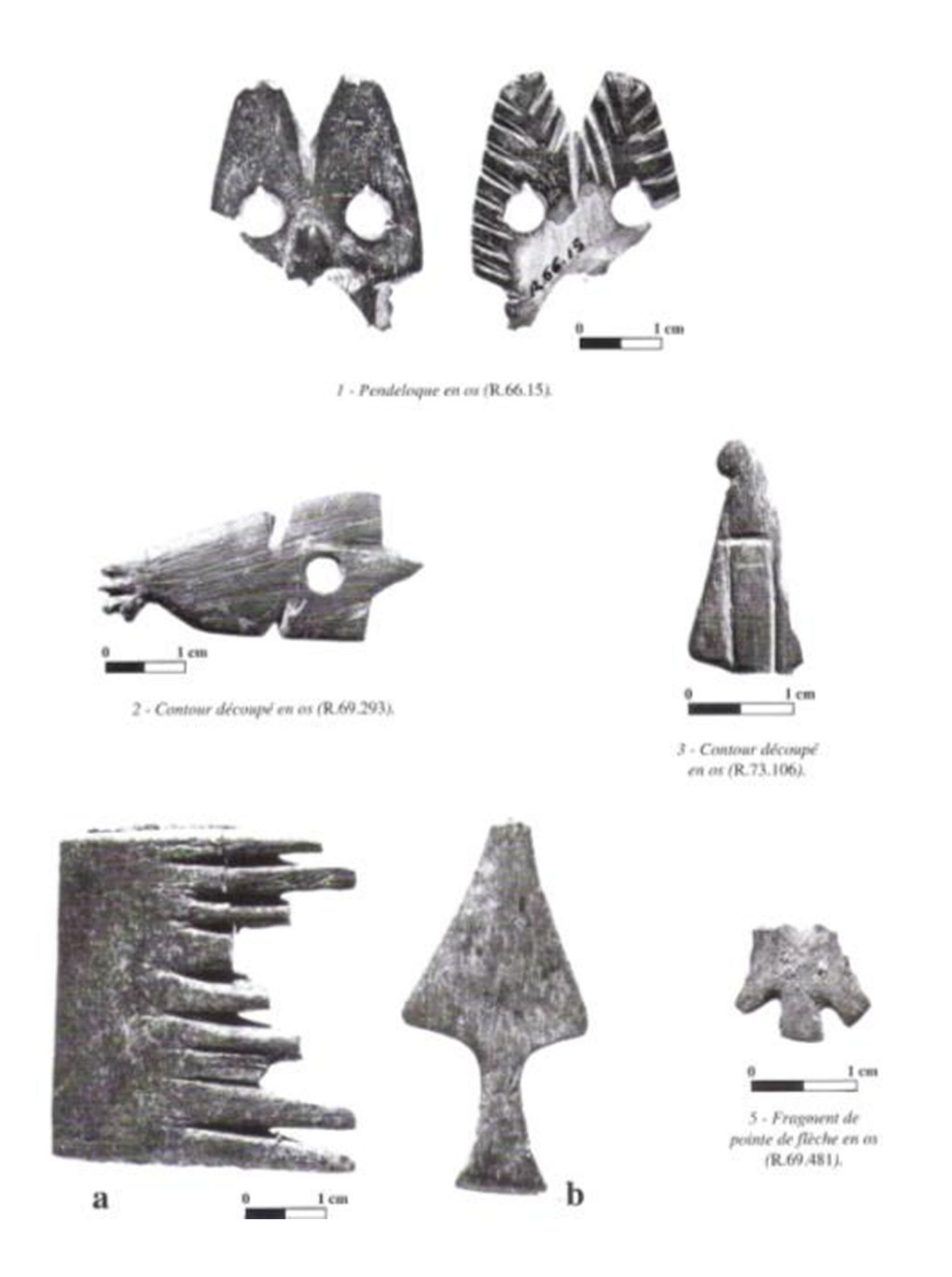
خرز عظمي، موقع الغريفة

الشكل رقم 39: أداتان عظميتان .

(المتحف الوطني بدمشق، قسم عصور ما قبل التاريخ)



الشكل رقم 40: أداوت عظمية عبارة عن مخارز، موقع تل عطنة.
(Coqueugniot. E. 1982: Fig. 6, P. 98)

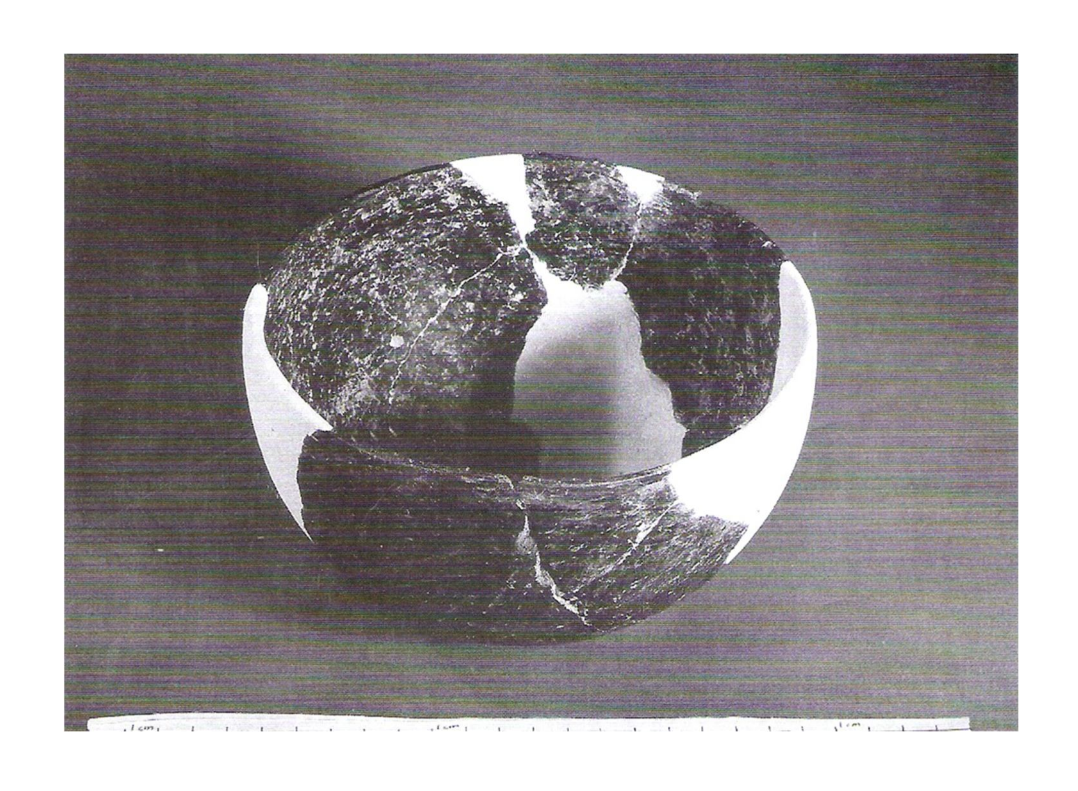


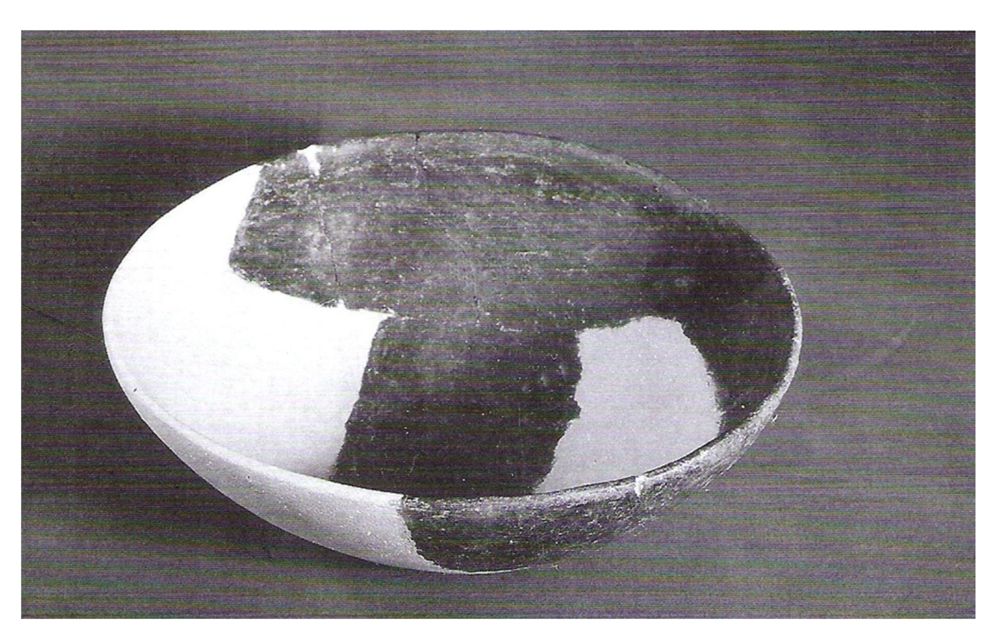
الشكل رقم **41**: قلادات وأداوت قطع وحراب عظمية ومشط ذو تسعة أسنان بعضها مكسور، موقع تل الرماد **II**.

(De Contenson, H. 1985: Fig. 9, P. 19)

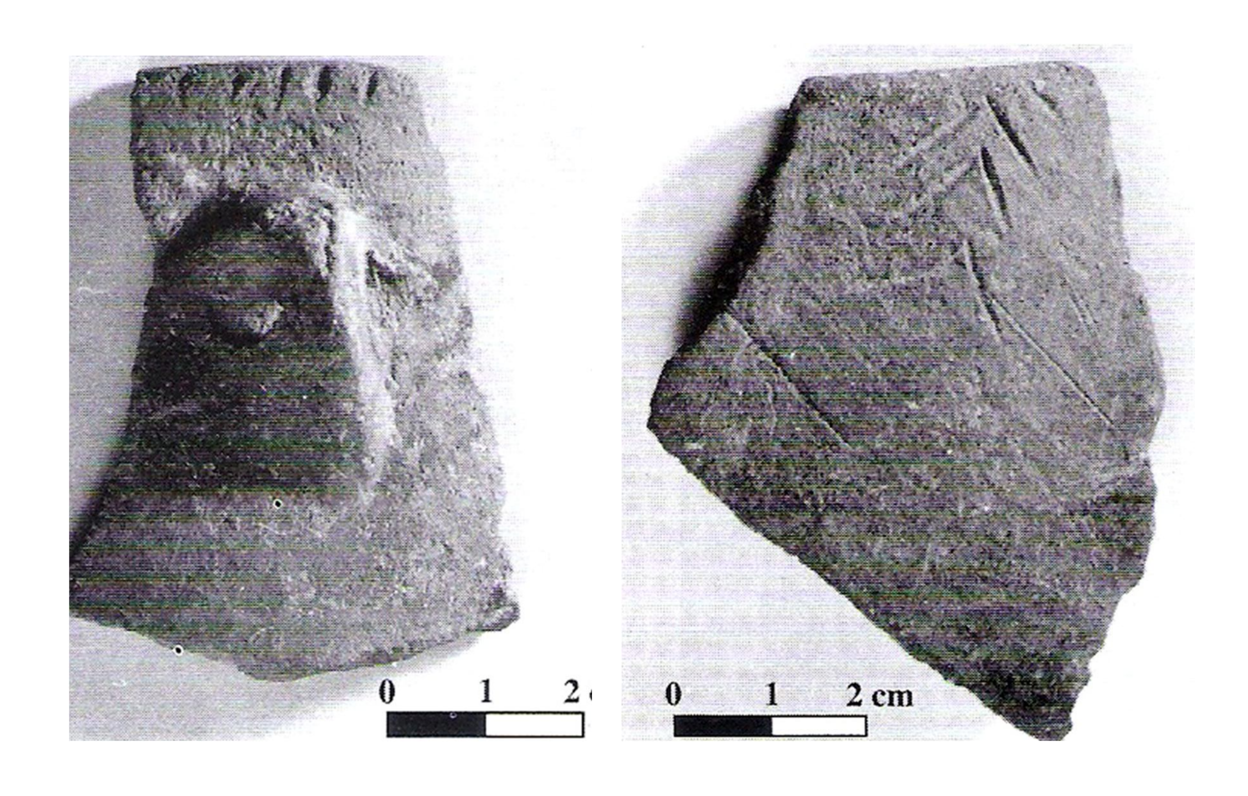


الشكل رقم 42: الآنية البيضاء، موقع تل الرماد.
(De Contenson, H. 1985: Fig. 11, P. 21)





الشكل رقم **43**: آنية فخارية من نوع **D.F.B.W** أي الأوعية الغامقة المصقولة، موقع الرماد **III**.
(De Contenson, H. 2000: Pl.XXVII,P. 329)





الشكل رقم **44**: كسر فخارية ذات زخارف مختلفة إما تزيينات نافرة أو حزوز متقاطعة عامودية صغيرة، أو زخرفة هندسية مثل هلالين ربما رسما بالأظافر أو الزيكزاك. موقع الرماد **III**.
(De Contenson, H. 2000: Pl.XXVI,P. 328)



الشكل رقم **45**: صورة قناع من موقع وادي الحمار، على طرفها صفاً من الثقوب من أجل تثبيتها.

(كوفان، جاك، 1999: الشكل 14، ص 349)





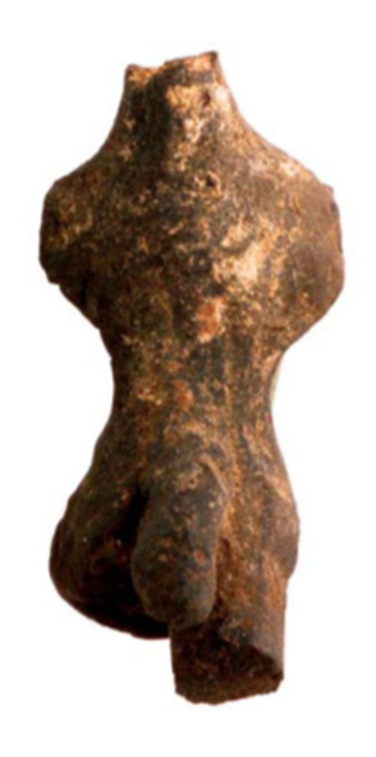

الشكل رقم **46**: دمى الطينية المختزلة والرمزية من موقع تل أسود، تنوعت أشكالها بين الاسطوانية والمخروطية والقرصية.

(Stordeur, D. et Jamous, 2005: Fig. 20)





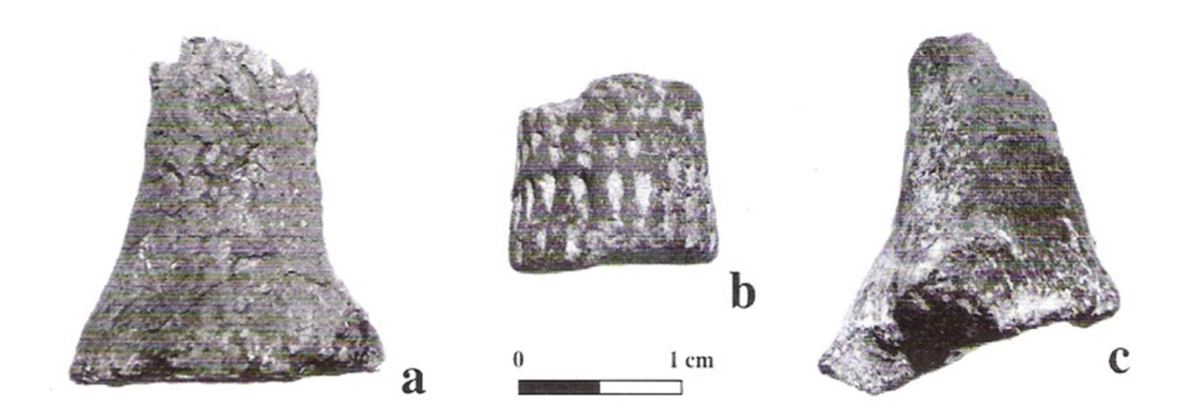
الشكل رقم **47**: دمى طينية انثوية، موقع تل أسود.
(Ayobi, R, 2014: Fig. 2 +3, P. 11)



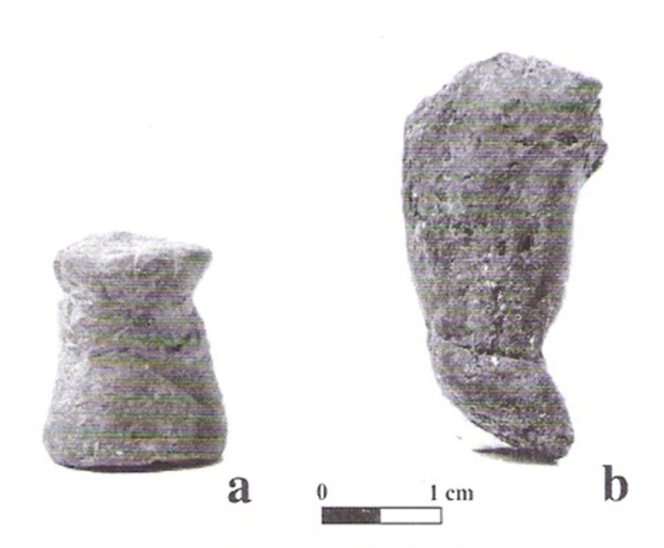
الشكل رقم **48**: دمية طينية ذكرية، موقع تل أسود.
(Ayobi, R, 2014: Fig. 2, P. 13)



الشكل رقم **49**: دمية طينية انثوية، تل الغريفة **I**.
(De Contenson, H. 1986: Fig. 4, P. 15)

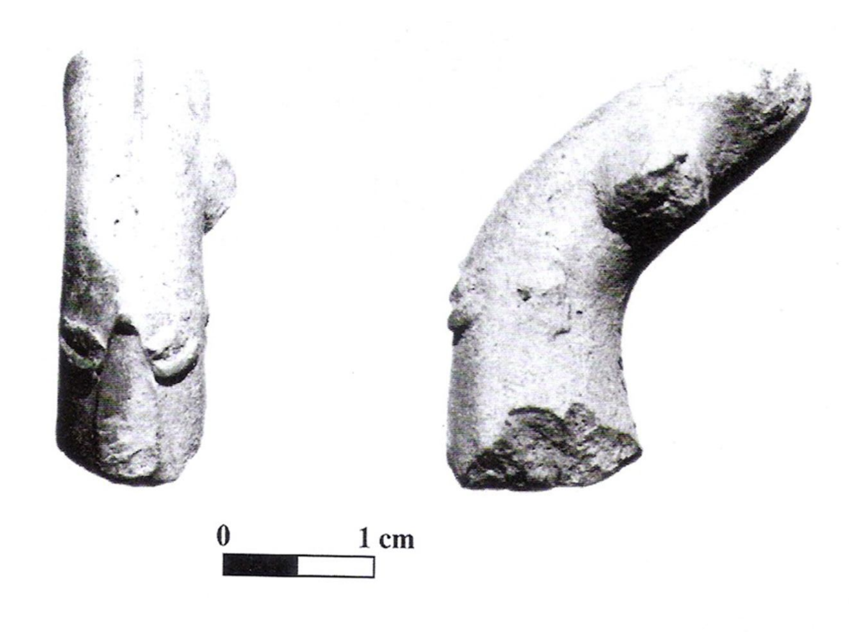


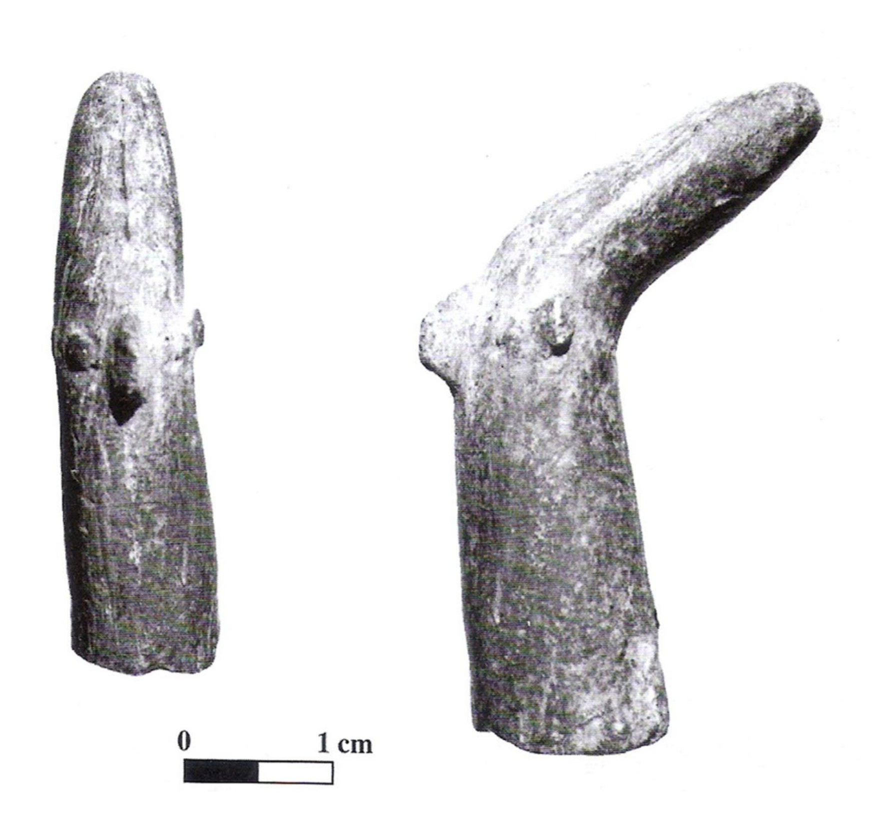
2 - a : Figurine en forme de pion (R.69.143) *; b : Figurine conique et incisée en pierre* (R.69.434) *;*
c : Figurine anthropomorphe assise (R.59.538).



3 - a : Figurine en forme de bobine (R.69.295) *;*
b : jambe de figurine en céramique, Niveau III (R.69.86).

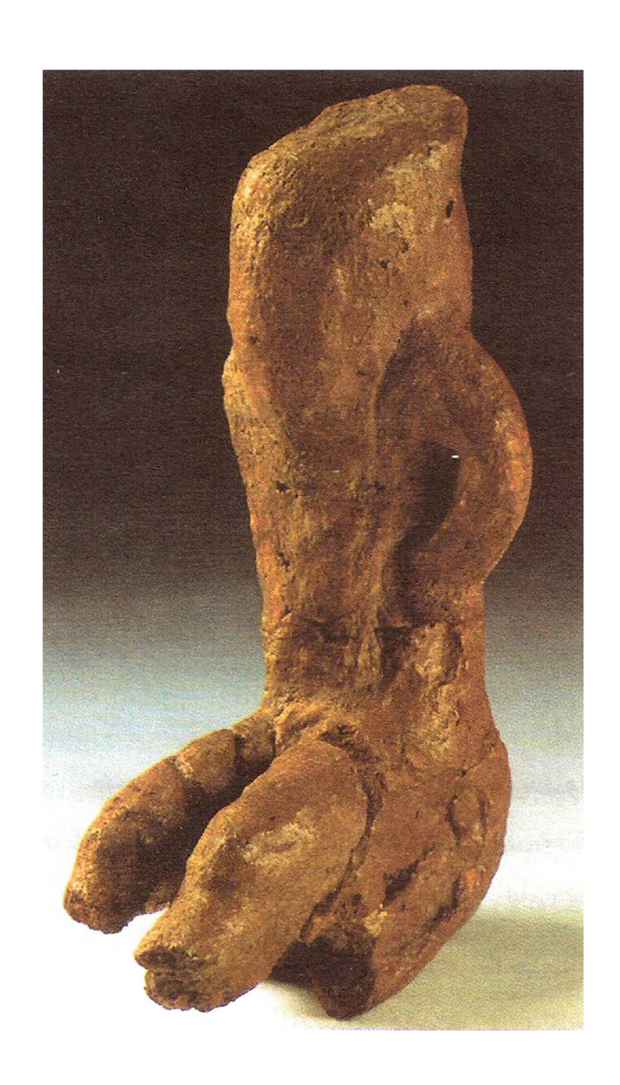
الشكل رقم **50**: مجموعة من الدمى الطينية المختزلة، موقع تل الرماد.
(De Contenson, H. 2000: Pl.XX,P. 322)





الشكل رقم **51**: دمى طينية عبارة عن رؤوس المستطيلة ومتطاولة إلى الخلف ربما هي تسريحة الشعر إلى الخلف، وتظهر العينانعلى شكل حبة القهوة، ويوجد كذلك قرصان لتمثيل الأذنين على جانبي الرأس. موقع الرماد **III**.

(De Contenson, H. 2000: Pl.XXI,P. 323)



الشكل رقم **52**: تمثال بشري من الطين، موقع الرماد.

(المتحف الوطني بدمشق، قسم عصور ما قبل التاريخ)





الشكل رقم **53**: أصداف عبارة عن حلي، موقع باز جبعدين وموقع قوس قزح.
(Conard, N. J. 2006: Fig. 4, P. 112)



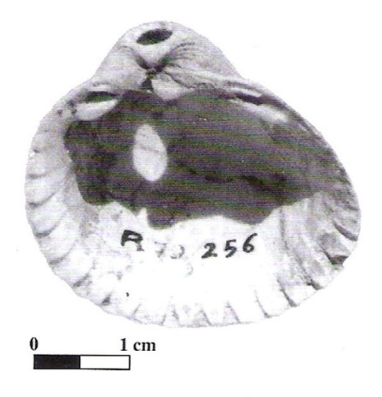
الشكل رقم **54**: مجموعة من القلادات، موقع تل أسود.
(Stordeur, D. et Jamous, B. 2005: Fig. 22)





الشكل رقم **55**: عقد مؤلف من 33 خرزة شبه اسطوانية الشكل، خضراء اللون، موضوعة حول فقرات رقبة انسان، موقع تل أسود.

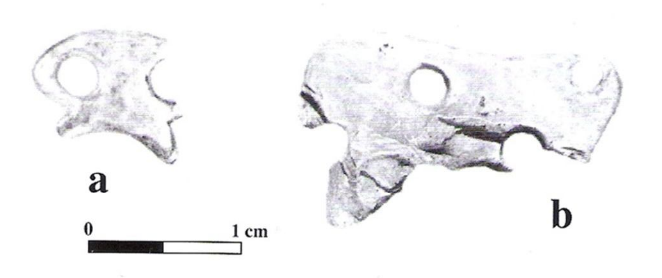
(آل رشي، هلا، 2010: صورة 4، ص 22)



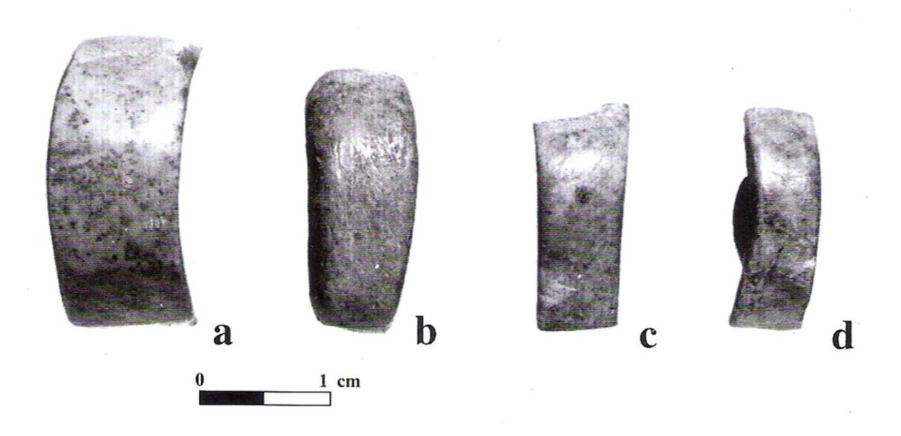
1 - Pétoncle perforé (R.70.256).



2 - Pendeloque en nacre (R.66.16).

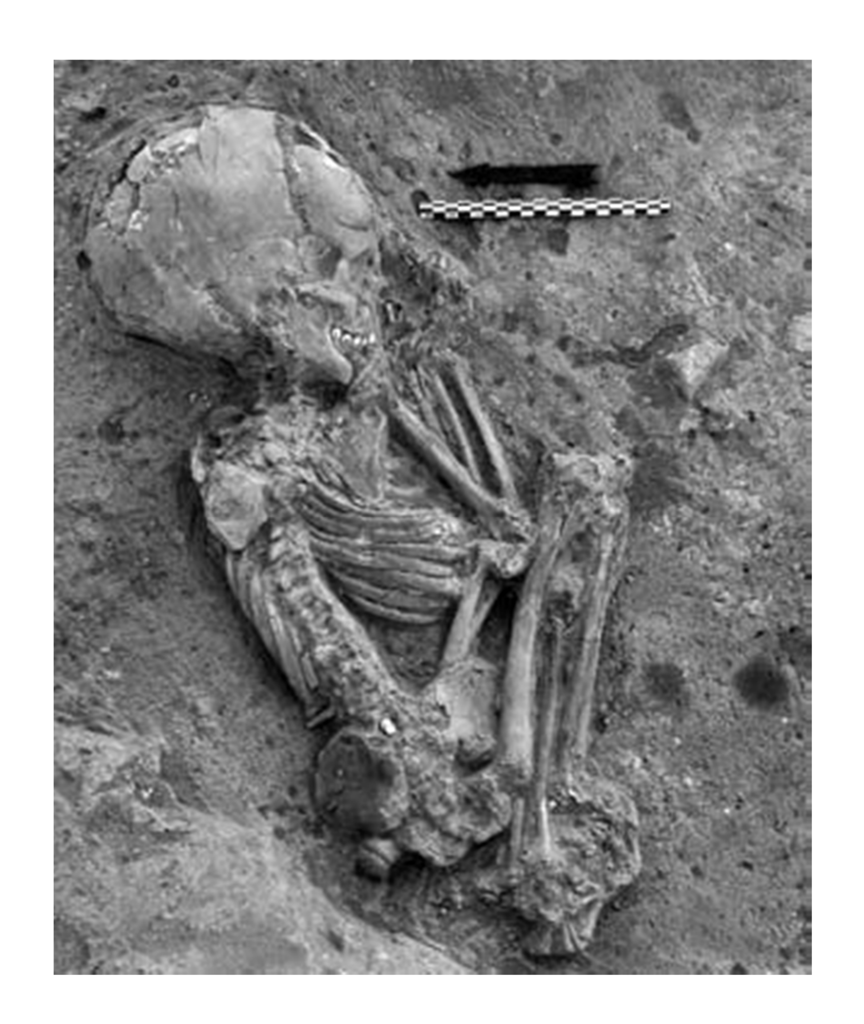


3 - Pendeloques en nacre ; a (R.69.294) *; b* (R.69.330).



4 - Petits anneaux en os ; a (R.69.102) *; b* (R.69.140) *; c* (R.69.255) *; d* (R.69.40).

الشكل رقم **56**: حلي عبارة عن قلادات للتعليق وأجزاء من خواتم مصقولة، موقع تل الرماد.
(DeContenson, H. 2000: Pl.XVIII,P. 320)



الشكل رقم (**57: 1**): هيكل عظمي مدفون بطريقة الثني، موقع أسود.



الشكل (**57:2**) صورة توضح ممارسة الدفن المتتالي، موقع تل أسود.



الشكل (57:3) مدفون بوضعية القرفصاء وممدد على الجانب الأيسر، موقع تل أسود



الشكل (57:4) طفلين مدفونين بجانب الجدار، موقع تل أسود.
(Stordeur, D. et Khawam, R .a. 2006, Fig 5+6, P,25-26)



الشكل رقم **58**: هيكل عظمي، ممدد على جانبه الأيمن وبوضعية الثني، موقع تل الرماد.
(De Contenson, H. 1992: Fig 5, P. 188)



الشكل رقم **59**: المجموعة الأولى من الجماجم المقولبة، المكتشفة في المساحة الجنائزية الأقدم، وهي عبارة عن أربعة جماجم مقولبة، موزعة على شكل قوس دائري، موقع تل أسود.

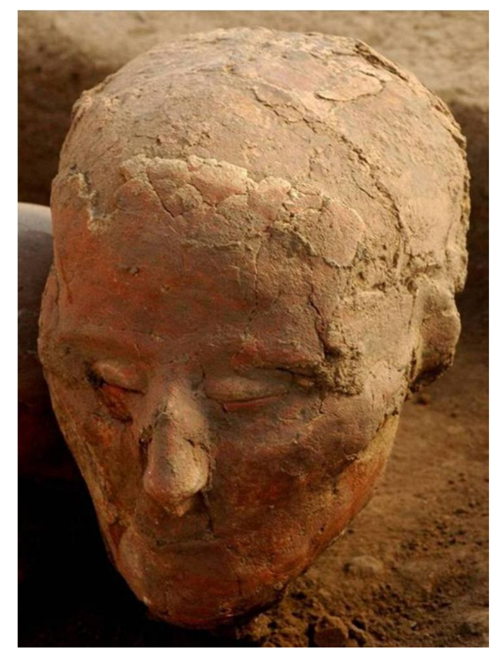
(Stordeur, D. et Khawam, R. a.2006, Fig 2, P,25)



الشكل رقم **60**: المجموعة الثانية من الجماجم المقولبة، المكتشفة في المساحة الجنائزية الأحدث، وهي عبارة **4** جماجم مقولبة كاملة تتمركز حول جمجمة طفل غير مقولبة. موقع تل أسود.
(Stordeur, D. et Khawam, R. 2007, Fig 2, P. 28)

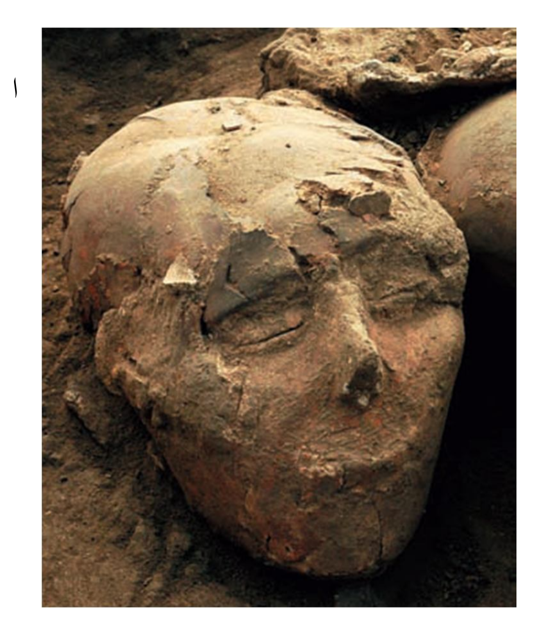


الجمجمة المقولبة CS3 - 671

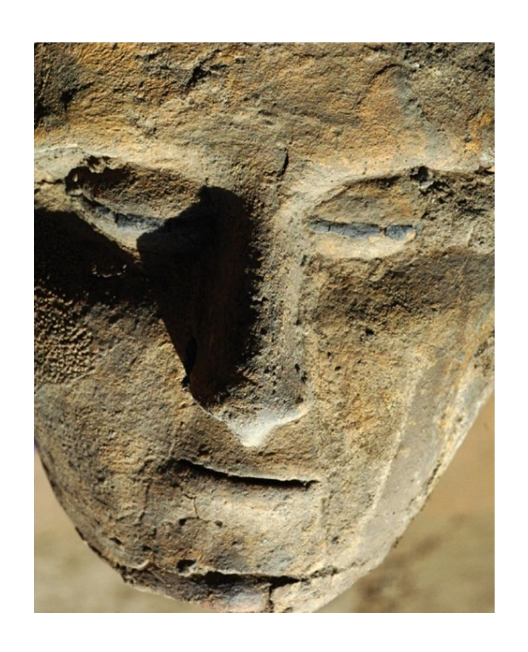


الجمجمة المقولبة CS1 - 741

ا



لجمجمة المقولبة CS5 - 741



الجمجمة المقولبة CS 3 - 741



741- S 7 القالب

الشكل رقم **61**: أربعة جماجم مقولبة وقالب،موقع تل أسود.
(Stordeur, D. et Khawam, R. 2007, Fig 6 +7, P,30-29)



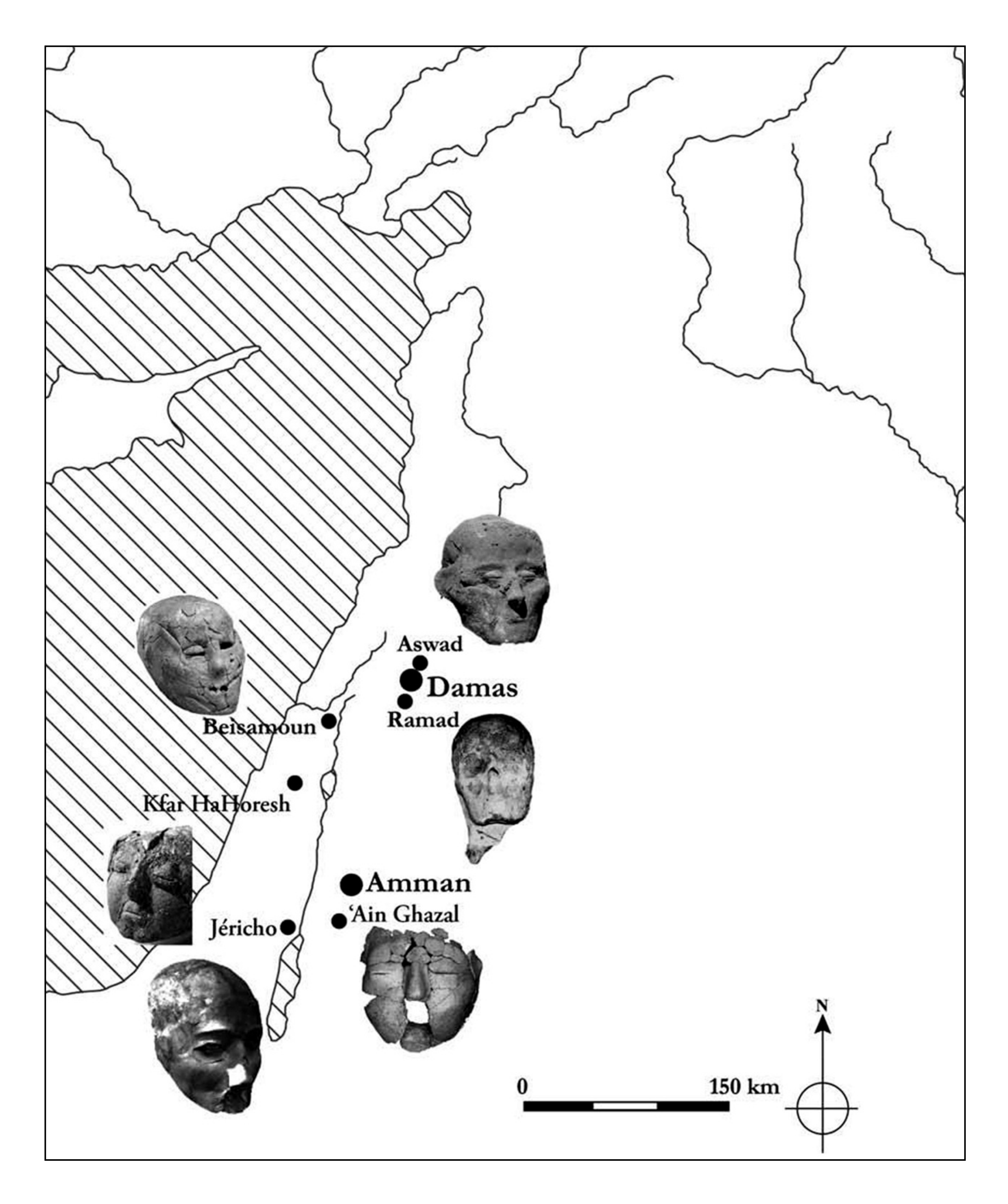
الشكل رقم **62**: تظهر المستودع الثالث في تل الرماد **II**، والذي احتوى على **12** جمجمة.
(De Contenson, H. 1992: Fig 5, P. 188)



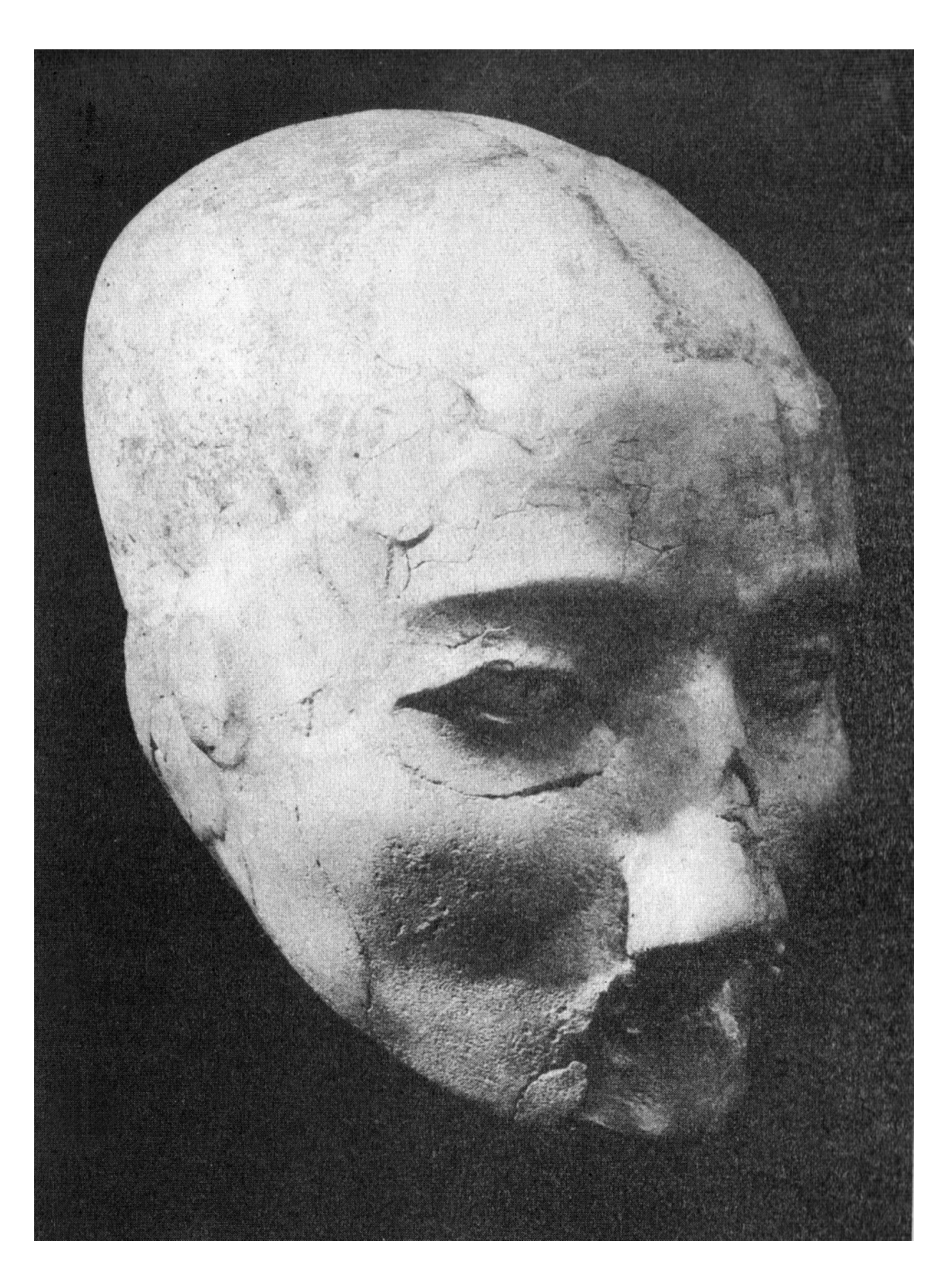
الشكل رقم (**1: 63**) : الجماجم المقولبة، موقع تل الرماد.



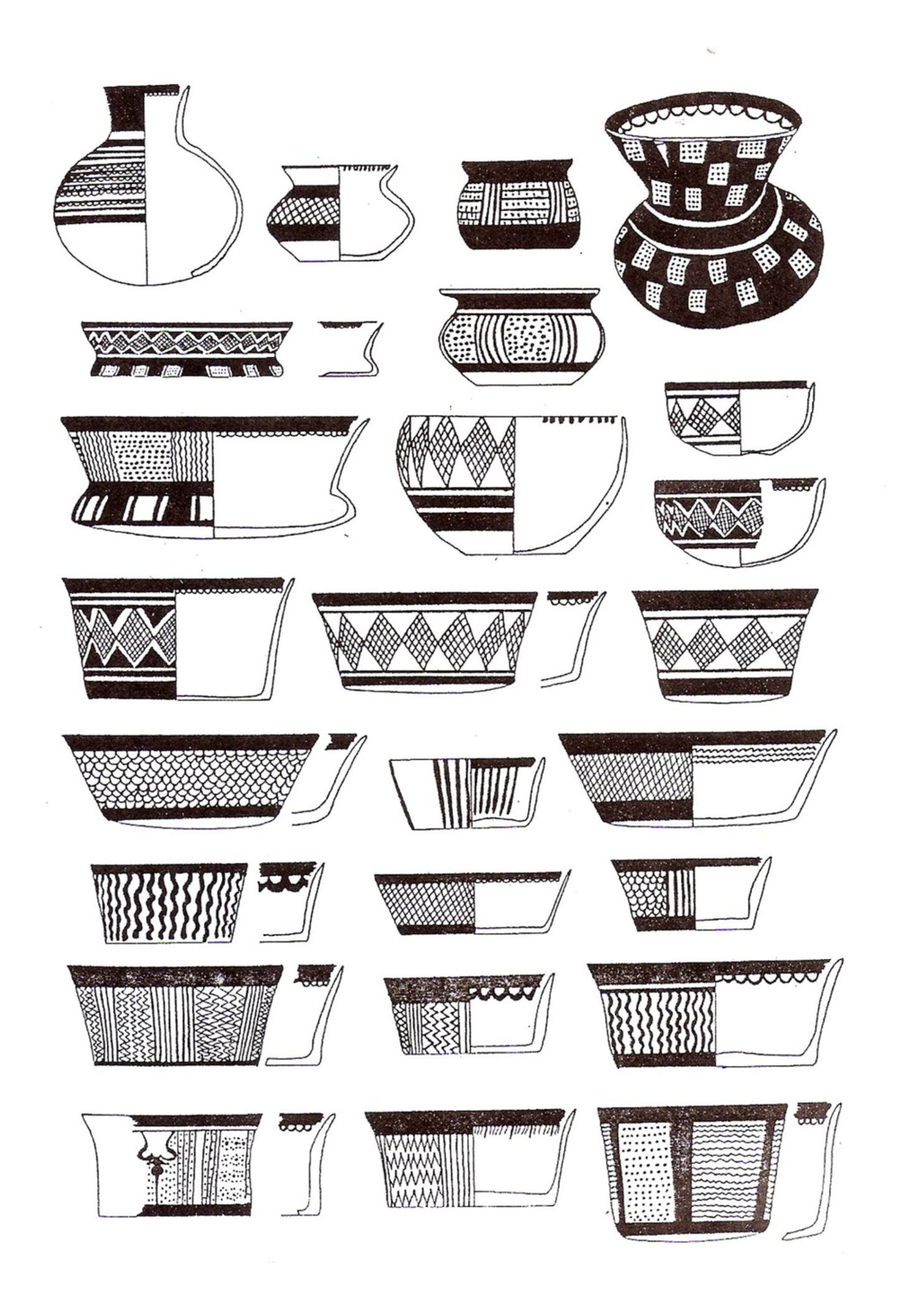
الشكل (63:2) صورة جانبية للجماجم المقولبة تظهر الرقبة، موقع تل الرماد.
(Akkermans,P, 2003:Fig 3.20, P. 91)



الشكل رقم **64**: خريطة تظهر توزع المواقع التي تحتوي جماجم مقولبة.
(Stordeur, D. et Khawam, R. 2007, Fig 9, P,32)



الشكل رقم **65**: جمجمة مقولبة، موقع أريحا.
(كوفان، جاك 1999: اللوحة VI،ص 348)



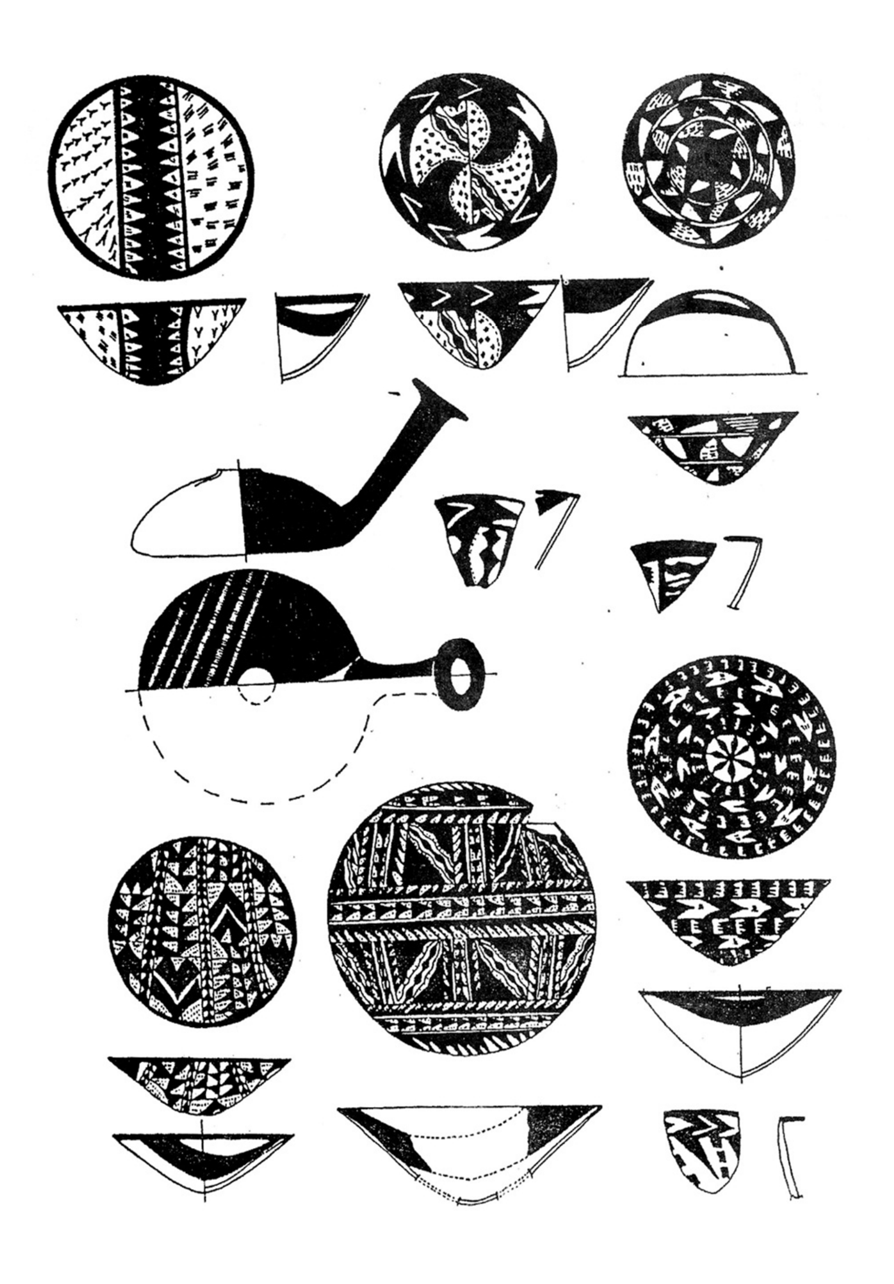
الشكل رقم **66**: مجموعة من الأواني الفخارية من ثقافة حلف الباكرة، والتي تميزت بالزخارف الهندسية كالخطوط العامودية المتوازية أو الخطوط المتموجة والدوائر.

(Akkermans, P. 2003: Fig 4.22, P. 137)



الشكل رقم **67**: أواني فخارية من ثقافة حلف الوسطى، رسمت عليها أشكال جديدة كالخطوط المتشابكة أو المتقاطعة.

(محيسن، سلطان، 1994: الشكل 50، ص 108)



الشكل رقم 68: شكل يوضح الأواني الفخارية السلحفائية الشكل من ثقافة العبيد 3، والزخارف السائدة فيها.

(محيسن، سلطان، 1994: الشكل 53، ص 115)



الشكل رقم **69**: صورة توضح أثار الحريق الذي تعرض له موقع تل البحارية.
(سليمان، غادة، 2003: صورة 4)



الشكل رقم **70**: صورة لمباني ذات مخطط مستطيل أو مربع، وتظهر أرضياتها من الطين المدكوك الذي تحول إلى آجر نتيجة الحريق الذي تعرض له موقع البحارية.
(سليمان، غادة، 2003: صورة 11)



الشكل رقم **71**: صورة تبين الأبنية الدائرية من موقع تل البحارية، والتي عرفت باسم تولوس.
(Suliman,G.2012: Fig. 5, P. 118)



الشكل رقم **72**: صورة لأبنية ذات مخطط مستطيل أو مربع من موقع تل البحارية.
(سليمان، غادة، 2006: صورة 10)



الشكل رقم **73**: صورة تظهر أبنية ذات مخطط دائري، أطلق عليها اسم تولوس، من موقع تل الصبي الأبيض. وهي مشابهة للعمارة الدائرية في تل البحارية.

(Akkermans, P, 2003: Fig 4.4, P.105)



الشكل رقم **74**: شكل يظهر العمارة في تل مشنقة، كانت بعض الأبنية تضم غرف مستطيلة وصغيرة وضيقة أحياناً، وهي مشابهة لعمارة تل البحارية.
(Akkermans, P, 2003: Fig 5.6, P. 167)



الشكل رقم **75**: صورة تظهر فرن فخار عثر عليه من مرحلة الاستيطان الثانية في موقع البحارية.
(سليمان، غادة، 2002: صورة 6)



الشكل رقم **76**: بظهر قرن ثور في أحد جدران المباني.
(سليمان، غادة، 2002: صورة 18)



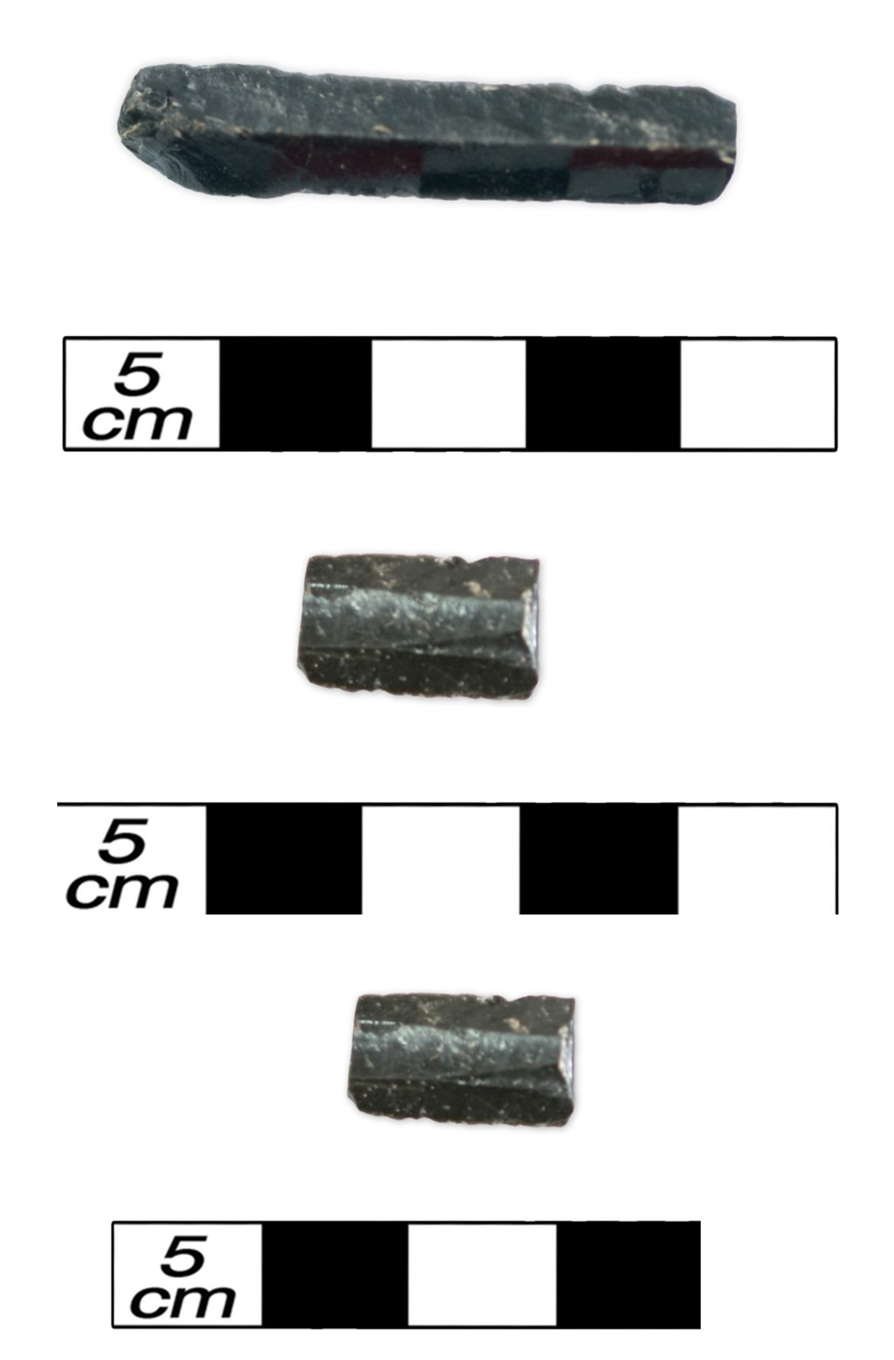
الشكل رقم **77**: مجموعة من النصال الصوانية، موقع تل البحارية.

(تصوير الطالبة)



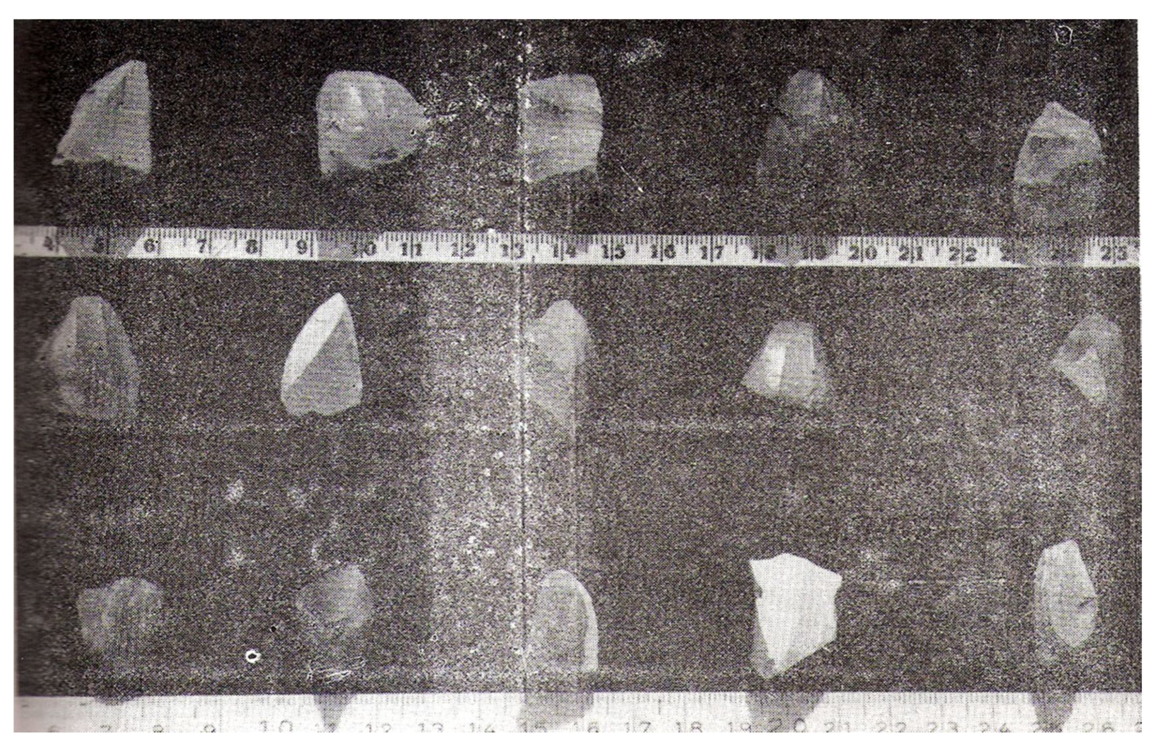
الشكل رقم **78**: مكاشط صوانية من موقع تل البحارية.

(تصوير الطالبة)



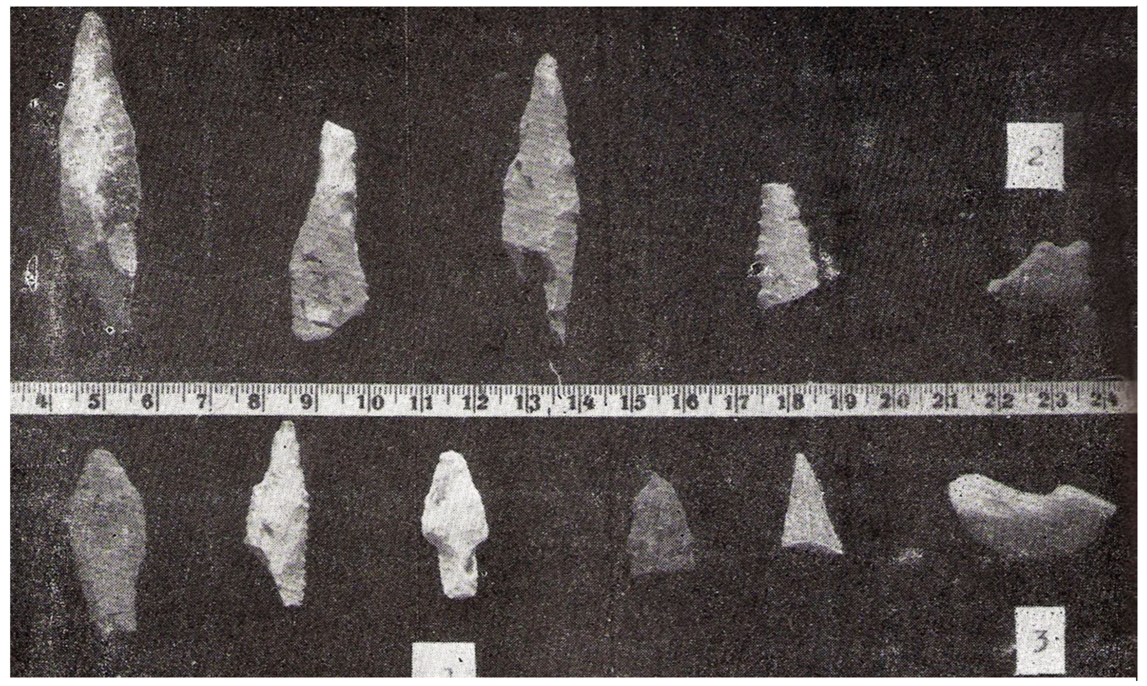
الشكل رقم **79**: مجموعة من الأدوات الأوبسيديانية، ذات اللون الأسود أو الأبيض، منها نصلة من الأوبسيديان الأبيض، مكسورة من الجهتين وتحمل على وجهها بداية ثقب دائري صغير من أجل التعليق، موقع تل البحارية.

(تصوير الطالبة)



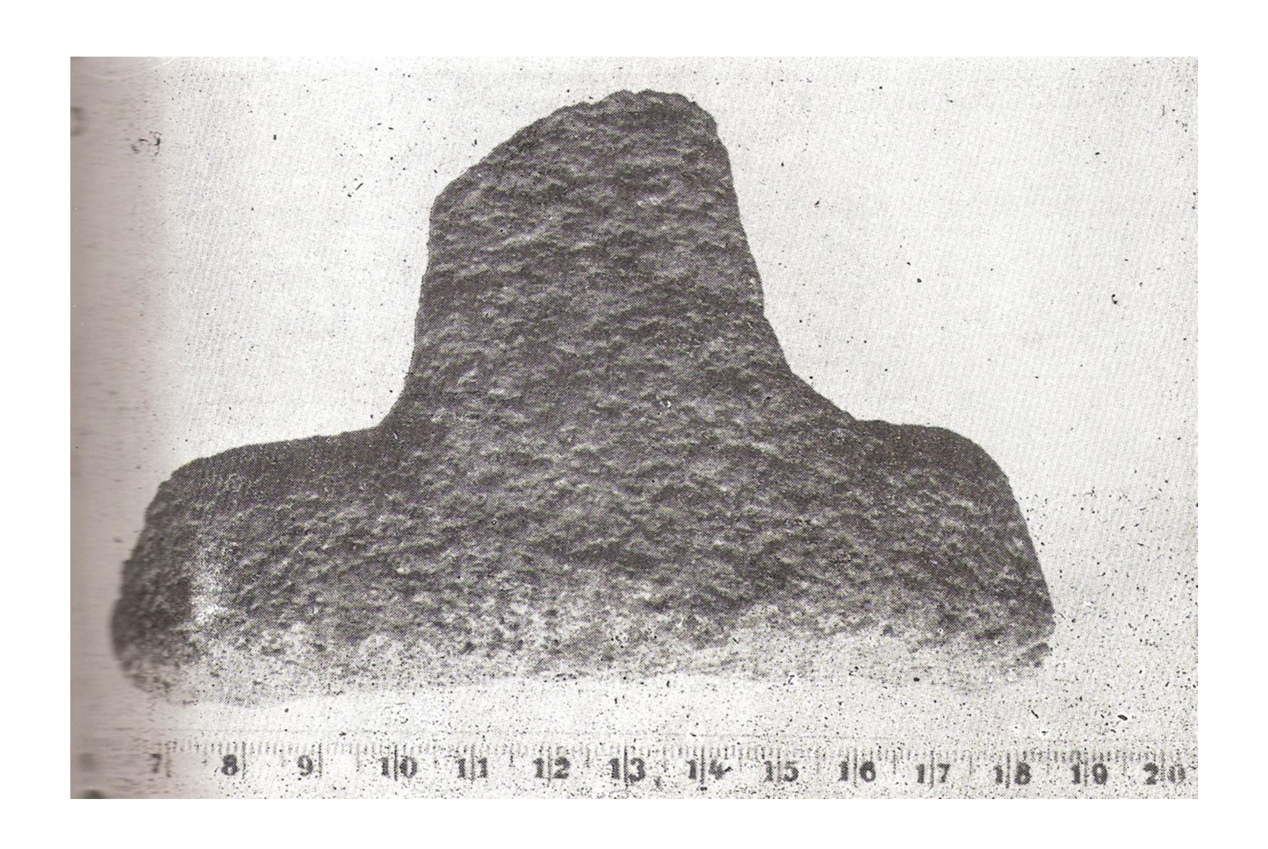
الشكل رقم **80**: . نوى هرمية الشكل من الصوان الأملس الرمادي أو البيج أو البني، كانت صغيرة ومتعددة الوجوه. من موقع تل الخزامى.

(De Contenson, H. 1968: Pl. I)



الشكل رقم 81: مجموعة من الأدوات الصوانية، عبارة عن نصال عريضة ورؤوس سهام ذات ذيل قصير، موقع تل الخزامي.

(De Contenson, H. 1968: Pl. II)



الشكل رقم **82**: مدقة من البازلت، موقع تل الخزامي.

(De Contenson, H. 1968: Pl. III)





الشكل رقم **83**: أداتان عظميتان، موقع تل البحارية.

(سليمان، غادة، 2011: صورة 17، ص 17)



الشكل رقم (1: **84**): كسر الفخارية بدائية الصنع لونها برتقالي مائل إلى الأحمر، ذات سطح خشن، موقع البحارية.



الشكل (84:2) كسر فخارية لونها أسود مصقول، موقع تل البحارية




الشكل (84:3) فخار لونه أسود مصقول، تبلغ سماكته أقل من 0,5سم، وأحيانا مزخرفة بحزوز غائرة دقيقة، موقع تل البحارية.



الشكل (84:4)كسر فخارية تم تلوينها بعد الانتهاء من عملية الشي فنلاحظ لونه برتقالي مائل إلى الأحمر، موقع تل البحارية.

(سليمان، غادة، 2012: الشكل 15+ 16، ص 20)





الشكل رقم **85**: آنية ناقوسية، موقع تل البحارية.
(سليمان،غادة، 2005: صورة 17)



الشكل رقم **86**: جرة فخارية من فترة حضارة أوروك، موقع تل البحارية.
(سليمان، غادة، 2005: صورة 13)

الشكل رقم 87: مجموعة من ا ُرى، أشكالها متنوعة، موقع تل البحارية.





الشكل رقم 87: مجموعة من ا ُرى، أشكالها متنوعة، موقع تل البحارية.

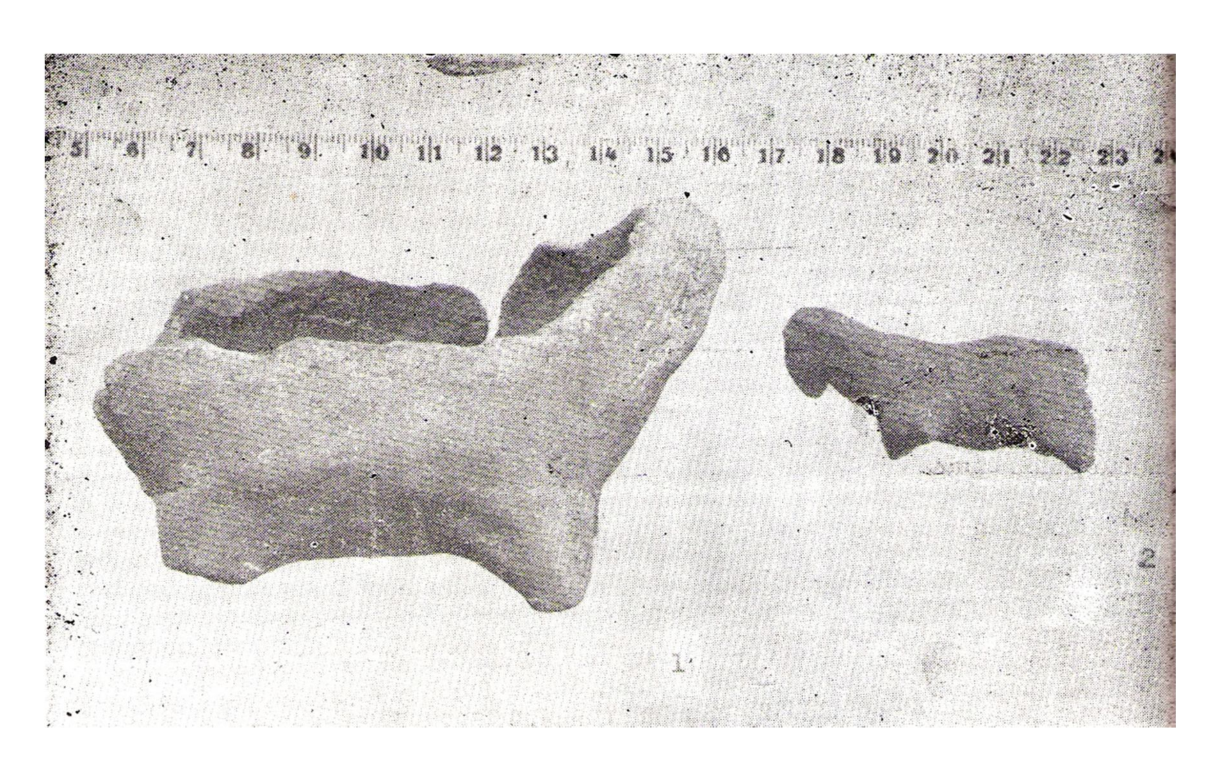
(سليمان، غادة، 2003: صورة 16)



الشكل رقم (1: **88**): سدادة فخارية، موقع تل البحارية

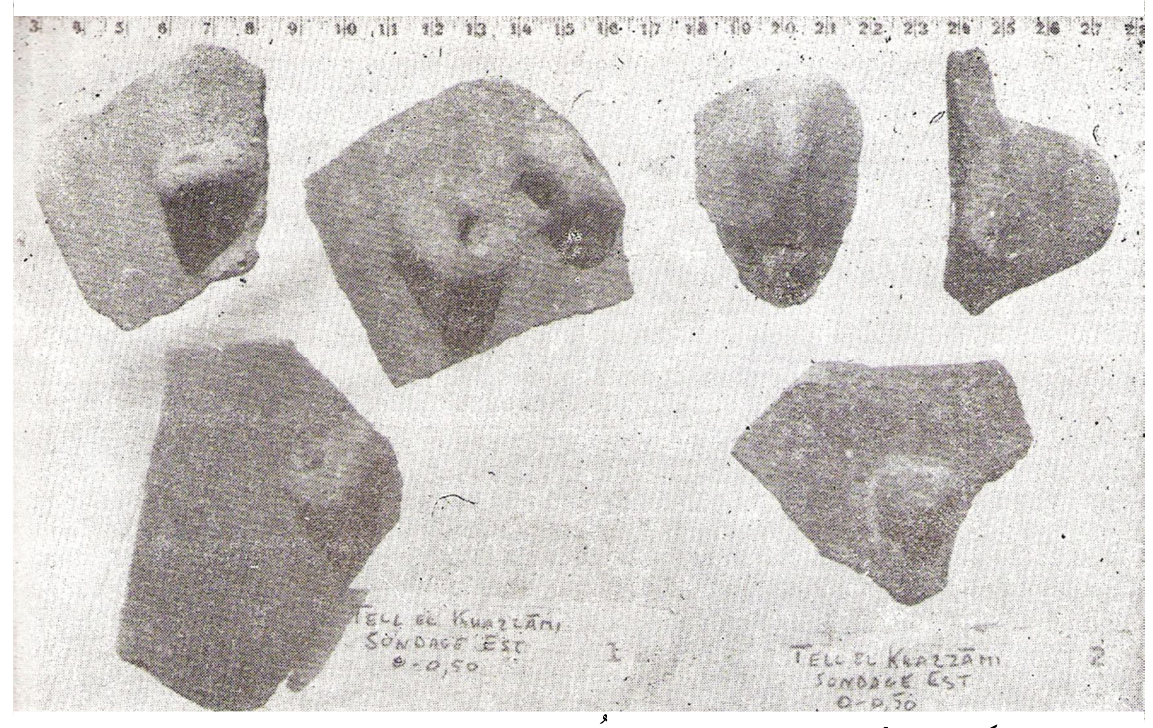


الشكل رقم (88:2) قرن حيواني من الفخار، موقع تل البحارية.
(سليمان، غادة، 2011: صور 18، ص 17)



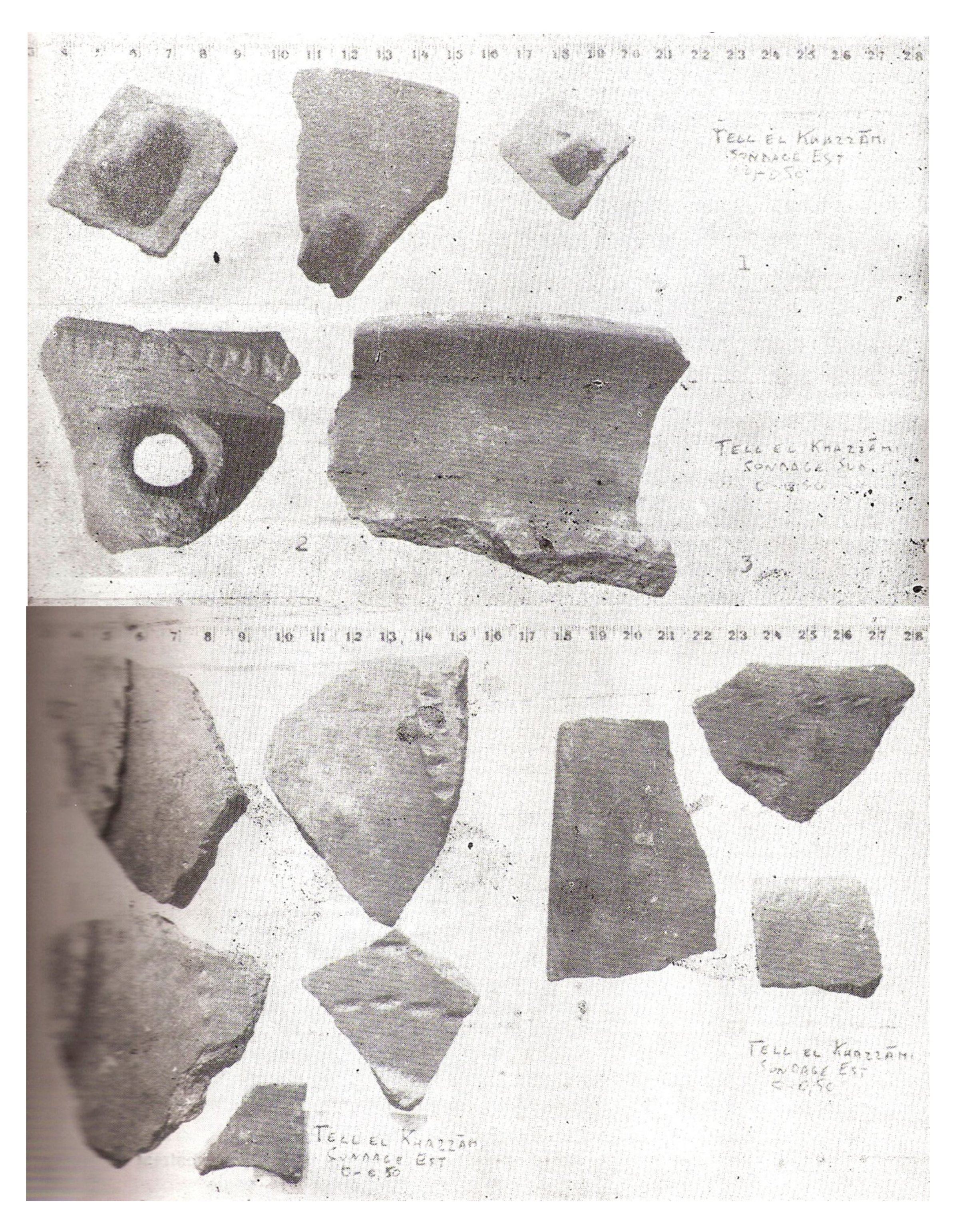
الشكل رقم **89**: أوان فخارية، ذات أشكال حيوانية منها إناء بشكل بقرة له أرجل وأحيانا ذيل ورأس، موقع تل الخزامي

(De Contenson, H. 1968: Pl. IV)



الشكل رقم(1: **90**): . مجموعة من ُ رى منها ثقوبها واسعة، موقع تل الخزامى.

(De Contenson, H. 1968: Pl.VII)



الشكل (90:2) : كسر فخارية عليها زخارف نافرة أفقية أو شاقولية، وتمتد على الشفة أو أسفل الرقبة أو على بطن الإناء، أو غائرة عبارة عن أشكال هلالية أو حزوز، موقع تل الخزامي.
(De Contenson, H. 1968: Pl.V)



الشكل رقم **91**: دمية ذكرية يوجد على أحد جوانبها ثقوب صغيرة تشير إلى أنها ذكرية.
(سليمان، غادة، 2011: صورة 20، ص 18)



الشكل رقم **92**: دمية أنثوية مصنوعة من الطين المجفف، الجسم مختزل أما الرأس عليه قطع طينية صغيرة ملصقة وتشبه التاج، العيون مثل حبة القهوة، والأنف بارز.
(سليمان، غادة، 2010: صورة 6، ص 26)



الشكل رقم **93**: دمية من الطين المشوي ذات رأس متطاول وكأنها تضع قبعة على الرأس، العيون تشبه حبة القهوة والأنف بارز والشفاه واضحة.

(سليمان، غادة، 2010: صورة 5، ص 26)



الشكل رقم **94**: دمية أنثوية من الطين رأسها مفقود، تمثل الربة الأم وتظهر عليها العناصر الأنثوية بوضوح كالأثداء، تتميز بأنها ترتدي ثوب مزخرف يظهر من الجهة الأمامية والخلفية.

(Suliman,G. 2012:Fig 7, P.120)



الشكل رقم **95**: دمية طينية حيوانية، موقع تل البحارية.

(سليمان، غادة، 2006: صورة 25)



الشكل رقم **96**: مجموعة من الحصيات والكرات الطينية. موقع تل البحارية.

(سليمان، غادة، 2006: صورة 21)



الشكل رقم **97**: ختم مسطح مصنوع من الطين، مكسور، في وسطه يوجد دائرة على أطرافها أشعة شمس وعلى جوانبها أيضاً دوائر غير كاملة، موقع تل البحارية.

(سليمان، غادة، 2002: صورة 14)



الشكل رقم **98**: قلادات حجرية، تحتوي على ثقب في وسطها من أجل التعليق. موقع تل البحارية.
(غادة، سليمان، 2011: صورة 25، ص 18)



الشكل رقم **99**: مجموعة من الأصداف الحلزونية والدائرية.من موقع تل البحارية.
(سليمان، غادة، 2011: صورة 21، ص 18)



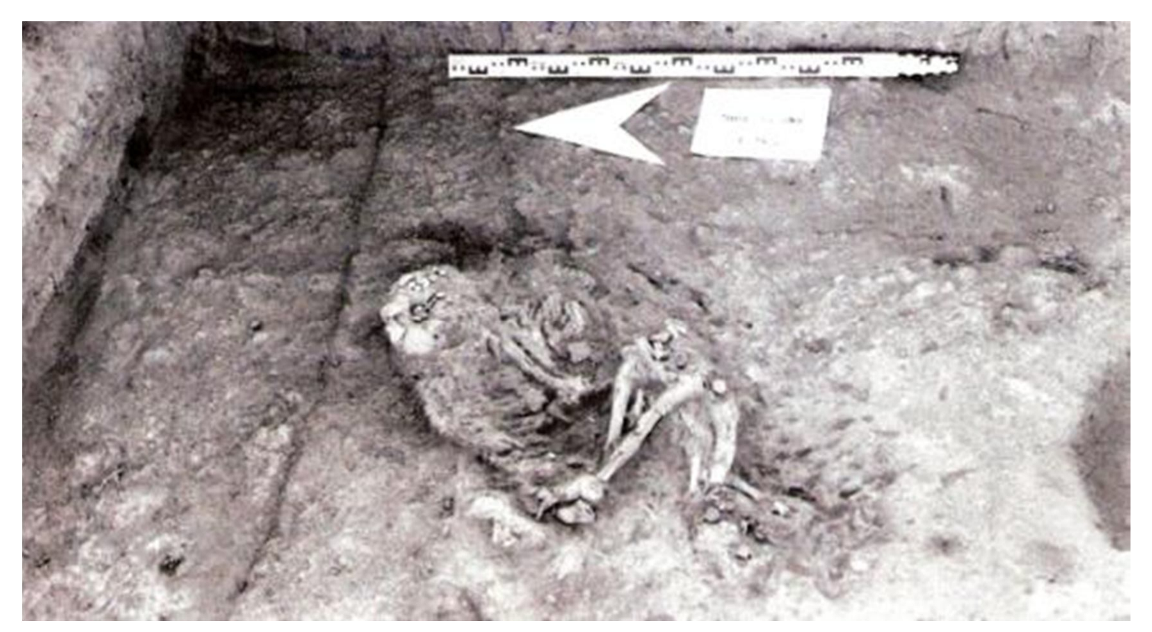
الشكل رقم **100**: هيكلان عظميان دفنا بشكل متجاور. موقع تل البحارية.

(سليمان، غادة، 2008: صورة 17)



الشكل رقم **101**: جرة فخارية جنائزية، موقع تل البحارية.

(سليمان، غادة، 2004: صورة 14)



الشكل رقم **102**: هيكل عظمي مدفون بوضعية الجنين، تم فصل الجمجمة عن الجسد، موقع تل البحارية.

(سليمان، غادة، 2010: صورة 2)



الشكل رقم **103**: هيكل عظمي حيواني ربما كلب، موقع تل البحارية.

(سليمان، غادة، 2008: صورة 15)